الاسـم: إبراهيـم محمود هارون الفرجات

الكلية: كلية أصول الدين الجامعية

سنة التخرج: ٢٠٠٧م

رقـم الهاتف: ٠٦/٤٩٠١٥٨٨ خلوي ٠٧٧٧٧٨٩٧٣٨

جهود الإمام البقاعي في توضيح الإلهيات في تفسيره نظم الدرر

إعداد الطالب

إبراهيم محمود هارون الفرجات

إشراف

الدكتور علي عايد لافي المقدادي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية

كلية الدراسات العليا

جامعة البلقاء التطبيقية

تموز ٢٠٠٧م

نوقشت هذه الرسالة (جهود الإمام البقاعي في توضيح الإلهيات في تفسيره نظم الدرر) وأجيزت بتاريخ ٢٥/ ٧ / ٢٠٠٧ م من قبل أعضاء اللجنة:

أعضاء لجنة المناقشـــــة	التوقيع
١- الدكتور علي عايد المقدادي	(رئيسا)............
٢- الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود	(عضوا)............
٣- الدكتور محمد علي خطــاب	(عضوا)............
٤- الدكتور عامر الحافي (جامعة آل البيت)	(عضوا خارجيا)........

الإهداء

* إلى طب القلوب ودوائها ونور العين وشفائها سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

* إلى سيدي ومولاي جلالة الملك المعظم

* إلى روح والدي الطاهرة رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

* إلى والدتي الكريمة والتي أفنت زهرة شبابها في رعايتي وتربيتي

* إلى زوجتي ومعيني في حياتي (أم محمود) وإلى أبنائي وبناتي من كانوا السبب في إخراج هذا الجهد

إلى النور حيث تحملوا كل صعب واحتملوا كل عناء

* إلى أعمامي وأهلي وأصدقائي

* إلى أساتذتي الأكرمين...... احتراما وتقديرا

* إلى قواتنا المسلحة الباسلة

* إلى كل من له فضل علي وقدم لي النصح والإرشاد

اهدي هذا الجهد المتواضع ....

الباحث

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾([1])

إيماناً مني بمقابلة الإحسان إحسانا ورد الجميل إلى أهله، كان لا بد من توجيه عظيم الشكر وكبير الود وخالص الامتنان وجميل الثناء إلى مـولاي صـاحب الجلالـة راعـي النهضـة العلميـة جلاله المـلك عبد الله الثاني بن الحسين والى جامعـة البلقاء التطبيقيـة عامة ممثلة برئيس أمنائها صـاحب السمـو الملكي الأمير غازي بن محمد.

ولا يفوتني أن اشكر رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور عمر الريمـاوي علـى جهـوده المتواصلة خدمة لطلب العلم .

كما أشكر عميد كلية أصول الدين الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقـصود خاصة وأشكر كلية أصول الدين عامة على ما أتحفونا به من معلومات خلال فترة دراستي.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى والدتي وزوجتي وأبنائي وبناتي على ما قدموه لي من عون ومساعده أثناء الدراسة والكتابة وعلى صبرهم الدائم وتحملهم العناء والمشقة.

كما لا يفوتني أن أشكر اللجنة الكريمة التي ستقوِّمُ هذه الرسالة.

الباحث

---

[1] – سورة إبراهيم /٧.

فهرس المحتويات

جهود الإمام البقاعي في توضيح الإلهيات في تفسيره نظم الدرر

إعداد

إبراهيم محمود هارون الفرجات

المشرف

الدكتور علي عايد لافي المقدادي

ملخص

تناولت في دراستي موضوع جهود الإمام البقاعي في توضيح الإلهيات في تفسيره نظم الدرر.

وقد تعرضت في الرسالة في الباب الأول للتعريف بالإمام البقاعي حيث تحدثت عن حياته الشخصية وذلك بذكر اسمه، وكنيته، وأسرته، وولادته، ونشأته، ومجمل حياته، والعصر الذي عاش فيه الإمام مبينا الحالة السياسية والعلمية، وتكلمت عن حياته العلمية وثناء العلماء عليه.

وفي الباب الثاني تحدثت عن كلام الإمام البقاعي في مسائل الذات الإلهية من خلال ذكر أدلة وجود الله متمثلة بأدلة الأفاق، وأدلة الأنفس، والفطرة، وتكلمت عن أسماء الله تعالى وأنها كلها حسنى، وحذرت من الإلحاد في أسمائه، وبينت طريق إثبات أسماء الله مبينا اسمه الأعظم.

أما الباب الثالث فكان عن صفات الله تعالى، حيث بينت علاقتهـــا بأســـمائه تعـــالى وإثبات الصفات لله، والعلاقة بين الأسماء والصفات، ثم تحدثت عن صفة الوحدانية، وكـــلام الإمام البقاعي في صفات المعاني خاتما لها بصفة الكلام حيث أثبت لله هذه الصفة وان كلامه تعالى أزلي غير مخلوق، وانه مسموع، ثم تحدثت عن الألفاظ التي يوهم ظاهرها التشبيه مبينا مذاهب العلماء في ذلك، ثم بينت كلام البقاعي في الألفاظ التي يوهم ظاهرها مشابهة الخـــالق لخلقه حسا ومعنى.

وفي الباب الرابع تحدثت عن مسألة رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة مبينـــا إمكـــان رؤيته تعالى في الدنيا لكنها لم تقع لأحد، أما في الآخرة فإنها حاصلة للمؤمنين، مبينـــا قـــول المعتزلة في ذلك مع الرد عليهم.

وختمـــــــــــــــت بالاســـــــــــــــتنتاجات والتوصـــــــــــــــيات.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة عبد مقر بربوبيته معتقد بألوهيته، موقن بأن لا حاكمية إلا له، ولا تشريع إلا منه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ودعى إلى الصراط المستقيم، **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)**([1])، **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)**([2])، **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)**([3]).

أما بعد؛ فإن علم العقيدة من أشرف العلوم وأجلها لأنه يتعلق بالله سبحانه وتعالى، إذ العلم يشرف بشرف المعلوم، وهو الطريق إلى معرفة المخلوق بالخالق، وكان مقصد الرسل الأول من خلال دعوتهم إلى الله تعالى، قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)**([4])، وقد توالت الآيات الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه لمقام الألوهية، قال تعالى: **(شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ**

[1] – سورة آل عمران /١٠٢.
[2] – سورة النساء /١.
[3] – سورة الحشر /١٨.
[4] – سورة الأنبياء /٢٥.

لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)([1])، فقد بدأ بنفسه تعالى وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم شهادة على استحقاقه لمقام الألوهية.

ولتتم كلمة الله على مدى الأيام والدهور وفي مختلف الأزمنة والأمكنة، هيأ الله أهـــل الفضل وأولي العلم للقيام بهذه الفريضة ليوضحوا للأمة العقيدة الحقة الصحيحة النقية عنـــدما تحلو لك الليالي، وتدلهم الخطوب، ويتآمر الحاقدون من أهل البـــدع، والزيـــغ، والـــضلال، والإلحاد على شرع الله فيردوا كيدهم إلى نحورهم، ويبطلوا حججهـــم الواهيـــة، ويدحـــضوا باطلهم بالحجج الواضحة القاطعة من كتاب الله ومن سنة رسول صلى الله عليه وسلم.

ومن هؤلاء الفرسان الذين لم يترجلوا في يوم من الأيام ما دامت الحاجة داعية إليهم الإمام برهان الدين أبو عمر إبراهيم بن عمر البقاعي، حيث كان علما بارزا وجبلا ثابتا مـــن جبال العلم يوضح ويعلم ويجاهد في سبيل نشر الدين، وتثبيت عقيدة التوحيد، فقد كان ســـهما مصوبا من كنانة الحق على أهل الزيغ والبدع والإلحاد، فكان من قافلـــة العلمـــاء العـــاملين الداعين إلى الله.

ولما كان نظام جامعة البلقاء التطبيقية يقوم على أساس أن يقوم طـــلاب الدراســـات العليا- الماجستير- بتقديم رسالة علمية (بحث مكمل لنيـــل درجـــة الماجـــستير) أو اختيـــار الامتحان الشامل فقد عمدت رغبة مني للاطلاع والتحصيل العلمي لكتابة رسالة علمية عن

(جهود الإمام البقاعي في توضيح الإلهيات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

---

[1] - سورة آل عمران /١٨.

وكان السبب لاختياري هذا الموضوع:

١. أهميته، وتكمن في كون الإمام البقاعي من العلماء الذين اهتموا بشرح كتاب الله تعالى وتلقته الأمة بالقبول، وكتاب الله هو المصدر الأساس من مصادر العقيدة الإسلامية.

٢. لم يسبق أن كُتب في هذا الموضوع رسالة علمية حسب علمي.

٣. الكتابة في هذا الموضوع تثري معلومة الباحث وتمنحه شمولية الإلمام بكافة مسائل الإلهيات وتيسر له الاطلاع على كلام أهل الاختصاص وآرائهم في مبحث الإلهيات.

٤. الوقوف على عقيدة الإمام البقاعي وموقفه من العلماء وخاصة أن حياته ثرية بالمناقشات والمنازلات العلمية، وتعرض لبعض الابتلاءات في حياته العلمية.

٥. ما وجدته من تشجيع وتوجيه من مشايخنا الأفاضل حين الاستشارة حول الكتابة في هذا الموضوع.

منهج البحث

سرت في هذه الرسالة على المنهج الاستقرائي التحليلي حيث اتبعت الخطوات التالية:

١. قمت بقراءة تفسير البقاعي (نظم الدرر) جميعه حيث وضعت إشارة – بقلم التأشير– على كل معلومة لها علاقة بالإلهيات.

٢. قرأت الكتاب مرة أخرى مع أخذ المعلومة التي تغني البحث وتدوينها على بطاقة، وجعلت لها عنوانا يتناسب مع ما تدل عليه.

٣. جمع عناصر الموضوع كاملة من كتاب البقاعي نظم الدرر من مظانها المختلفة، وذلك للوقوف عل جهوده في مبحث الإلهيات .

٤. إذا كان الكلام يدل على أكثر من مسألة فقد عمدت إلى تكراره وذلك لاشتماله على أكثر من مسالة من مسائل الإلهيات.

٥. إذا تكرر كلامه على مسالة واحدة، ولم يكن في الموضع المكرر اختلاف في المعنى فإني أنقل كلامه من احد المواضع مع الإحالة إلى المواضع الأخرى وذلك بعد عبارة (وللاستزادة انظر).

٦. بعد ذكر كلام الإمام البقاعي على المسالة، أذكر في الغالب كلام علماء أهل السنة والجماعة وذلك لتوضيح وبيان موقف الإمام البقاعي من حيث كونه موافقا أو مخالفا لهم.

٧. في حالة النقل فاني أعمد إلى وضع الكلام المنقول بين أقواس صغيرة "......."، وإذا دعت الحاجة لمواصلة النقل فإني أبدأ بقوس كبيرة وبداخله أقواس صغيرة وأُضمنه بمثل ذلك ("......."") مع ذكر موضع النقل في الهامش مباشرة، ومن غير ذكر كلمة انظر التي اعتمدتها في حالة النقل بالمعنى –غالبا– وفي حالة الإحالة على بعض المراجع بعد النقل من المرجع الأساس، وأذكر (وللاستزادة انظر).

٨. التزمت عند النقل من أي مرجع أو الاستفادة منه الإشارة في الهامش – ولأول مرة يرد– إلى اسم المؤلف، والكتاب، والجزء والصفحة، واسم المحقق – إن وجد–، واسم الناشر، ومكان النشر، ورقم الطبعة، وسنة الطبع، وفي حالة تكرار النقل أو الاستفادة من نفس المرجع فإني لم أذكر سوى اسم الكتاب والجزء والصفحة إلا أن يكون اسم الكتاب مشتركا بين مؤلفين فأذكر معه اسم مؤلفه.

٩. عزوت الآيات التي وردت في الرسالة بذكر السورة ورقم الآية.

١٠. عزوت الأحاديث التي وردت في هذه الرسالة إلى مصادرها من كتب السنة المعتمدة بذكر الجزء والصفحة فقط، وإذا كرر ذكر الحديث في موضع آخر فقد اكتفيت بالإشارة إلى أنه (سبق تخريجه ص كذا).

١١. شرحت ما رأيت الحاجة ماسة إليه من الألفاظ الغريبة.

١٢. ترجمت لأغلب الأعلام المذكورين في صلب الرسالة بما فيهم الصحابة الكرام في أول موضع يرد ذكرهم فيه غالبا.

١٣. عرفت بالعديد من الفرق والطوائف والبلدان التي ذكرت في الرسالة وبإيجاز.

١٤. ذيلت الرسالة بفهارس تعين على الرجوع إلى المراد منها بيسر وسهولة، وقد اشتملت على ما يلي:

أ- فهرس الأعلام المترجم لهم، مرتبا على الأحرف الهجائية.

ب- فهرس المصادر والمراجع مرتبا على الحروف الهجائية بحسب المؤلف.

الباب الأول

الإمام البقاعي

ويتضمن:

الفصل الأول: حياة الإمام البقاعـــــــــــــــــــــي

الفصل الثانـي: العصر الذي عاش فيه الإمام البقاعي

الفصل الثالث: الحياة العلمية للإمام البقاعـــــــــــي

الباب الأول

الإمام البقاعي

الفصل الأول

حياة الإمام البقاعي

يشتمل هذا الفصل على ما يلي:

أولا: اسمه وكنيته ونسبه

هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط- بضم الراء بعدها موحدة خفيفة – بن علي ابن أبي بكر الخِرباوي البقاعي الشافعي أبو الحسن برهان الدين، وينتهي نسبه كما يذكر إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص الزهري- رضي الله عنه-([1])، وكنى نفسه أبا الحسن الخرباوي البقاعي([2])، ويقال ابن عويجان تصغير أعوج([3]).

ثانيا: ولادته ومجمل حياته ووفاته

ولد الإمام البقاعي بقرية خربة روحا من عمل البقاع سنة تسع وثمانمائة هجرية، ونشأ في هذه الخربة([4])، ولم تذكر كتب التراجم شيئا عن طفولته – شانه شان كثير من العلماء الذين لم تذكر كتب التراجم شيئاً عن حياتهم إلا بعد أن ظهرت عليهم علامات النبوغ والذكاء – إلا ما ذكره هو عن نفسه حيث قال: " في ليلة الأحد تاسع شعبان سنة إحدى

---

[1] – محمود توفيق محمد سعد، الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص١٥، ط١، ١٤٢٤هـ.

[2] – انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ٥٠/١، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع١٠١/١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ٢١/٥، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي اللغة العربية ٤٩/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. الإمام البقاعي ص١٥.

[3] – الضوء اللامع ١٠١/١

[4] – الضوء اللامع ١٠١/١، الأعلام ٥٠/١، معجم المؤلفين ٤٩/١

وعشرين وثمانمائة أوقع ناس من قريتنا خربة روحا من البقاع يقال لهم بنو مزاحم بأقاربي بني حسن من القرية المذكورة فقتلوا تسعة أنفس منهم أبي عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر وأخوه محمد سويد وعلي أخوهما لأبيهما، وضربت أنا بالسيف ثلاث ضربات أحداها في رأسي فجرحتني وكنت إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة فخرجنا من القرية المذكورة واستمرينا نتنقل في قرى وادي التيم والعرقوب وغيرهما إلى أن أراد الله تعالى بإقبال السعادتين الدنيوية والأخروية فنقلني جدي لأبي علي بن محمد السليمي إلى دمشق[1] سنة سبع وعشرين وثمانمائة للهجرة[2].

ويبدو أن الإمام البقاعي ولد في أسرة فقيرة، وعاش فقيراً , وخاصة إذا علمنا انه عاش يتيما، وأنه تكسب بالشهادة[3] عند الفخر الأسيوطي[4] وعند غيره , وبالنسَّاخة[5] وتعليم الأطفال وغير ذلك, وهذا ما يقوله عنه الإمام السخاوي[6] بعد أن

---

[1] – دمشق: البلدة المشهورة قصبة الشام وهي جنة الأرض بلا خلاف؛ لحسن عمارة، ونضارة بقعة، وكثرة فاكهة؟، ونزاهة رفعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب، قيل: سميت بذلك لأنهم دمشَقوا في بنائها أي أسرعوا. انظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان ٢/٤٦٣-٤٧٠، دار صادر، بيروت.

[2] – أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/٣٣٩-٣٤٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[3] – الشهادة: شهد – الشين والهاء والدال– أصل يدل على حضور وعلم وأعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه، من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور والعلم والأعلام، يقال: شهد يشهد شهادة، والمشهد: محضر الناس، وهي الاسم من المشاهدة، وهي مجموع ما يدرك بالحس، وهي شرعا أخبار صدق لإثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القاضي، وعند الشافعية ما تقال بين يدي حاكم أو محكم بعد تقدم دعوى بلفظ: اشهد. انظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ٣/٢٢١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر. سعيد أبو جيب، القاموس الفقهي ص٢٠٣، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م..

[4] – الفخر الأسيوطي: هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي الفضائل عثمان بن أبي الحسن، ولد في أواخر سنة ٧٩٢هـ، وقيل أول سنة ٧٩٣هـ، نشأ فحفظ القرآن وكتبا وعرض على جماعة وسمع من كثير من العلماء، حج مرارا وجاور في بعضها بعض سنة، كان مقداما عالي الهمة شديد العصبية متوددا لأصحابه كثير الموافاة لهم مذكورا بالمجازفة وعدم التحري، مات في جمادى الثانية سنة ٨٧٠هـ، وصلي عليه بجامع الأزهر في مشهد حافل، ودفن في ظاهر باب المحروق. انظر: الضوء اللامع ٩/٣٧-٣٨.

[5] – النسَّاخة: نَسَخَ – النون والسين والخاء أصل وأحد– قالوا: النسخ نسخ الكتاب، وهي حرفة النُسَّاخ. انظر: معجم مقاييس اللغة ٥/٤٢٤. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ٢/٩٢٤، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[6] – السخاوي: هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان الحافظ شمس الدين أبو الخير السخاوي المصري الشافعي، ولد سنة٨٣٠هـ، وتوفي مجاورا بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢هـ، له من=

ذكر أنه تحول من بلاده إلى دمشق، وبعد أن أوقع بهم بنو مزاحم، كما دخل بيت المقدس(١) ثم إلى القاهرة(٢) للاستفتاء على أهلها(٣)، "وهو في غاية البؤس والقلة والعري"(٤)، "وسافر إلى دمياط(٥) وإسكندرية(٦) وغيرها, وحج, وأقام بمكة(٧) يسيراً، وزار الطائف(٨), والمدينة(٩), وركب البحر في عدة غزوات, ورابط غير

=المصنفات: أحسن المساعي في إيضاح حوادث البقاعي، الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل، تاريخ المحيط، تحرير الميزان، الرحلة المكية، القول الأتم في الاسم الأعظم، وغيرها. هدية العارفين ٢١٩/٦-٢٢١.

[1] – بيت المقدس: إيلياء اسم مدينة بيت المقدس. قيل معناه بيت الله، قال أبو علي: وقد سمي البيت المقدس إيلياء بقول الفَرَزدق:

وبَيتان بيتُ الله نحن وُلاتُهُ ... وقَصر بأعلى إيلياءَ مُشَرَف

قيل إنما سميت إيلياء باسم بأنيها وهو إيلياء بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام وهو أخو دمشق وحمص وأردُنْ وفلسطين. معجم البلدان ٢٩٣/١.

[2] – القاهرة: مدينة بجنب الفسطاط يجمعهما سور وأحد، وهي اليوم المدينة العظمى، وبها دار الملك، ومسكن الجُند، وكان أول من أحدثها جوهر غلام المعز أبي تميم معدّ بن إسماعيل الملقب بالمنصور بن أبي القاسم نزار الملقب بالقائم بن عبيد الله وقيل سعيد الملقب بالمهدي وكان السبب في استحداثها أن المعز أنفذه في الجيوش من أرض إفريقية للاستيلاءِ على الديار المصرية في سنة ٣٥٨هـ، فسار في جيش كثيف حتى قدم مصر وقد تمهدت القواعد بمراسلات تقدمت وذلك بعد موت كافور فأطاعه أهل مصر واشترطوا عليه ألا يساكنهم فدخل الفسطاط وهي مدينة الديار المصرية فاشتقها بعساكره، ونزل تلقاء الشام بموضع القاهرة اليوم وكان هذا الموضع اليوم تبرُزُ إليه القوافلُ إلى الشام وشرع فبنى فيه قصراً لمولاه المعز وبنى للجُند حوله فانعمر ذلك الموضع فصار أعظم من مصر واستمرت الحال إلى الآن على ذلك في أطيب وأجل مدينة رأيتُها لاجتماع أسباب الخيرات والفضائل بها. معجم البلدان ٣٠١/٤.

[3] – انظر: الضوء اللامع، ١٠١/١. الأعلام ٥٠/١. معجم المؤلفين ٤٩/١.

[4] – الضوء اللامع ١٠١/١-١٠٢.

[5] – دمياط: هي عاصمة المحافظة (محافظة دمياط) تقع على الضفة اليمنى لفرع الدلتا الشرقي المسمى باسمها وعلى مسافة ٢٥ كم من مصب النيل، وتبعد عن القاهرة ٢٠٥كم، كانت من ثغور مصر البحرية الهامة، تم للعرب فتحها عام ٢٠هـ على يد المقداد بن الأسود. احمد عطية الله، القاموس الإسلامي ٣٨٩/٢، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٦٦م.

[6] – إسكندرية أو سكندرية: أكبر الموانئ المصرية والإفريقية، تقع إلى الغرب من فرع رشيد على لسان يصلها بالأرض بين بحيرة بوط وساحل البحر الأبيض، بناها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ق.م على أطلال بلدة قديمة تسميها المراجع العربية "رقودة" ، فتحها العرب صلحا عام (٢٠هـ/ ٦٤١م)، بعد حصار دام أربعة أشهر على يد عمرو بن العاص. القاموس الإسلامي ١٠١/١.

[7] – مكة: بيت الله الحرام، قال أبو بكر بن الأنباري سميت مكة لأنها تمُك الجبارين أي تذهب نخوتهم ويقال إنما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد امتك الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصا شديداً وسميت بمكة لازدحام الناس، ويقال مكة اسم المدينة وبكّة اسم البيت، وقال آخرون مكة هي بكة، وقيل إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان للكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها وقال قوم سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها . انظر: معجم البلدان ١٨١/٥-١٨٨.

[8] – الطائف: بلدة بالحجاز تقع في شرق مكة إلى الجنوب، وتقع على هضبة رملية تحيط بها مجموعة من التلال وتكثر بها الآبار والعيون وهي من أقدم مدن الجزيرة العربية. القاموس الإسلامي ٤٤٣/٤.

[9] – المدينة: قال أبو القاسم الزجاجي يثرب مدينة رسول الله صلى عليه وسلم سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام فلما=

مرة"([1])، وقد ألف كتابه (الأسفار عن أشردة الأسفار) سنة (٨٤٤هـ) لما خرج إلى غزو قبرص([2]) ورودس([3]) من البحر"([4])، هذا وقد تولى الإمام البقاعي التدريس في عدة مدارس([5]).

فهذا يدل على أن الإمام البقاعي مجاهد باللسان والسِنان، ومع هذا لم يسلم من ذم الآخرين له، فقد قال السخاوي في ذم الإمام البقاعي: "وقائعه كثيرة، وأحواله شهيرة، ودعاويه مستفيضة، أهلكه التيه والعجب وحب الشرف والسمعة بحيث زعم أنه قيم العصريين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنه أبدى ببديهته جوابا مكث السبكي([6]) واقفا عنه أربعين سنة، وأنه لا يخرج عن الكتاب والسنة، بل هو منطبع بطباع الصحابة مع رميه للناس بالقذف والفسق والكذب والجهل"([7]).

=نزلها رسول الله عليه الصلاة والسلام سمَاها طيبة وطابة كراهية للتثريب وسميت مدينة الرسول لنزوله بها. انظر: معجم البلدان ٥/٨٢-٨٨.

[1] – انظر: الضوء اللامع ١/١٠٢.

[2] – قبرص: قبرس بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراءِ وسين مهملة كلمة رومية، وافقت من العربية القُبرس النحاس الجيد عن أبي منصور وهي: جزيرة في بحر الروم، وبأيديهم دورها مسيرة ستة عشر يوماً. معجم البلدان ٤/٣٠٥.

[3] – رودس: جزيرة تقع في أقصى الشرق من البحر الأبيض المتوسط وتبعد ١٢ ميلا من ساحل آسيا الصغرى، يبلغ طولها ٤٣ ميلا ومتوسط عرضها ١٢ ميلا، كانت تعرف بأسماء مختلفة أبأن العصور القديمة، استولى عليها العرب عام ٥٣هـ/٦٧٢م أبان خلافة معاوية الذي أنفذ أسطولا لغزوها بقيادة جنادة بن أبي أمية الأزدي. انظر: القاموس الإسلامي ٢/٥٩١-٥٩٢.

[4] – مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلبي والمعروف بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١/١٢٠-١٢١، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

[5] – حيث تولى التدريس بالمدرسة المؤيدية فدرس فيها القرآن والتجويد كما تولى التدريس للحديث بالقلعة بالقاهرة وذلك عندما عينه ابن حجر لتدريس صحيح البخاري بها، وتولى مشيخة القراء بمشيخة أم صالح بدمشق. انظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الفتح القدسي في آية الكرسي، تحقيق: ا.د. سعود بن عبد الله الفنيسان ص٨، مكتبة الرشد، الرياض.

[6] – السبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوار بن سليم السبكي، الحافظ تقي الدين أبو الحسن الفقيه الشافعي، ولد سنة (٦٨٣هـ) وتوفي بالقاهرة سنة (٧٥٦هـ)، من تصانيفه: الابتهاج في شرح المنهاج ، إبراز الحكم من حديث رفع القلم، تعدد الجمعة، التمهيد فيما يجب فيه التحديد، الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم، وغير ذلك كثير. هدية العارفين ٥/٧٢٠-٧٢١.

[7] – الضوء اللامع ١/١٠٣، ومما يدل على تحامل السخاوي عليه أنه قال في وفاته: (... ومع ذلك فاستمر يكايد ويناهد حتى مات بعد أن تفتت كبده فيما قيل في ليلة السبت ثامن عشر من رجب سنة ٨٨٥هـ، وصلى عليه من الغد بالجامع الأموي ودفن بالجمرية خارج دمشق من جهة قبر عاتكة، ولم يصل عليه التقي ابن قاضي عجلون وغيره. انظر: الضوء اللامع ١/١٠٧.

وقال بعد أن ذكر رباطه: "الله اعلم بنيته في ذلك كله"([1]).

وقال واصفاً مقدمه للقاهرة: "وهو في غاية البؤس والقلة والعري"([2]).

أقول: كيف يتملك التيه والعجب وحب الشرف والسمعة من كان – كما قال السخاوي نفسه – انه في غاية البؤس والقلة والعري، فمن كان كذلك لا يناله التيه والعجب، وهذا الكلام يدل على التحامل من الإمام السخاوي، ويؤيد هذا ما جاء في هامش الضوء اللامع من الكلام على السخاوي، قال: "يضطرب قول المصنف في تراجم بعض كبار معاصريه مما لا يسلم منه كتاب في التاريخ كما ترى في ترجمة البقاعي هذه وترجمة السيوطي([3]) الآتية وهما من العلم بالمكان الأسمى"([4]).

وما جاء عند حاجي خليفة([5]) عند تعريفه بكتاب الإمام البقاعي (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران) حيث ذكر نيل السخاوي من البقاعي، ثم قال : "وهو تعدي في تراجم الناس وزاد الحد, وهو جملة ما تعدى السخاوي في البقاعي لمنافسة كانت بينهما؛ لأنهما كانا شريكين في الدرس"([6]).

ثالثا: البقاعي وخصومه

إن الإنسان إذا لمح منه تميز ولاح فيه ذكاء وظهر فيه نبوغ تناله – أحيانا– أقلام أقرانه وألسنتهم بالطعن. والإمام البقاعي من الذين لم يسلموا من الغمز واللمز بل والطعن

---

1 – الضوء اللامع ١٠٢/١.

2 – الضوء اللامع ١٠١/١–١٠٢.

3 – السيوطي: هو عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضيري الإمام جلال الدين الأسيوطي المصري الشافعي , ولد سنة ٨٠٩هـ وتوفي في التاسع من جمادى الأولى لسنة ٩١١هـ، له: الإتقان في علوم القرآن , آداب الفتوى, أخبار الملائكة, الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة تهذيب الأسماء وغيرها كثير. انظر: هدية العارفين ٥٣٤/٥–٥٤٤.

4 – الضوء اللامع – هامش– ١٠١/١. من غير الإشارة إلى واضع الهوامش.

5 – حاجي خليفة: هو محمد عصمت بن إبراهيم الرومي الحنفي المدرس النقشبندي المعروف بحاجي خليفة، توفي سنة ١١٦٠هـ، صنف من الكتب: حسن البيان لطريق الخواجكان، رسالة التصوف، كشف الظنون، وغيرها. انظر: شذرات الذهب ٣٥٦/٧. هدية العارفين ٣٢٦/٦.

6 – كشف الظنون ١١٧٤/٢–١١٧٥.

والمكايدة، وكان مما عزز موقف الخصوم ضده واقعتان إحداهما في مصر([1])، والثانية في سوريا([2])، فكانت الأولى في رده على ابن عربي([3]) في كتابيه: فصوص الحكم، والفتوحات المكية، ورده على ابن الفارض([4]) في تائيته حيث كفرهما وكتب فيهما الكتب، حيث كتب كتابيه عن الأول (تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي)، وعن الثاني (تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض)، وأما الواقعة الثانية فكلامه على حجة الإسلام الإمام الغزالي في رسالته: (ليس في الإمكان أبدع مما كان) حيث ألف فيه كتابه (تهديم الأركان في ليس بالإمكان أبدع مما كان) الذي يرد فيه على الإمام الغزالي لموافقته أقوال الفلاسفة في هذه الجملة([5]).

وفي هذا المقام يقول الإمام البقاعي بعد ما ذكر محنته في تأليف نظم الدرر: "ثم قاموا في بدعة دائم المعروف فصنفت فيها (القول المعروف)، ثم قاموا في فتنة ابن الفارض وألَّبوا عليَّ رعاع الناس، وصنفت في ذلك عدة مصنفات، منها: (صواب الجواب للسائل المرتاب)، ومنها: (القارض في تكفير ابن الفارض)، ومنها: (تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض)،

---

[1] – مصر: سميت مصر بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد استَقصينا ذلك في الفسطاط، قال صاحب الزيج طول مصر أربع وخمسون درجة وثلثان وعرضها تسع وعشرون درجة وربع في الإقليم الثالث، وذكر ابن ما شاء الله المنجم أن مصر من إقليمين من الإقليم الثالث مدينة الفسطاط، والإسكندرية، ومدن إخميم. وقوص، واهناس، والمَقس، وكورة الفيوم، ومدينة القلزم، ومدُن أتريب، وبنى وما وإلى ذلك من أسفل الأرض وأن عرض مدينة الإسكندرية وأتريب وبنى وما وإلى ذلك ثلاثون درجة وأن عرض مصر وكورة الفيوم وما وإلى ذلك تسع وعشرون درجة وإن عرض مدينة أهناس والقُلزُم ثمان وعشرون درجة وإن عرض إخميم ست وعشرون درجة ومن الإقليم الرابع تنيس ودمياط وما وإلى ذلك من أسفل الأرض. معجم البلدان ٥/١٣٧.

[2] – سوريا أو سورية: موضع بالشام بين خُناصرة وسلمية . معجم البلدان ٥/٢٨٠.

[3] – ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي الطائي الحاتمي محيي الدين أبو عبد الله الأندلسي المعروف بابن العربي الشهير بالشيخ الأكبر، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ، مؤلفاته كثيرة بلغت مئتي مؤلف ما بين كتاب ورسالة، منها:= =اصطلاحات الصوفية، أسرار الوضوء، أهل الإلهام والإفهام، أصول المنقول، فصوص الحكم، الفتوحات المكية، وغيرها. هدية العارفين ٦/١١٤-١٢١.القاموس الإسلامي ٤/٣٣٠-٣٣٣.

[4] – عمر بن الفارض: هو عمر بن الحسن بن علي بن المرشد بن علي شرف الدين أبو حفص الحموي الأصل المصري الدار المعروف بابن الفارض الصوفي ولد سنة(٥٧٦هـ)، وتوفي بمصر سنة(٦٣٦هـ). هدية العارفين ٥/٧٨٦.

[5] – انظر: الضوء اللامع ١/١٠٧، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور ص ١٦٩، تحقيق وفهرسة: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، مصورة عن ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. الإمام البقاعي ص ٢٣-٢٤. شمس الدين محمد بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) ص١٣-٢٤، حققه وكتب له المقدمة والحواشي: محمد مصطفى، دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م. شذرات الذهب ٧/٣٤٠.

ومنها: (تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي)، ومنها: (تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد) فقطع كيدهم"([1]).

ويعود مجمل أسباب الخصومة – إضافة إلى ما مضى– إلى إنكاره على الصوفية في عصره ما ابتدعوه في حلقاتهم من الرقص والغناء وإنكاره عليهم للاحتفال بالمولد النبوي وعلى الذين يطوفون بالطبل عند السحور في رمضان([2]).

ومعلوم أن هذه الخصومات تحمل في ثناياها أمورا سلبية وأخرى إيجابية، فالإيجابية كثرة الاطلاع وزيادة العلم، وأما السلبية فهي ما يلحق العالم من هم وغم، يقول الإمام البقاعي بعد كلامه عن هذه المحن: "غير أنه حصل في كل واحدة من هذه الوقائع من الشرور وعجائب المقدور ما غطى ظلامه الشموس الطوالع وطال الأمر في ذلك سنين وعم الكرب حتى كثر الأنين والتضرع بالدعاء والحنين وثبت الله ورزق الصبر والأناة حتى أكمل الكتاب([3])"([4]).

وفي هذا إشارة إلى أن الفتن استمرت إلى ما يقارب وفاته.

"وكل هذا يعود لأمرين هما: استقلال شخصيته العلمية، وطول باعه في التفسير بالدراية على وجه الخصوص، ثم الحسد المذموم بين الأقران، وهذه الخصلة لا يكاد يسلم منها طرف دون الآخر إلا من رحم الله"([5]).

فالناظر في شخصية البقاعي يجد أنه ذو شخصية متميزة ثابتة لا يقر منكراً ولا يجامل في حرام، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد كلفه ذلك الكثير حتى ضاق به الحال والمعاش وقاطعه بعض الناس، ومع هذا يحتسب الأجر من الله عز وجل.

---

[1] – نظم الدرر ٨/٦٢٠-٦٢١.
[2] – انظر: الضوء اللامع ١/١٠٨. الفتح القدسي ص١٤.
[3] – يقصد نظم الدرر.
[4] – نظم الدرر ٨/٦٢١.
[5] – الفتح القدسي ص١٤.

فمن خلال دراسة حياة الإمام البقاعي نلاحظ أن حياته كلها جهاد ومكابدة من مقتبل عمره إلى وفاته، وقد مر بمحن كثيرة منها: " أنه ابتلي في القاهرة بفتنة ابن عربي، وابن الفارض، وابتلي في دمشق بفتنة (ليس بالإمكان أبدع مما كان)"([1])، وكل منهما قاصمة للظهر ولكنه وقف لهما بكل حزم يدافع عن رأيه لا يلين ولا يتوانى ولا يكل لأنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقاوم البدع حتى أنه واجه معارضة ومقاومة وقطيعة وتحامل وقاسى الأمرَّين بسبب هذه المعارضات.

"وأما وفاته فكانت يوم السبت ثامن عشر من رجب سنة ٨٨٥هـ بدمشق، ودفن بالحميدية بالتربة المجددة بجانب قبر عاتكة"([2]).

[1] – الإمام البقاعي ص ٢٤.

[2] – الإمام البقاعي ص١٦. وللاستزادة انظر: مفاكهة الخلان، القسم الأول ص ٢٣. الضوء اللامع ١٠٧/١.

الفصل الثاني

العصر الذي عاش فيه الإمام البقاعي

أولا: الحالة السياسية في عصره

عاش الإمام البقاعي غالب حياته في هذين البلدين – مصر والشام(1)– حيث كانا في زمنه تحت حكم واحد(2) وكانا يشكلان في التاريخ الإسلامي حكومة واحدة ولم تنفصل سوريا عن مصر إلا في نهاية أيام الفاطميين(3)، ثم وحدها صلاح الدين(4) مؤسس الدولة الأيوبية(5)(6).

والملاحظ أن مصر وما تبعها من البلاد كان يولى عليها الملوك والأمراء، وكان حكم الخلفاء عليها شكلياً، وأمر الملوك غير مستقر(7) مما ينتج أوضاعا سياسية غير مستقرة، ومما

---

1 – الشام: جمع شامة سميت بذلك لكثرة قُراها وتداني بعضها من بعض فشُبهت بالشامات، وقال أهل الأثر سميت بذلك لأن قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام لذلك. وقال آخرون من أهل الأثر منهم الشرقي سميت الشام بسام بن نوح عليه السلام وذلك أنه أول من نزلها فجُعلت السين شينا لتغير اللفظ العجمي. وقرأتُ في بعض كُتب الفرس في قصة سنحاريب أن بني إسرائيل تمزقت بعد موت سليمان بن داود عليه السلام فصار منهم سبطان ونصف سبط في بيت المقدس فهم سبط داود وانخزل تسعة أسباط ونصف إلى مدينة يقال لها شامين وبها سميت الشام وهي بأرض فلسطين وكان بها مَتجَرُ العرب وميرتهم وكان اسم الشام الأول سُورَى فاختصرت العرب من شامين الشام. معجم البلدان ٥/٣١١-٣١٢.

2 – حيث كان حكم دولة المماليك البرجية أو الجراكسة.

3 – الفاطميون: دولة شيعية النزعة حكمت بلاد الشام من عام ٣٥٩هـ إلى عام ٥٦٧هـ، ٩٦٩م -١١٧١م، وعاصرت دولة الحمدانيين والسلاجقة. د.خاشع المعاضيدي، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ص٧-١٠ بتصرف, دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1, ١٩٧٥م-١٩٧٦م.

4 – صلاح الدين: هو الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب أبوه أبو الشكر نجم الدين أيوب بن شاذي ولد ببلدة تكريت على نهر دجلة عام ٥٣٢هـ وهو أحد أبناء ثمانية وبنات لنجم الدين، وهو مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام واليمن وشمال العراق. القاموس الإسلامي ٤/٣٠٥-٣١١.

5 – الدولة الأيوبية: هي الدولة التي أقامها صلاح الدين بن أيوب بن شاذي منذ عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م، في مصر والشرق الأدنى، وتنسب إلى أبيه الملك الأفضل نجم الدين أيوب، وتفرعت من بعده إلى عدة دويلات حكمها أبناؤه وإخوته وأحفادهم، بسطت سلطانها على مصر والأردن وبعلبك وكردستان وسوريا وآمد وحصن كيفيا ثم اليمن. انظر: القاموس الإسلامي ١/٢٣٣.

6 – انظر: د. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ص١١٧، دار المعارف بمصر.

7 – الملاحظ أنه قبل فتح السلطان سليم لبغداد وبعد تدمير هولاكو لها سنة (٦٥٦هـ، ١٢٥٨م) بقي العالم الإسلامي بلا خليفة لمدة ثلاثة أعوام ونصف حتى قدم أحمد ابن الخليفة الخامس والثلاثين الظاهر نفسه إلى بيبرس في مصر فنصب خليفة، وتوالى على الخلافة سبعة عشر شخصا منهم من وليها مرة أو مرتين أو ثلاث حتى سنة ٩٢٣هـ، ومع هذا لم يكن الخلفاء يتدخلون فعليا في أي أمر من أمور الحكم حتى أن=

يؤيد هذا ما جاء عن الإمام البقاعي قوله: " ومن ثمرات ذلك أيضا الإراحة من الحروب والوقائع التي أعقبتها هذه الوقيعة"([1])، فإنها استمرت أكثر من ثلاثين سنة ولعلها زادت على مائة واقعة كان فيها ما قارب القتلى فيه ألفا"([2]).

وهذا ما دفعه إلى التنقل في الأقاليم العربية من الشام إلى مصر إلى مكة إلى الطائف طلبا للعلم.

ثانيا: الحالة العلمية في عصره

أما الناحية العلمية في عصر الإمام البقاعي فيمكن استخلاصها من خلال بحثه العلمي والرحلات العلمية التي قام بها، حيث تنقل الإمام البقاعي داخل قرى سوريا وتنقل بين الأقطار الشامية فزار بيت المقدس، ورحل إلى مصر، وزار مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف([3])، ويمكن تقسيم رحلاته العلمية إلى ثلاث مراحل:

=الأمراء الجراكسة انتخبوا الخليفة المستعين بالله سلطانا على أثر فتنة وقعت سنة ٨١٥هـ، وبقيت الخلافة في مصر مع العباسيين والوضع مضطرب حتى استولى عليها السلطان سليم إذا كانت بلاد مصر في أيام حياة الإمام البقاعي ضعيفة لا سلطة فيها للخلفاء فقد كان حكمهم شكليا، ثم آل الحكم إلى أيدي المماليك الجراكسة الذين تتابعوا على الحكم بطريقة الانتخاب غالبا، وكان أول مماليكهم برقوق وفي عهده حصلت أولى الصلات بين المماليك والدولة العثمانية، وحتى مع حكم المماليك الجراكسة فإن الأمور لم تكن مستقرة حيث نرى أن حكم بعض الأمراء لم يستمر شهر أو شهرين كما فعل الأتابكي جقمق أحد مماليك الظاهر برقوق عند خلع يوسف بن الأشرف من ملوك الجراكسة بعد توليه سنة عام ٨٤٢هـ وفي أيامه توفي أمير المؤمنين المعتضد بالله سنة ٨٤٥هـ وبويع أخوه سليمان وهو المستكفي بالله ثم تولى المستكفي عام ٨٥٥هـ، وبويع أخوه حمزة بعده وهو القائم بأمر الله، وفي خلافته مرض الملك الظاهر جقمق وتولى ابنه عثمان مكانه سنة ٨٥٧هـ وفيها توفي جقمق، ولم تدم سلطة عثمان (المنصور) إلا شهر ونصف عزله الأتابك أينال العلائي بعد حرب استمرت أسبوع بين مماليك الطرفين وفي سنة ٨٥٩هـ خلع السلطان الخليفة المستكفي وبايع أخاه يوسف (المستنجد بالله) وهو ثالث عشر الخلفاء العباسيين بمصر، وتوفي في خلافته أينال سنة ٨٦٥هـ وحل ابنه أحمد مكانه وعزل بعد أربعة أشهر، وهكذا كانت تسير الأمور والأحوال حتى تولى قايتباي الجركسي وانقطعت الفتنة وطال حكمه نحوا من ثلاثين سنة أنشأ معها كثير من المدارس والتكايا والجوامع ببلاد مصر والشام ومكة والمدينة. انظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٩١-٩٤، تحقيق: د.إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. تاريخ الدولة الإسلامية ص١١٧.

[1] – يشير إلى قتل بني مزاحم لوالده وأقاربه .

[2] – انظر: شذرات الذهب ٣٤٠/٧.

[3] – انظر: شذرات الذهب ٣٤٠/٧، مفاكهة الخلان ص٢٣، الضوء اللامع ص١٠٢.

المرحلة الأولى (٨٠٩هـ-٨٣٥هـ)([1])

نلمح من حياة الإمام البقاعي أنه بدأ بقراءة كتاب الله تعالى عندما أدرك، وعندما ألمت به البلية بقتل والده وعمه وستة من أقاربه وكان عمره اثنتي عشرة سنة غادر قريته مع جده وأمه متجولا في القرى السورية حتى استقر عام ٨٢٣هـ في دمشق، وهنا نشط في طلب العلم فاخذ العلم عن ثلة من العلماء من أشهرهم: ابن الجزري([2])، وقد نال إعجاب مشايخه بسبب انكبابه على العلم واجتهاده في تحصيله.

ثم إنه رحل إلى القدس مع والدته فدرس هناك على مجموعة من الشيوخ علوما مختلفة، منهم: العماد بن شرف([3]) حتى لقبه العماد بالشيخ والإمام المقريء المجيد.

وفي القدس ماتت أمه الأمر الذي اضطره للعودة إلى دمشق فعاد وقرأ بها على ابن قاضي شهبة([4])، وتقي الدين الحصني الشافعي([5])، ثم رحل إلى القدس، وتلقى العلم فيها على مجموعة من الشيوخ، مثل: زين الدين ماهر بن عبد الله([6])، وغيره، ثم رحل إلى الخليل([7]) ثم

---

[1] - الإمام البقاعي ص ١٧-١٩ بتصرف.

[2] - محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري متوفى سنة ٨٣٣هـ. وسنستوف ترجمته عند الحديث عن شيوخ البقاعي.

[3] - إسماعيل بن إبراهيم بن شرف بن جماعة الكناني عماد الدين أبو الفداء المقدسي الشافعي ولد سنة ٧٨٢هـ، وتوفي سنة ٨٥٢ هـ. من تصانيفه: أسنان المفتاح مختصر مفتاح ابن الهائم، توضيح الألفية للبرماوي، تهذيب التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي في الفروع، شرح بعض ألفاظ الشفا للقاضي عياض، شرح البهجة الوردية من منظومات حاوي الصغير في الفروع، شرح منهاج الطالبين للنووي في الفروع، طبقات الشافعية، وغير ذلك. انظر: هدية العارفين ٢١٦/٥-٢١٧.

[4] - محمد بن تقي الدين أبي بكر أمد الأسدي بدر الدين أبو الفضل المعروف بابن قاضي شهبة الدمشقي الشافعي، سنستوف ترجمته عند الحديث عن شيوخ البقاعي.

[5] - أبو بكر محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى بن موسى بن حريز بن سعيد بن داودين، سنستوف ترجمته عند الحديث عن شيوخ البقاعي

[6] - زين الدين ماهر بن عبد الله: هو ماهر بن عبد الله بن نجم بن عوض بن نصير بن نصار الزين أبو الجود الأنصاري البلقسي الأصل ثم البلهيائي، ولد سنة ٧٧٤هـ وقيل ٧٩، بقرية بلهية من أعمال القاهرة، ونشأ بها وحفظ القرآن عند جماعة، توفي سنة ٨٦٠هـ ودفن بمقبرة باب الرحمة شرقي المسجد الأقصى. انظر: الضوء اللامع ٢٣٦/٦.

[7] - الخَليلُ: اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في مغارة تحت الأرض وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع وضيافة للزوار وبالخليل سمي الموضع واسمه الأصلي حبرون وقيل حَبرى. معجم البلدان ٣٨٧/٢.

إلى غزة[1] ثم إلى القاهرة وهناك تشرف بلقاء ابن حجر[2] الذي طالما تشوف للقائه كثيرا سنة ٨٣٤هـ فأذن له ابن حجر بالتدريس بعدما عرف علمه ثم عاد إلى القدس ثم رجع إلى القاهرة سنة ٨٣٥هـ ليبقى بها خمسة وأربعين عاماً.

المرحلة الثانية (٨٣٥هـ-٨٨١هـ)[3]

اتخذ الإمام البقاعي القاهرة له وطنا وإقامة، وأقام فوق مسجد في (رحبة باب العيد)[4]، حيث تولى فيه وظيفة معيد[5]، وبقي الإمام يلازم ابن حجر في حله وترحاله، وفي هذه المرحلة نشط الإمام البقاعي في التأليف ثم رحل مع ابن حجر إلى الشام حيث تلقى أيضا العلم عن علماء كبار كالبرهان الطرابلسي[6]، والشهاب الرملي[7] وغيرهما، ثم عاد إلى القاهرة سنة ٨٣٧هـ، وقرأ على مجموعة كبيرة من العلماء كالمشدالي[8]، حيث تعلم منه القاعدة الكلية لتناسب آيات وسور القرآن الكريم، وعلى أساسها أقام تفسيره (نظم الدرر)، وهذه القاعدة هي التي عابها عليه الإمام السخاوي حيث قال: "أبو الفضل المغربي وهو الذي

---

1 - غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلُ وهي من نواحي فلسطين غربيَ عسقلان. قال أبو المنذر: غزة كانت امرأة صور الذي بَنَى صور مدينة الساحل قريبة من البحر، فيها مات هاشم بن عبد مناف جدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها قبره ولذلك يقال لها غزة هاشم، بها وُلد الإمام أبو عبد اللهَ محمد بن إدريس الشافعي رضي اللهَ عنه. معجم البلدان ٢٠٢/٤.

2 - ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي بن حجر الكناني الحافظ أبو الفضل شهاب الدين العسقلاني ثم المصري الشافعي ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢ هـ. وسنستوف ترجمته عند الحديث عن شيوخ البقاعي.

3 - انظر: الإمام البقاعي ص ١٩-٢٣.

4 - هي رحبة واسعة كانت أمام الباب الشرقي للقصر الفاطمي الكبير الذي أنشأه جوهر الصقلي للمعز الفاطمي. الإمام البقاعي ص١٩.

5 - معيد وظيفة يقوم بها صاحبها بتفهيم بعض الطلاب ما لم يستطيعوا فهمه من الشيخ فيعيد الدرس عليهم بشيء من التوضيح. الإمام البقاعي ينسبه للتاج السبكي في معيد النعم ومبيد النقم. الإمام البقاعي ص ١٩.

6 - البرهان الطرابلسي: إبراهيم بن محمد بن خليل المعروف بسبط ابن العجمي برهان الدين الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ هـ. وسنستوف ترجمته عند الحديث عن شيوخ البقاعي.

7 - الرملي: أحمد بن أمين الدين حسين بن الحسن بن علي ابن يوسف بن علي ابن رسلان الرملي شهاب المقدسي الشافعي ولد سنة ٧٥٣ وتوفي سنة ٨٤٤ هـ، له من التصانيف: تعليقة على الشفا للقاضي عياض، تنقيح الأذكار، الروضة الأريضة في قسم الفريضة، الزبد فيما عليه المعتمد، سطور الأعلام، شرح الجامع الصحيح للبخاري، شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول، شرح الحاوي في الفروع شرح سنن أبي داود،. هدية العارفين ١٢٦/٥-١٢٧.

8 - المشدالي: هو محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد بن حسن بن عبد المحسن أبو الفضل، ولد ٨٢٢هـ ، وتوفي سنة ٨٦٥هـ. وسنستوف ترجمته عند الحديث عن شيوخ البقاعي.

اعلمه بالقاعدة التي تجرأ بها على كتاب الله"[1]، سبحان الله! وهل في نظم الدرر تجرؤ على كتاب الله أم هو خدمة لكتاب الله، لقد ألفيت نظم الدرر اسما على مسمى وهو بالمقام الأعلى من العلوم التي ما سبقها إليه منظوم كامل – فيما اعلم-.

وقد طوف في عدة بلدان من مصر ثم سافر إلى الحجاز سنة ٨٤٨هـ للحج ومكث بها عاما يطوف بالجزيرة العربية ثم عاد إلى القاهرة سنة ٨٤٩هـ وشارك بغزو دمياط سنة ٨٥١هـ -٨٥٢هـ وفي هذه المدة كان ملازما لابن حجر حتى توفاه الله سنة ٨٥٢هـ، وبعدها عاد إلى القاهرة حتى عام ٨٨٠هـ.

وهذه المرحلة هي مرحلة تميز بها الإمام البقاعي في اكتساب كثير من المهارات العلمية والاجتماعية وأصبح من الذين لا يستغنى عنهم ولا عن علمهم.

المرحلة الثالثة (٨٨١هـ-٨٨٥هـ)[2]

وهذه المرحلة قصيرة حيث كانت رحلته من القاهرة إلى دمشق، وهناك تلقاه ابن قاضي عجلون([3]) وتلاميذه، فأكرمه وأجلَّه إلى أن قامت فتنة (ليس في الإمكان أبدع مما كان) والتي رد البقاعي على الغزالي فيها فما كان من آثارها إلا أن قوطع الإمام البقاعي واعتدي عليه بسبب ذلك.

وفي دمشق ألف بعض كتبه ورسائله وحرر وبيض نسخته الأخيرة من نظم الدرر، وهنا تنتهي حياة الإمام البقاعي.

---

[1] – انظر: الضوء اللامع ص ١٠٢.

[2] – انظر: الإمام البقاعي ص ٢٣-٢٤.

[3] – ابن قاضي عجلون: أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن قاضي عجلون الزرعي تقي الدين أبو الصفا الدمشقي الشافعي ولد سنة ٨٤١ وتوفي سنة ٩٢٨ هـ. من مصنفاته: أعلام النبيه مما زاد على المنهاج من الحاوي والبهجة والتنبيه: عمدة النظار في تصحيح غاية الاختصار لأبي شجاع في الفروع: الكفاية في نظم الغاية كذا. مناسك الحج. انظر: شذرات الذهب ٨/١٥٧-١٥٨. هدية العارفين ٥/٢٣٨.

الفصل الثالث

الحياة العلمية للإمام البقاعي

أولا: شيوخ الإمام البقاعي

لقد أخذ الإمام البقاعي العلم عن مجموعة من العلماء، من أشهرهم: ابن الجزري، ابن حجر، التقي بن قاضي شهبة، القاياتي، الجلال المحلي، المجد البرماوي، البدر البوصيري، ابن ناصر الدين، التقي الحصني، العماد بن شرف، أبو الفضل المغربي المشدالي، الفخر الأسيوطي، الشرف المناوي، البرهان الطرابلسي (سبط ابن العجمي)، والبدر العيني([1])، وهذه تراجمهم:

١- محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، شمس الدين أبو الخير الدمشقي، الشافعي، ولد بدمشق سنة ٧٥١ وتوفي بشيراز سنة ٨٣٣ هـ، مقرئ الممالك الإسلامية، من تصانيفه: الإبانة في العمرة من الجوانة، الإجلال والتعظيم في مقام إبراهيم، أربعين في الحديث، أسنى المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه-، أصول القراءات، الاعتراض المبدي لوهم التاج الكندي، الإعلام في أحكام الإدغام، الألغاز قصيدة همزية في القراءات، الأولوية في أحاديث الأولية، البداية في علوم الرواية، البيان في خط عثمان تحبير التيسير في القراءات، تذكرة العلماء في أصول الحديث، المقدمة الجزرية في التجويد، مقدمة في الحديث، وغير ذلك.([2])

---

[1] - انظر: الضوء اللامع ١/١٠٢-١٠٤. وللاستزادة انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان ص٢٤، حرره: د. فيليب حتى ١٩٢٧م، المطبعة السورية الأموية في نيويورك لصاحبها سلوم مكرزل. شذرات الذهب ٧/٣٤٠. الإمام البقاعي ص٢٧/٤١.

[2] - انظر: شذرات الذهب ٧/٢٠٤-٢٠٦. هدية العارفين ٦/١٨٧-١٨٨.

٢- أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي بن حجر الكناني، الحافظ أبو الفضل شهاب الدين العسقلاني ثم المصري الشافعي، ولد سنة ٧٧٣ وتوفي سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة، من مصنفاته: آيات النيران للخوارق المعجزات، اتباع الأثر في رحلة ابن حجر، إتحاف المهرة بأطراف العشرة، الإتقان في فضائل القرآن، الأجوبة المشرقة عن الأسئلة المفرقة، الأحكام بما في القرآن من الإبهام، أسباب النزول، الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة، الاستبصار على الطاعن المعثار، الإصابة في تمييز الصحابة، أطراف الصحيحين البخاري ومسلم، أنباء الغمر في أبناء العمر في التاريخ والتراجم، تحرير الميزان في مختصر ميزان الاعتدال الذهبي في التاريخ، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، فتح الباري شرح صحيح البخاري، وغيرها([1]).

٣- محمد بن تقي الدين أبي بكر أمد الأسدي بدر الدين أبو الفضل المعروف بابن قاضي شهبة الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ، من تصانيفه: إرشاد المحتاج في شرح المنهاج للنووي في الفروع، بداية المحتاج في شرح المنهاج، تطريف المجالس بذكر الغوالي والنفائس، الدر الثمين في سيرة نور الدين، طبقات الفقهاء، المسائل المعلمات بالاعتراضات على المهمات، الكواكب الدرية في السيرة النبوية([2]).

٤- محمد بن علي بن يعقوب القاياتي القاضي شمس الدين أبو عبد الله المصري ثم القاهري، الشافعي، نسبة إلى قايات بلدة قرب الفيوم، حضر دروس كثير من العلماء وبرع في الفقه والعربية والمعاني وسمع الحديث ودرَّس وانتفع به خلق كثير، ولد سنة ٧٨٥ وتوفي سنة ٨٥٠هـ، له من المصنفات: الذيل والنكت على قوت القلوب، شرح المنهاج للنووي في الفروع([3]).

---

[1] - انظر: شذرات الذهب ٢٧٠/٧-٢٧٣. هدية العارفين ١٢٨/٥.
[2] - انظر: هدية العارفين ٢٠٦/٦.
[3] - انظر: شذرات الذهب ٢٦٧/٧-٢٦٨. هدية العارفين ١٩٦/٦.

٥- محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلى جلال الدين المصري الفقيه الشافعي، ولد سنة ٧٩٠ وتوفي سنة ٨٦٤ هـ، من تصانيفه: الأنوار المضية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم، تسهيل الفوائد في النحو لم يكمل، تفسير القرآن إلى سورة الإسراء أكمله جلال الدين السيوطي، الجهر بالبسملة، شرح الأعراب عن قواعد الإعراب، شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول شرح مقصورة ابن حازم، شرح الورقات لإمام الحرمين في الأصول، كنز الذخائر في شرح التائية، كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين للنووي في الفروع، مناسك الحج، وغير ذلك([1]).

٦- مجد الدين إسماعيل بن أبي الحسن علي بن محمد البرماوي المصري الشافعي، ولد حدود ٧٥٠هـ، ودخل القاهرة قديما، واخذ عن المشايخ وسمع ومهر في الفقه والفنون وتصدى للتدريس، توفي في نصف ربيع الآخر سنة ٨٣٤هـ([2]).

٧- أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز الكتابي الحافظ البوصيري الشافعي، ولد سنة ٧٦٢ وتوفي سنة ٨٤٠ هـ، من تصانيفه: إتحاف الخيرة بزوائد المسائل العشرة، تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب، زوائد سنن ابن ماجة على كتب الحافظ الخمسة، زوائد نوادر الأصول للحكيم الترمذي، وغير ذلك([3]).

٨- محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد الحافظ شمس الدين القيس الشافعي الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي، ولد سنة ٧٧٧ وتوفي سنة ٨٤٢ هـ، له من التصانيف: إتحاف السالك برواة الموطأ عن مالك، إتحاف السامع بافتتاح الجامع في فضل الحديث وأهله، افتتاح القاري في شرح الجامع الصحيح للبخاري، برد الأكباد عند فقد الأولاد، الترجيح لحديث صلاة

---

[1] - انظر: شذرات الذهب ٣٠٣/٧-٣٠٤. هدية العارفين ٢٠٢/٦.
[2] - انظر: شذرات الذهب ٢٠٨/٧.
[3] - انظر: شذرات الذهب ٢٣٣/٧-٢٣٤. هدية العارفين ١٢٤/٥.

التسابيح، توضيح المشتبه في المؤتلف والمختلف، جامع الآثار في مولد المختار، منهاج الأصول في معراج الرسول، نشر النعمة بذكر الرحمة، وغيرها([1]).

٩- أبو بكر محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى بن موسى بن حريز بن سعيد بن داودين، يصل نسبه إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر الحصني نسبة إلى الحصن قرية من قرى حوران، ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، ولد سنة ٧٥٢هـ وتفقه على كثير من العلماء، كان يميل إلى التقشف ويبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، له من المصنفات: شرح التنبيه والمنهاج، وشرح مسلم، وخرج أحاديث الإحياء وغيرها([2])

١٠- محمد بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن هبة الله بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي الفضائل عثمان بن أبي الحسن علي بن يوسف الفخر الأسيوطي، ولد في أواخر سنة ٧٩٢هـ، وقيل أول ٧٩٣هـ، نشأ فحفظ القرآن وكتبا وعرض على جماعة وسمع من كثير من العلماء، حج مرارا وجاور في بعضها بعض سنة، كان مقداما عالي الهمة شديد العصبية متوددا لأصحابه كثير الموافاة لهم مذكورا بالمجازفة وعدم التحري، مات في جمادى الثانية سنة ٨٧٠هـ وصلي عليه بجامع الأزهر في مشهد حافل، ودفن في ظاهر باب المحروق([3]).

١١- شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام المناوي الحدادي، الشافعي، قاضي القضاة ومدرس الشافعية بمصر، ولد سنة ٧٩٨هـ وتوفي في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٧١هـ، له من المصنفات: تعليقة على شرح مختصر المزني

---

[1] - انظر: هدية العارفين ١٩٣/٦.

[2] - انظر: شذرات الذهب ١٨٨/٧-١٨٩.

[3] - انظر: الضوء اللامع ٣٧/٩-٣٨

في الفروع، حاشية على البهجة للعراقي، حاشية على شرح الحاوي لأبي زرعة، شرح البهجة للعراقي، فتاوى الحدادي(1).

١٢- إبراهيم بن محمد بن خليل المعروف بسبط ابن العجمي برهان الدين الحلبي، المتوفى سنة ٨٤١ هـ، له من المصنفات: الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط، التبيين في أسماء المدلسين، تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم، التلقيح لفهم قارئ صحيح البخاري، شرح سنن ابن ماجه، المقتفي في حل ألفاظ الشفا للقاضي عياض، نور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس، نهاية السول في رؤية الستة الأصول، وغير ذلك(2).

١٣- بدر الدين محمود بن القاضي شهاب الدين احمد بن موسى بن احمد بن الحسين بن يوسف بن محمود أبو محمد العيني، ثم المصري، الفقيه الحنفي المعروف بالعيني نسبة إلى مولده في بلدة عينتاب، ولد سنة ٧٦٢ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ، صنف من الكتب البناية في شرح الهداية للمرغيناني، تاريخ الأكاسرة، تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر، درر البحار الزاهرة في نظم البحار الزاخرة لحسام الرهاوي، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عمدة القاري في شرح الجامع الصحيح للبخاري، كشف اللثام في شرح سيرة ابن هشام، منحة السلوك شرح تحفة الملوك في الفروع، وغيرها(3).

١٤- محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد بن حسن بن عبد المحسن أبو الفضل، ابن العلامة الورع الزاهد أبي عبد الله، ابن العلامة الزاهد المنقطع إلى الله المشدالي الزواوي البجائي المغربي المالكي، ولد ٨٢٢هـ ببجاية، وقال فيما أملاه على

---

1 - انظر: شذرات الذهب ٣١١/٧-٣١٢. هدية العارفين ٥٢٨/٦.
2 - انظر: هدية العارفين ١٩/٥-٢٠.
3 - انظر: هدية العارفين ٤٢٠/٦-٤٢١.

البقاعي كما زعمه أنه ابتدأ بها في حفظ القرآن وهو في الخامسة فأكمل حفظه فـــي ســـنتين ونصف، توفي سنة ٨٦٥هــ([1]).

ثانيا: تلاميذ الإمام البقاعي

إن التلميذ امتداد لشيخه وحامل لفكره وناشر لجهده فلا بد أن نذكر بعضا منهم، حيث درس على الإمام البقاعي واخذ العلم عنه عدد كثير من العلماء مع اختلافهم في مدة الملازمة له أو مقدار الاستفادة منه، وخصوصا إذا علمنا – وكما ذكر سابقا– أنه قد تولى وظيفة معيد وأقرأ القرآن الكريم وتعيين شيخه ابن حجر له معلما لتعليم صحيح البخاري، فكان له تلاميـــذ اخذوا عنه العلم ونشروه، من أشهرهم:

شهاب الدين احمد بن محمد الرملي، بركات بن محمد ابن أبي نمي المـــالكي، كمـــال الدين بن الهمام الحنفي، أبو المفاخر النعيمي عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن نعـــيم النعيمـــي الـــشافعي الدمـــشقي، ابـــن الحمـــلاوي احمـــد بـــن احمـــد بن محمد بن عبد الله بن زهير الرملي الدمشقي الشافعي، الجلال السيوطي عبد الرحمن بـــن أبي بكر بن عثمان بن محمد الخضيري السيوطي، وحسن بن علي بن يوسف الحـــصكفي([2])، وهذه تراجمهم:

١– شهاب الدين احمد بن محمد بن علي الرملي، ثم الدمشقي، الشافعي، الشهير بابن الملاح، ولد سنة ٨٥٩هــ، وكان على جانب كبير من العلم والديانة وصفاء القلب، إماما فـــي القراءات، توفي يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٩٢٣هــ([3]).

---

[1] – انظر: الضوء اللامع ٣٨٣/٤. هدية العارفين ٢٠٢/٦.
[2] – الإمام البقاعي ص ٤٤–٤٦.
[3] – انظر: شذرات الذهب ١٢٣/٨.

٢- الشريف بركات بن محمد سلطان الحجاز والد الشريف أبي نمي، توفي سنة ٩٣٠هـ([1]).

٣- محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم السكندري، كمال الدين الحنفي المعروف بابن الهمام، ولد سنة ٧٩٠ وتوفي سنة ٨٦١ هـ، له من المصنفات: تحرير الأصول، زاد الفقير في الفروع، شرح بديع النظام لابن الساعاتي في الفروع، شرح حديث كلمتان خفيفتان، فتح القدير للعاجز الفقير من شروح الهداية للمرغيناني في الفروع، فواتح الأفكار في شرح لمعات الأنوار مقدمة التسريح، المسايرة في العقائد، المنجية في الآخرة، وغير ذلك([2]).

٤- عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف ابن عبد الله بن نعيم بالتصغير أبو المفاخر النعيمي الدمشقي محيي الدين، أحد نواب قضاة الشافعية بدمشق، ولد سنة ٨٤٥هـ وتوفي سنة ٩٢٧ هـ، له من المصنفات: إفادة الثقل في الكلام على العقل، تحفة البررة في الأحاديث المعتبرة، تذكرة الإخوان في حوادث الزمان، تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فيما بدمشق من المدارس، العنوان في ضبط المواليد ووفيات أهل الزمان، وغير ذلك([3]).

٥- شمس الدين احمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن زهير بن خليل الرملي ثم الدمشقي الشافعي، الإمام العلامة، ولد بالرملة سنة ٨٥٤هـ ونشأ بها، ثم تحول إلى دمشق وحفظ المنهاج وألفية النحو وغيرها، واخذ العلم عن كثير من العلماء، لازم البقاعي حين إقامته بدمشق واخذ عنه كثيرا، توفي سنة ٩٢٣هـ([4]).

[1] – انظر: شذرات الذهب ١٧٢/٨.
[2] – انظر: شذرات الذهب ٢٩٨/٧-٢٩٩. هدية العارفين ٢٠١/٦.
[3] – انظر: شذرات الذهب ١٥٣/٨، هدية العارفين ٥٩٨/٥.
[4] – انظر: شذرات الذهب ١٢٠/٨-١٢١.

٦- عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر ابن محمد بن سابق الدين بن فخــر الــدين عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضيري الإمام جلال الــدين الــسيوطي المصري الشافعي، ولد سنة ٨٠٩هـــ وتوفي في التاسع من جمادى الأولى لسنة ٩١١ هـــ. له من المصنفات: أبواب السعادة في أسباب الشهادة، إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء، الإتقان فـــي علوم القرآن، آداب الملوك، أدب القاضي على مذهب الشافعي([1])، أدب المفرد في الحــديث، أربعين في رفع اليدين في الدعاء، أربعين في فضل الجهاد، الأزهار المتناثرة فـــي الأخبـــار المتواترة، الأشباه والنظائر في الفقه، أطراف الأشراف، وغير ذلك([2])

٧- حسن بن علي بن يوسف بن المختار الأربلي الأصل الحصكفي الحلبي الــشافعي المعروف بابن السيوفي، العلامة شيخ الإسلام، ولد سنة ٨٥٠هـــ ، حفظ القــرآن والمنهـــاج للنووي والإرشاد لابن المقري وغيرها، قرأ على علماء كثر واخذ عـــن البرهـــان البقـــاعي، وأجازه بالإفتاء والتدريس جماعة، صار أعجوبة زمانه وواسطة عقد أقرانه، توفى بحلب سنة ٩٢٥ هـــ، له من المصنفات: حاشية على الشرح المتوسط للكافية في النحو([3]).

ثالثا: مؤلفات الإمام البقاعي

للإمام البقاعي خلال حياته ورحلاته العلمية – والتي نذرها في سبيل الله – مؤلفـــات كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، منها ما وصل إلينا واطلعنا عليه ومنها ما لم

---

[1] – الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة واليه نسبت الشافعية كاملة، ولد في غزة في فلسطين عام ١٥٠هـــ، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩هـــ فتوفي بها ســـنة٢٠٤هـــــ، وقبـــره معروف في القاهرة، له من المصنفات: كتاب الأم، أحكام القرآن، الرسالة في أصول الفقه، اختلاف الحديث. انظر: الأعلام ٢٤٩/٦. هدية العارفين ٩/٦.

[2] – انظر: شذرات الذهب ٥١/٨-٥٥. هدية العارفين ٥٣٤/٥-٥٤٤.

[3] – انظر: شذرات الذهب ١٣٣/٨-١٣٤.

يصل إلينا ولم نطلع عليه وقد شملت مؤلفاته مختلف العلوم من عقيدة، وتفسير، وعلوم قران، وحديث وعلومه، وفقه وأصوله، ولغة، وتاريخ، وآداب، ومن هذه المؤلفات:

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إشعار الواعي بأشعار البقاعي، الاطلاع على حجة الوداع، الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة، النكت الوفية في شرح الألفية، إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر، الباحة في علمي الحساب والمساحة، صواب الجواب للسائل المرتاب المعارض المجادل في كفر ابن الفارض، تحذير العباد من الحلول والاتحاد، تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض، تهديم الأركان من (في) ليس في الإمكان أبدع مما كان، شرح كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي، تهذيب النظوم، جواهر البخاري في سيرة النبي المختار(أرجوزة)، دلائل البرهان لمنصفي الإخوان على طريق الإيمان، ذم الكلام، رفع اللثام عن عرائس النظام، السيف المسنون اللماع على المفتي المفتوح بالابتداع، الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات عظم وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة، نكت على شرح العقائد النسفية، عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، الفارض ذكره في دلالة البرهان، خبر الزاد في كتاب الاعتقاد وهو كتاب انتقاء لكتاب البيهقي الاعتقاد، سر الروح، كفاية القارئ، ما لا يستغني عنه الإنسان من ملح اللسان، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور([1])، وهناك غيرها ذكر في غير ما موضع.

وموضوع بحثنا هو كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) حيث كان ابتداؤه به في شعبان سنة ٨٦١هـ، وفرغه من المسودة يوم الثلاثاء السابع من شعبان ٨٧٥هـ، فتلك ١٤سنة وفرغه من المبيضة عصر الأحد العاشر من شعبان سنة ٨٨٣هـ، فتلك اثنتان

---

[1] – انظر: كشف الظنون وعلى الترتيب ١/١٩٦١، ١٠٤، ١١٧، ١٤٠، ١٥٦، ١٧٠، ٢١٦، ٢٦٧، ٣٥٥، ٣٨٢، ٥١٣، ٦٠٢، ٦١٢، ٧٥٩، ٨٢٨، ٩١٠، ٩١١، ٢/١٠١٨، ١٠٩٠، ١١٤٢، ١١٤٥، ١١٧٤–١١٧٥، ١٣٦٥، ١٣٩٣، ١٤٢١، ١٥٠٠، ١٥٧٥، ١٧٠٤. الأعلام ١/٥٠. معجم المؤلفين ١/ ٤٩–٥٠.

وعشرون سنة بعدد سني النبوة الزاهرة([1])، وقد طبع الكتاب عدة طبعات كانت طبعته الأولى في اثنين وعشرين مجلدا من القطع المتوسط ولا يزيد المجلد عن (٣٠٠) صفحة، حيث كانت طباعته سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، وكان توزيعه عن طريق مكتبة ابن تيمية بالقاهرة. وما اعتمدته الطبعة الثانية بثمانية مجلدات بلغ عدد صفحاتها (٥٠٦٣) صفحة، طبعت بدار الكتب العلمية في بيروت سنة ٢٠٠٣م، وهي من القطع المتوسط حيث كان عدد صفحات أقل مجلد (٥٦٧) صفحة، وأكثر مجلد (٧٦٠).

هذا وقد ذكر الإمام البقاعي أنه استعان بمجموعة مؤلفات في تفسيره منها([2]): المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن([3])، والبرهان في علوم القرآن([4])، وسراج المريدين([5])، سراج الباب المقفل لفهم القرآن المنزل([6])، وتفسير ابن النقيب الحنفي([7]).

---

[1] – نظم الدرر ٨/٦٢٠.

[2] – نظم الدرر ١/٧.

[3] – مؤلفه العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي شهاب الدين أبو جعفر الغرناطي المالكي توفي سنة ٧٠٨ هـ. له من الكتب: الأعلام ممن ختم به قطر الأندلس من الأعلام، البرهان في تناسب سور القرآن، ذيل الصلة لابن بشكوال، ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل، معجم الشيوخ، ملاك التأويل اللفظي من آي التنزيل في فنون التفسير، هدية العارفين ٥/١٠٣.

[4] – مؤلفه الإمام محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المصري الشافعي ولد سنة ٧٤٥هـ. وتوفى سنة٧٩٤هـ، له من الكتب: أعلام الساجد بأحكام المساجد، البحر المحيط في الأصول، البرهان في علوم القرآن، تخريج أحاديث الرافعي، تجلي الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، التذكرة، تشنيف المسامع بشرح جمع الجوامع في الفقه، تفسير القرآن إلى سورة مريم، التنقيح في شرح الجامع الصحيح للبخاري، خادم الرافعي والروضة في الفروع، خبايا الزوايا في الفروع، الديباج لشرح المنهاج للنووي في الفروع، وغيرها. هدية العارفين ٦/١٧٤.

[5] – مؤلفه: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن المغربي ويقال ابن العربي القاضي أبو بكر المعافري الإشبيلي الأندلسي ولد سنة ٤٦٨ وتوفي سنة ٥٤٣ هـ، صنف من الكتب أحكام القرآن، أعيان الأعيان، الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، الأنصاف في مسائل الخلاف، أنوار الفجر المنير في التفسير ثلاثين، تبيين الصحيح وتعيين الذبيح، ترتيب الرحلة، ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك، تفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل، التوسط في معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد، الحاكمة في الفتاوى، وغير ذلك. هدية العارفين ٦/٩٠.

[6] – مؤلفه الإمام الرباني علي بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم الحرالي التجيبي أبو الحسن الأندلسي المالكي نزيل الشام المتوفى سنة ٦٣٧ هـ، من تصانيفه: إصلاح العمل لانتظار الأجل، الالماع بطرف من الانتفاع في علم الحروف، الأيمان التام بالنبي عليه الصلاة والسلام، السر المكتوم في مخاطبة النجوم، شرح أسماء الله الحسنى، شرح الشفا في الحديث، شرح الموطأ، شمس مطالع القلوب وبدر طوالع الغيوب، فتح الباب المقفل في فهم الكتاب المنزل في تفسير القرآن، وغيرها. هدية العارفين ٥/٧٠٧-٧٠٨.

[7] – مؤلفه الإمام محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي الأصل جمال الدين أبو عبد الله المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب ولد سنة ٦١١ وتوفي سنة ٦٩٨ هـ، من تصانيفه: التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير. هدية العارفين ٦/١٣٩.

وقد مر الإمام البقاعي أثناء تفسيره لنظمه بمحن كادت أن تودي بالكتاب وتصدى لها بكل عزيمة وقوة وهذا ما يوضحه كلامه فيقول: "ولولا معونة الله أضحى – أي كتاب نظم الدرر – معدوما أو ناقصا مخروما، فإني بعدما توغلت فيه واستقامت لي مبانيه فوصلت إلى قريب نصفه فبالغ الفضلاء في وصفه بحسن سبكه وغزارة معانيه وإحكام رصفه، دب داء الحسد في جماعة أولي النكد والمكر واللدد يريدون الرياسة بالباطل وكل منهم من جوهر العلم عاطل، فأكثروا التشييع بالتشنيع والتقبيح والتبشيع والتخطئة والتضليل بالنقل من التوراة والإنجيل"([1])، ولكن الإمام البقاعي رد عليهم في كل هذا وبين وجه الصواب وأظهر عوارهم وبذلك تمت مشيئة الله تعالى أن يظهر هذا السفر العظيم والتفسير الجليل والذي لم يسبق بمثله ككتاب كامل متكامل في هذا الفن فنفع الله به أمة الإسلام.

رابعا: ثناء العلماء عليه

إذا كان بين الأقران من لم ينصف قرينه بسبب ما يحدث بينهما من تنافس فان هناك من يعرف الفضل لقرينه، بل يثني عليه بما هو أهله، فرغم ما قاله فيه الإمام السخاوي ولم يكن حقا فقد مدحه كثير من العلماء منهم محمد بن احمد بن إياس الحنفي([2]) حيث قال: "ليس من مساوئه سوى حطه على الشيخ عمر بن الفارض"([3])، وإذا علمنا استقامة كلام الإمام البقاعي في ابن الفارض فيكون كلام ابن إياس ثناء على البقاعي.

[1] – نظم الدرر ٨/٦٢٠.

[2] – ابن إياس الحنفي: هو محمد بن أحمد بن الياس المصري المؤرخ الحنفي الشهير بابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ، من تصانيفه: بدائع الزهور ووقائع الدهور، عقود الجمان في وقائع الزمان، نزهة الأمم في العجائب والحكم، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة. انظر: هدية العارفين ٦/٢٣١.

[3] – بدائع الزهور ص١٦٩.

قال الإمام السيوطي في تعريفه بالإمام البقاعي: "أبـو الحـسن العلامـة المحـدث الحافظ"([1]).

قال ابن العماد الحنبلي: "وبالجملة فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته"([2]).

وأثنى عليه شيخه الحافظ احمد بن حجر العسقلاني وأقامه في مكانه لقراءة صـحيح البخاري في قصر السلطان بالقلعة بالقاهرة ووصفه بالعلامة المقريء الشيخ المجيد.

ووصفه ابن تغري بردى([3]) بالعلامة الحافظ، وقال فيه الإمام الشوكاني([4]): (أنه برع في جميع العلوم وفاق الأقران لا كما يقول السخاوي: "انه بلغ رتبة العلماء بل قصارى أمـره إدراجه في الفضلاء، وأنه ما علمه أتقن فنا وتصانيفه شاهدة لما قلته"، قلت – أي الشوكاني–: بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله وأنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميـع المعـارف، ولكن هذا من كلام الأقران من بعضهم ببعض، ومن أمعن النظر في كتاب المترجم لـه فـي التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المنقول والمعقول([5]). فهذه شهادة بعض العلماء المعاصرين له ومن أتى بعد عصره، وقد أنصف الشوكاني عندما قال: وتصانيفه شاهدة لما قلته.

ولو اقتصر جهد الإمام البقاعي على نظم الدرر لكفى، فان ما فيه دلالة علـى سـعة علمه ورجاحة عقله.

---

1 – نظم العقيان ص٢٤.

2 – شذرات الذهب ٣٤٠/٧.

3 – ابن تغري بردى: هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأتابكي تغري بردى البشقاوي القاهري نائب الشام يعرف بابن تغري بردى الأديب المؤرخ ولد سنة ٨١٣هـ، وتوفي سنة ٨٧٤ هـ، مـن تـصانيفه: البشارة في تكميل الإشارة للذهبي حلية الصفات في الأسماء والصناعات في الأدب، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ذيلا على تاريخ المقريزي المسمى بالسلوك، الدليل الشافي على المنهل الصافي فـي تـراجم الأعيان، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نزهة الزاي في التاريخ. انظر: هدية العارفين ٥٦٠/٦.

4 – الشوكاني: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن علي بـن عبد الله اليمني الحافظ العلامة الشهير بالشوكاني القاضي بصنعاء, والشوكان قرية من قرى الـسحامية أحـد قبائل خولان, ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي سنة١٢٥٠هـ، له من المصنفات: إبطال دعوى السماع على تحريم السماع, إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر, أدب الطلب ومنتهى الأرب, وغيرها. هدية العارفين ٦/ ٣٦٥-٣٦٧.

5 – الفتح القدسي ص ١٣. من كلام المحقق.

الباب الثاني

كلام الإمام البقاعي في مسائل الذات الإلهية

ويتضمن ما يلي:

توطئة

قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)(1).

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا)(2).

وقال تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)(3).

وقال رسول الله ﷺ: " الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(4)

وبالنظر إلى الآيات الكريمة السابقة والحديث الشريف، يتحصل لدينا أن الإيمان يتمثل بالأركان المذكورة في الآيات الكريمة والحديث الشريف، وان هذه الأركان كل متكامل لا يقبل أحدها بدون الآخر، وأن الكفر بأحدها ينقض الإيمان من أساسه.

وفي هذا الفصل سنتحدث عن جهود الإمام البقاعي في توضيح الإيمان بالله تعالى، وما يتفرع عنه من مسائل، ولذلك فقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول، هي:

---

1 – سورة البقرة /٢٨٥.

2 – سورة النساء /١٣٦.

3 – سورة البقرة /١٧٧.

4 – محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ١/١٩-٢٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم ١/٣٦-٣٨، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

الفصل الأول

الأدلة على وجود الله تعالى

إن وجود الله سبحانه وتعالى من الحقائق الثابتة، والمسلَّمات([1]) التي لا شك فيها وهي حقيقة يدل عليها كل ما في كتاب الله المنظور، وقد جاءت ذكراً في كتاب الله المسطور. "فوجود الله من البدهات التي يدركها الإنسان بفطرته([2]) ويهتدي إليها بطبيعته، وليس من مسائل العلوم المعقدة ولا من حقائق التفكير العويصة، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء واقتراب المسافة جداً قد يعطل الرؤية ما اختلف في ذلك مؤمن ولا ملحد"([3])، وكل ما في الكون شاهد على أن الله موجود، وكذا ما في هذا الكون من العلوم؛ فهي دالة على الوحدانية على الوجه الذي تطابقت عليه العقول وتضافرت عليه الأنبياء والرسل والنقول، والقاعدة تقول: " إن الآثار تدل على الأسماء، والأسماء -غالبا- تدل على الصفات، والصفات تدل على الذات، فالظواهر الكونية تدل على أسماء الله فالكون من آثار الله، وحوادثه من آثار الله كذلك، قال تعالى: ﴿**فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾([4])"([5]).

وهذا الكون من عرشه إلى فرشه وما فيه من آيات ظاهرات فيه أعظم الأدلة وأقواها على وجود الله سبحانه وتعالى، فكل ما فيه- صغر أم كبر- ناطق بلسان حاله أو لسان مقاله([6]) على وجود الله سبحانه وتعالى، "ولما كان المقصود الأعظم من القرآن الكريم تقرير

---

[1] – المسلمات: قضايا تسلم من الخصم ويبنى عليها الكلام لدفعه سواء كانت مسلَّمة بين الخصمين أو بين أهل العلم. انظر: علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات ص٢٢٧، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.

2 – وسنتكلم عن موضوع الفطرة في المطلب الثالث من هذا المبحث.

[3] – محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ص ١٢-١٣، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[4] – سورة الروم /٥٠

[5] – سعيد حوى ، الله جل جلاله، ص ١٤٠، دار الباز، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

[6] – لسان الحال: ما أنبأ عن حال قام به ولو لم يكن نطقا، ولسان المقال: هي الجارحة وله نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر. انظر: حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي، قواعد العقائد ، تحقيق وتعليق: موسى محمد على، ص١٣١، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م. وقيل: لسان الحال ما دل على حالة الشيء من ظواهر أمره. ا.د محمد رواس قلعة جي، وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص ٣٩١، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

أصول أربعة: الإلهيات، والنبوات، والمعاد، وإثبات القضاء والقدر والفعل بالاختيار، وكان أجلّ هذه المقاصد الإلهيات، شرع في أدلة الوحدانية، والقدرة، والفعل بالاختيار المستلزم للقدرة على البحث، ليعلم أن أدلة ذلك أكثر من أوراق الأشجار وأجلى من ضياء النهار"([1]).

فالأدلة على وجود الله لا تعد ولا تحصى، وقد لفت الله عز وجل الأنظار إلى هذه الحقيقة حيث قال جل شأنه: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**)([2]).

وقد تكلم الإمام البقاعي عن هذه الآية، فقال: "(**سَنُرِيهِمْ**) أي عن قرب بوعد لا خلف فيه، (**آيَاتِنَا**) أي على ما لها من العظمة، (**فِي الْآفَاقِ**) أي النواحي أي وما ظهر من نواحي الفلك أو مهب الريح ....، وبما فيها من عجائب الصنع، وغرائب الآثار والوضع باختلاف الأحكام مع اتفاق جواهرها في التجانس، وغير ذلك من الآيات المشاهدة بالبصر التي يشرحها بآيات السمع.

ولما كان الإيمان بالغيب وهو المعتبر وكل ما كان أقرب إليه كان أقرب إلى الكمال، وكانت آيات الآفاق أقرب إلى ذلك بدأ بها......، ثم قال : (**وَفِي أَنفُسِهِمْ**).... وتفصل لهم مع ذلك ما في الآدمي نفسه من بدائع الآيات، وعجائب الخلق، وغرائب الصنعة، وما فيها من

---

[1] – برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت (٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٠/٣، ٢٨٣/٤، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

[2] – سورة فصلت/٥٣.

أمارات الحدوث، واختلاف الأوصاف، وغير ذلك من الشواهد المطابقة لما تضربه من الأمثال والدلائل المعقولة عند اعتبار الأقوال والأفعال([1])".

من خلال هذا القول للإمام البقاعي نرى أنه سلك في الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى مسلك القرآن الكريم الذي أشار إلى وجود الله تعالى من خلال عرضه لدلائل الآفاق([2]) والأنفس([3]).

وكون المقام لا يتسع لاستيعاب جميع ما ذكره الإمام البقاعي أثناء تفسيره للآيات التي اشتملت على دلائل الآفاق والأنفس، فسأقتصر على نماذج منها تبين بوضوح بعض الدلائل التي تدل على وجود الله تعالى مما تعرض له الإمام البقاعي في تفسيره: (نظم الدرر).

وتفصيل ذلك ينتظم في المباحث التالية:

---

[1] – نظم الدرر ٦/٥٩٠–٥٩١.

[2] – دلائل الآفاق:الأفق بضمتين ناحية من الأرض والسماء والجمع (آفاق)، انظر: أحمد بن محمد علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ص١٧، المكتبة العالمية، بيروت، ط (بلا)، وهي ما يحدث في العالم من طلوع القمرين والكواكب وغروبها عند دوران الأفلاك الدائرات والسفن الجاريات والرياح الذاريات والنجوم الثوابت منها، والمعالم، والمراجم، وتغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق العجيبة المتتابعة المختلطة بالغيوم الثقال الحاملة للماء الكثير المطفئ بطبعه للنار المضادة له، وما في الجمع بينهما وإنشائها وإنزال للرياح العواصف من تصغير للقطر وتكثير وتقارب، حتى تقع متفرقة غير ضارة ، ولو اجتمعت لعظم ضررها ، ثم نزول البرد القوي الشديد المتحجر وإنبات العشب والزروع والأشجار والفواكه والأزهار والبحار والأنهار والآبار ثم ما في اختلاف الليل والنهار والفصول الأربعة والأحوال، انظر: أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني، المشهور بابن الوزير (٧٧٥هـ – ٨٤٠هـ)، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ص ٥١–٥٢ ، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

[3] – دلائل الأنفس: تعني أنا نعلم وجودنا أحياء قادرين عالمين ناطقين سامعين مبصرين مدركين بعد أن لم نكن شيئا، وأن أول وجودنا كان نطفة قذرة مستوية الأجزاء والطبيعة غاية الاستواء، بحيث يمتنع على عقل كل عاقل أن يكون منها بغير صانع حكيم ما يختلف أجناسا وأنواعا وأشخاصا، أما الأجناس:" والله خلق كل دابة من ماء" سورة النور ٤٥ ، وأما الأنواع :" ألم يك نطفة من مني يمنى" سورة القيامة ٣٧، وأما الأشخاص:" قتل الإنسان ما أكفره، من أي شيء خلقه، من نطفة خلقه فقدرة" سورة عبس١٧–١٩ .انظر: إيثار الحق على الخلق، ص٤٦.

المبحث الأول

دلائل الآفاق

قال الإمام البقاعي: "قال الرازي([1]) في اللوامع: والاستدلال بالأفعال على فاعلها واضح لائح، والأفعال على قسمين: أحدهما: الآفاق وهو جملة العالم، والثاني: النفوس، فإن (من عرف نفسه عرف ربه)([2])؛ أي من عرف روحه وكونها جوهراً متصرفاً في البدن تصرف التدبر، وعلم صفاتها من أنها باقية بغير البدن، فلا يحتاج في قوامها إلى البدن، بل البدن محتاج إليها وأنها محل المعرفة، فمن عرف أمثال هذه المعارف عرف ربه وصفاته؛ من وحدانيته، وعلمه، وقدرته، وإرادته، وتصرفه في جملة العالم؛ يعني أن وجوده تعالى مباين لوجود غيره"([3]).

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**

---

[1] – الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي فخر الدين المعروف بابن الخطيب الشافعي الفقيه، ولد بالري سنة ٥٤٣هـ، وتوفي بهراة سنة ٦٠٦هـ، له مصنفات كثيرة منها: الآيات البينات، وإبطال القياس، والأربعين في أصول الدين، وتأسيس التقديس، وتحصيل الحق في الكلام، وتعجيز الفلاسفة، وتفسير سورة الإخلاص، والخمسين في أصول الدين، وذم الدنيا، ورسالة الحدوث، وكتاب الملل والنحل، ولوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات، ومفاتيح الغيب في تفسير القرآن، والملخص في المنطق والحكمة، وغيرها كثير، انظر: هدية العارفين ١٠٧/٦-١٠٨.

[2] – قال ابن تيميه موضوع. وقال النووي قبله ليس بثابت. وقال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع إنه لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله. وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت، قال: لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محي الدين بن عربي وغيره.قال: وذكره لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محي الدين بن عربي معدود من الحفاظ. وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محي الدين قال: هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه، وقال النجم: قلت وقع في أدب الدين والدنيا للماوردي عن عائشة سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أعرف الناس بربه قال أعرفهم بنفسه. انظر: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ت(١١٦٢هـ) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، حديث رقم٢٥٣٢، ٢٦٢/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٣٥١هـ، ومعناه صحيح لأنه من عرف ضعف نفسه وقوته عرف أن الله سبحانه وتعالى مدبر أمره وخالقه.

[3] – نظم الدرر ٥٩١/٦.

تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)([1])، قال الإمام البقاعي: "ولما كان مدار القرآن على تقرير الأصول الأربع: التوحيد، والنبوة، والمعاد، والعلم، وطال الكلام في أخباره سبحانه وتعالى عن أوامره، ونواهيه، وأفعاله بأوليائه وأعدائه الدالة على تمام القدرة والعلم، وختم بأن شركاءهم تغني عنهم، علل ذلك بأنه الرب لا غيره في سياق دال على الوحدانية التي هي أعظم مقاصد السورة (سورة الأعراف) بإظهار الحجج عليها، وعلى المقصد الثاني- وهو الإعادة التي فرغ من تقرير أحوالها بالإبداء الذي تقرر في العقول أنه أشدُّ من الإعادة([2])".

ومن خلال استقراء آيات الكتاب العزيز، وما لاح من تفسيرها عند الإمام البقاعي؛ فإن دلائل الآفاق تعني: ملكوت السماء والأرض وما بينهما من سماوات وأراضين، وشمس، وقمر، وكواكب، ونجوم، وليل، ونهار، وأمطار، ورياح، وسهول، وتلال، وجبال، وبحار، وأنهار، ونبات، وزروع، وأشجار، وظلمة، ونور، أي كل ما حواه العالم العلوي والعالم السفلي، وهذا واضح جلي وضحه وبينه الإمام البقاعي عند تفسيره للعديد من الآيات الكريمة.

ففي تفسير قول الله تعالى: **(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)**([3])، قال: ("لقد أبدع هذا الاستدلال على التفرد بالاستحقاق عقب أحوال من قرب أنهم في غاية الجمود بأمور مشاهدة يصل إليها كل عاقل بأول وهلة من دحو([4]) الأرض وما بعده، مما به قوام بقائهم من السكن والرزق، في سياق منبه على النعمة، محذر من سلبها، دال على الإله بعد الدلالة بالأنفس؛ من

---

[1] - سورة الأعراف/ ٥٤.

[2] - نظم الدرر ٣/٤٠.

[3] - سورة البقرة/ ٢٢.

[4] - دحو: دحا الله الأرض (يدحوها) و(دحوا) بسطها و(دحاها) (دحيا) لغة. و (دحا) المطر الحصى عن وجه الأرض دفعة، و(الدَّحْيَة) بالفتح المرأة، (الدِّحْيَة) بالكسر الهيئة، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ص١٩٠. والإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ص١٠٥، دققه: عصام فارس الحرستاني، دار عمار، عمان، ط٥، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

حيث أن كل أحد يعرف ضرورة أنه وجد بعد أن لم يكن، فلا بد له من موجد غير الناس، لما يشاهد من أن حال الكل كحاله بالدلالة بالآفاق من حيث أنها متغيرة، فهي مفتقرة إلى مغير هو الذي أحدثها ليس بمتغير؛ لأنه ليس بجسم ولا جسماني، في سياق مذكر بالنعم الجسام الموجبة لمحبة المنعم وترك المنازعة وحصول الانقياد، فقال: **(الَّذِي جَعَلَ)** قال الحرالّي([1]): من الجعل، وهو إظهار أمر عن سبب وتصيير، **(لَكُمُ الأَرْضَ)** أي المحل الجامع لنبات كل نابت ظاهرٍ أو باطنٍ، فالظاهر كالموالد وكل ما الماء أصله، والباطن كالأعمال والأخلاق وكل ما أصله ما الماء آيته، كالهدى، والعلم، ونحو ذلك، **(فِرَاشاً)** وهي بساط سقفه السماء وهي مستقر الحيوان من الأحياء والأموات، وأصله كما قال الحرالي: بساط يضطجع عليه للراحة ونحو ذلك، **(وَالسَّمَاء بِنَاءً)** أي خيمة تحيط بصلاح موضع السكن، وهي لعمري بناء جليل القدر، محكم الأمر، بهي المنظر، عظيم المخبر".

"ورتب هذه النعم الدالة على الخالق الداعية إلى شكره أحكم ترتيب، قدم الإنسان لأنه أعرف بنفسه والنعمة عليه أدعى للشكر، وثنى بمن قبله لأنه أعرف بنوعه، وثلث بالأرض لأنها مسكنه الذي لا بد منه، وربع بالسماء لأنها سقفه، وخمس بالماء لأنه كالأثر والمنفعة الخارجة منها، وما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما، **(وَأَنزَلَ)** قال الحرالّي: من الإنزال وهو الإهواء بالأمر من علو إلى أسفل، **(مِنَ السَّمَاء)** أي بإثارتها الرياح المثيرة

---

[1] – الحرالّي: هو علي بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم الحرالي التجيبي أبو الحسن الأندلسي المالكي، نزيل الشام المتوفى سنة ٦٣٧هـ . من تصانيفه: إصلاح العمل لانتظار الأجل، الإلماع بطرف من الانتفاع في علم الحروف، شرح الشفاء في الحديث، شرح الموطأ، وفتح الباب المقفل في فهم الكتب المنزل في تفسير القرآن. انظر: هدية العارفين ٥/٧٠٧-٧٠٨.

للسحاب الحامل للماء، **(مَاءً)** أي جسما لطيفا يبرد غلة العطش، به حياة كل نام، قال الحرالّي: وهو أول ظاهر للعين من أشباح الخلق. **(فَأَخْرَجَ)** من الإخراج وهو إظهار من حجاب... **(بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً)** وإخراج الأشياء من حجاب الأسباب أوفق بالتكليف بالإيمان بالغيب لأنه كما قيل: لولا الأسباب لما ارتاب المرتاب، والثمر كما قال الحرالّي: مطعومات النجم والشجر، وهي عليها")([١]).

ومن الآيات التي أشارت إلى دلائل الآفاق قوله تعالى: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)** ([٢])، قال الإمام البقاعي في تفسيرها ناقلاً عن الإمام الحرالّي: " لما ذكر تعالى الأعلى والأسفل([٣]) ومطلع الليل والنهار من الجانبين وإنزال الماء أهواء، ذكر ما يملأ ما بين ذلك من الرياح والسحب، الذي هو ما بين حركة هوائية إلى استنارة مائية إلى ما يلزم ذلك من بوادي نيراته من نحو صواعقه وجملة أحداثه، فكان في هذا الخطاب اكتفاء بأصول من مبادئ الاعتبار، فذكر السماء والأرض والآفاق وما بينهما من الرياح والسحب والماء المنزل الذي جملته قوام الخلق في عاجل دنياهم، ليجعل لهم ذلك آية على علو أمر وراءه ويكون كل وجه منه آية على أمر من أمر الله فيكون آيات، لتكون السماء آية على علو أمر الله

---

[1] – نظم الدرر ٥٦/١–٥٧.
[2] – سورة البقرة/ ١٦٤.
[3] – أي السموات والأرض.

فيكون أعلى من الأعلى، وتكون الأرض آية على باطن أمر الله فيكون أبطن من الأبطن، ويكون اختلاف الليل والنهار آية على نور بدوِّه وظلمة غيبته مما وراء أمر الليل والنهار، ويكون ما أُنزل من الماء لإحياء الأرض، وخلق الحيوان آيةً ما ينزل من نور علمه على القلوب فتحيا به حياة تكون حياة الظاهر آية عليه، ويكون تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات على تصريف ما بين أرض العبد الذي هو ظاهره وسمائه الذي هو باطنه، وتسخير بعضه لبعض ليكون ذلك آية على علو الله على سمائه العلى في الحس وعلى سماء القلوب العلية في الوجدان، فلجملة ذلك جعل تعالى صنوف هذه الاعتبارات"([1]).

وأضاف الإمام البقاعي توضيحاً للآية الكريمة السابقة بما نقله عن الإمام البيهقي([2]) نقلا عن الإمام الحليمي([3]): "إنه مما يجب اعتقاده في الله سبحانه وتعالى خمسة أشياء، قال: والرابع: إثبات أن وجود كل ما سواه كان بإبداعه له واختراعه إياه؛ لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلة([4]) والمعلول([5])، والخامس : أنه مدبر ما أبدع ومصرفه على ما يشاء؛ لتقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع([6]) أو تدبير الكواكب أو تدبير الملائكة"([7]).

ومن الآيات التي تحدث عنها الإمام البقاعي والتي تعرض أدلة الآفاق قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ**

---

[1] – نظم الدرر ٢٩٧/١-٢٩٨.

[2] – البيهقي: هو أحمد بن الحسن بن علي بن عبد الله البيهقي أبو بكر الخسرو جردى الشافعي الفقيه كانت ولادته سنة ٣٨٤ هـ، وتوفي سنة ٤٥٨هـ، من تصانيفه: إثبات عذاب القبر، الأسماء والصفات، حياة الأنبياء، كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، الدعوات، الرؤية، الزهد، والمعرفة، قال ابن خلكان في ترجمته: قيل تبلغ تصانيفه ألف جزء. هدية العارفين ٧٨/٥.

[3] – الحليمي: هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي أحد الأذكياء كان طويل الباع في الأدب والبيان، له العديد من المصنفات، مات سنة٤٠٣هـ. انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت(٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء ٢٣١/١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

[4] – العلة: هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجا مؤثرا فيه. انظر: التعريفات ص١٦٠.

[5] – المعلول: هو ما لا يكون علة لشيء أصلا، التعريفات ص ٢٣٨.

[6] – الطبائع: الطبع ما يقع على الإنسان بغير إرادة، وقيل بالسكون: الجبلة التي خلق الإنسان عليها، التعريفات ص ١٤٥.

[7] – نظم الدرر ٨٩/٧.

الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩))([1]).

قال البقاعي: " ولما ذكر الأقوات من الثمار والحبوب والأدهان وأشرف الفواكه وأعمها، وكانت أشبه شيء بالآدمي في نشئه، وبعثه، واتفاقه واختلافه، وكان اشتباه بعضها واختلاف بعضها – مع كونها تسقى بماء واحد وفي أرض واحدة – دالاً على القدرة والاختيار، وكان السياق لإثبات الوحدانية ونفي الشريك بإثبات كمال القدرة التي هي منفية عن غيره، فلا يصح أن يكون له شريك؛ لأنه لا يكون إلا مشابها لشريكه كمال المشابهة فيما وقعت الشركة فيه، (**إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ**) أي الأمر العظيم الشأن العالي الرتبة ﴿ **لَآيَاتٍ** ﴾ أي علامات على قدرة الصانع واختياره"([2]).

ومن خلال شرحه لهذه الآيات المتتالية من سورة الأنعام ذكر قول الإمام الرازي مطولاً، وحاصله: "إن النواة والحبة تكون في الأرض الرطبة مدة فيظهر الله فيها شقاً في

---

[1] – سورة الأنعام /٩٥-٩٩.
[2] – نظم الدرر ٦٨٦/٢-٦٨٧.

أعلاها وآخر في أسفلها، وتخرج الشجرة من الأعلى فتعلو وتهبط من الأسفل شجرة أخرى في أعماق الأرض هي العروق، وتلك الحبة أو النواة سبب وأصل بين الشجرتين: الصاعدة والهابطة، فيشهد الحس والعقل بأن طبع الصاعدة والهابطة متعاكس، وليس ذلك قطعاً بمقتضى الطبع والخاصية؛ بل بالإيجاد، والاختراع، والتكوين، والإبداع، ولا شك أن العروق الهابطة في غاية اللطافة والرقة بحيث لو دلكت باليد بأدنى قوة صارت كالماء، وهي مع ذلك تقوى على النفوذ في الأرض الصلبة التي لا ينفذ فيها المسلة([1]) والسكين الحادة إلا بإكراه عظيم، فحصول هذا النفوذ لهذه الأجرام اللطيفة لا يكون قطعاً إلا لقوة الفاعل المختار، لا سيما إذا تأملت ظهور شجرة من نواة صغيرة، ثم تجمع الشجرة طبائع مختلفة في قشرها ثم فيما تحته من جرم الخشبة، وفي وسط تدوير الخشبة جرم ضعيف كالعهن المنفوش، ثم يتولد من ساقها أغصانها، ومن الأغصان أوراقها أولاً، ثم أنوارها وأزهارها ثانياً، ثم الفاكهة ثالثاً، ثم قد يحصل للفاكهة أربعة أنواع من القشور، مثل: الجوز واللوز، قشره الأعلى ذلك الجرم الأخضر وتحته القشر الذي كالخشب، وتحته القشر الذي كالغطاء الرقيق المحيط باللب، وتحته اللُّب المشتمل على جرم كثيف هو أيضا كالقشرة، وعلى جرم لطيف هو الزهر، وهو المقصود بالذات"([2]).

ويسترسل الإمام الرازي في توضيح هذه العجائب، وبيان أنها من بديع صنع الله، وأن ما في الكون شاهد على أن الله واحد لا شريك له.

ثم تكلم الإمام البقاعي عن آيتي المشرق والمغرب كأدلة من أدلة الآفاق في أكثر من موضع ، فقال في تفسيره لقوله تعالى: **(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)**([3]):

[1] – المسلة: بكسر الميم مخيط كبير والجمع (المسال)، انظر: المصباح المنير ص٢٧٦، مختار الصحاح ص١٥٨، حيث قال: وهي الإبرة العظيمة.

[2] – نظم الدرر ٦٧٧/٢–٦٧٨. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٧٢٥/٢–٧٢٨، ٢٦٠/٦.

[3] – سورة المزمل/ ٩.

"ولما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم، بيَّن أنه سبحانه وتعالى الذي أنعم بسكن الليل الذي أمر بالتهجد فيه، ومنتشر النهار الذي أمر بالسبح فيه، فقال واصفاً الرب المأمور بذكره (**رَبُّ الْمَشْرِق**)[1] أي موجد محل الأنوار التي بها ينمحي هذا الليل الذي أنت قائم فيه، ويضيء بها الصباح، وعند الصباح يحمد القوم السُرَى بما أنالهم من الأنوار في مرائي قلوبهم، وما زينها به من شهب المعاني، كما أوجد لهم في آفاق أفلاكهم من شموس المعاني المثمرة ليدور الأنس في مواطن القدس، فلا يطلع كوكب في الموضع الذي هو به إلا بإذنه، وهو رب كل مكان..... ولما ذكر مطالع الأنوار، لأنها المقصود لما لها من جلي الإظهار، ووحد لأنه أوفق لمقصود السورة الذي هو محطة لانجماح المدلول عليه بالتزمل أتبعه مقابله، فقال: ﴿**وَالْمَغْرِبِ**﴾ أي الذي يكون عنه الليل، والذي هو محل السكن، وموضع الخلوات، ولذيذ المناجاة، فلا تغرب شمس، ولا قمر، ولا نجم إلا بتقديره سبحانه وتعالى، وإذا كان رب ما فيه هذه الصنائع التي هي أبدع ما يكون كان رب ما دون ذلك"[2] .

كان هذا بعض ما أورده الإمام البقاعي من الاستدلال على وحدانية الله ووجوده من خلال دلائل الآفاق، فالعالم كله من الذرة إلى المجرة ومن العرش إلى الفرش دليل وشاهد على وجود الله تعالى، ولو أننا "إذا تأملنا في المخلوقات التي تولد كل يوم من إنسان وحيوان ونبات، وتفكرنا في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار وليل ونهار، ونظرنا إلى ما يجري في كل حين من حركات منتظمة للشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، إذا تأملنا في

---

[1] – سورة المزمل/ ٩.
[2] – نظم الدرر ٢٠٨/٨-٢٠٩، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٢٢٦/١، ٢٦٠-٢٦١، ١٥٨/٨.

هذا وغيره من التغيرات المحكمة التي تجري في الوجود في كل لحظة، فــان العقــل يجزم بأن هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه"([1]).

المبحث الثاني

دلائل الأنفس

وأما دلائل الأنفس فهي الدلائل المأخوذة من نفس الإنسان، أي ذات الإنسان، وهي كما يقول الإمام البقاعي: "مراتب عمر الإنسان الأربع، وهي: سن الطفولة والنمو، ثم سن الشباب الذي يكون عند انتهائه الوقوف، ثم سن الكهولة وفيه يكون الانحطاط مع بقاء القوة، ثم ســن الانحطاط مع ظهور الضعف، وهو الشيخوخة"([2]).

فدلائل الأنفس تشمل كل ما يتعلق بالإنسان من حال كونه بين الصلب والترائب إلى أن يعود إلى التراب وما بين هاتين المرحلتين، وأبعد من ذلك وآدم بين الماء والطين.

" ولما قرر سبحانه أنه هو الذي خلق السماوات والأرض اللتين منهما وفيهما الأصنام والكواكب والأجرام التي عنها النور والظلمة، فثبت وجوده على ما هو عليه مــن الإحاطــة بأوصاف الكمال التي أثبتها الحمد فبطلت جميع مذاهبهم فعجب منهم بكونهم يعدلون به غيره، أتبع ذلك اختصاصه بخلق هذا النوع البشري، وهو – مع ما فيه من الشواهد له بالاختصاص بالحمد والرد على المطرين لعيسى عليه السلام المخلوق من الطين بخلق أبيهم آدم عليه السلام – مؤكدٌ لإبطال مذهب الثنوية([3])، وذلك أنهم يقولون: إن النار خالقة الخير، وإن الظلمة خالقة

---

[1] – عبد المجيد الزنداني، الإيمان ص٢٠– ٢١، دار وحي القلم، بيروت، ط١. وللاستزادة انظر: فــي هــذا الموضوع: نظم الــدرر ٤/٢١٠–٢١٤، ١٨٠، ٤٢٩، ٢٣٤، ١٨٨، ١٢٥، ٢/٥٧٧، ١٩٧، ٥٩٦، ٣/٤٣٩، ٥/٤٤٢، ٣٣١، ٢١٧– ٢١٨، ٩، ٦٣٣، ٦/٤٠٠–٤٠١، ١٤٤–١٤٥، ٥٣٢، ٥٢٩، ٢٢٠–٢٢٢، ٧/٨–٩، ٣٢٧، ٣٦٥، ٨/٣٩، ٢٩٧ –٣٠٠، ٣١٨–٣١٩.

[2] – نظم الدرر ٤/٢٨٩.

[3] – الثنوية: هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس، فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم، واختلافهما في الجــوهر،=

الشر، فإذا ثبت أنه الخالق لنوع الآدميين الذين منهم الخير والشر من شيء واحد، وهو الطين الذي ولد منه المني الذي جعل منه الأعضاء المختلفة في اللون، والصورة، والشكل من القلب وغيره من الأعضاء البسيطة؛ كالعظام، والغضاريف([1])، والرباطات([2])، والأوتار([3])، ثبت أن خالق أوصافهم من الخير والشر واحد قدير عليم، لأن توليد الصفات المختلفة من المادة المتشابهة لا يكون إلا ومبدعه واحد مختار، لا اثنان"([4]).

لهذا فقد دعا القرآن الكريم إلى النظر والتفكر والتأمل في بديع خلق الإنسان بجميع أطواره وصولا بذلك إلى إثبات وجود الله تعالى، وتقرير عظمته، فقال تعالى: (**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)**)([5]).

وهنا لا بد من ذكر بعض الآيات التي استشهد بها الإمام البقاعي من خلال دلائل الأنفس على وجود الله تعالى.

قال تعالى: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**)([6])، قال البقاعي في تفسيره لهذه الآية: "(**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ**) بما لنا من العظمة، (**ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ**) أي قدرنا خلقكم ثم تصويركم، بأن جعلنا فيكم قابلية قريبة من ذلك،

=والطبع، والفعل، والحيِّز، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح. انظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩ –٥٤٨)، الملل والنحل ٢٤٤/١، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.

[1] – الغضروف: كل عظم ترخص يؤكل، وهو مارن الأنف، ونغص الكتف، ورؤوس الأضلاع، ورهابة الصدر، وداخل قوف الأذن. انظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط ١٨٥/٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،ط٢، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

[2] – الرباط: يربطُه ويربُطُه شدَّه، والرباط ما ربط به. انظر: القاموس المحيط ٣٧٤/٢.

[3] – الوتر: الوتيرة حجاب ما بين المنخرين، وغريضيف في أعلى الأذن، وجليدة بين السبابة والإبهام، وما بين كل أصبعين. انظر: القاموس المحيط ١٥٧/٢.

[4] – نظم الدرر ٥٨١/٢.

[5] – سورة الطارق/٥-٧.

[6] – سورة الأعراف/ ١١.

بتخصيص كل جزء من المادة بمقداره المعين بتخمير طينة آدم عليه السلام على حالة تقبل ذلك، كما يهيأ التراب بتخميره بإنزال المطر لأن يكون منه شجرة، وقد تكون تلك الشجرة مهيأة لقبول صورة الثمرة، وقد لا تكون كما قال تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ)**([1])، وقال النبي ﷺ في الصحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ : "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة في مثل ذلك، ثم يكون مضغة في مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتب أربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد"([2])([3]).

وفي تفسير قوله تعالى: **(أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)**([4]) قال الإمام البقاعي: "أي توجدونه مقدراً على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة، إلى صورة العلقة، إلى صورة المضغة، ثم منها إلى صورة العظام والأعصاب([5])".

وفي تفسير قوله تعالى: **(وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)**([6])، قال الإمام البقاعي: " ولما ذكر سبحانه بالنظر في آيات الآفاق أتبعها آيات الأنفس، فقال: **(وَفِي خَلْقِكُمْ)** أي المخالف لخلق الأرض التي أنتم منها بالاختيار، والعقل، والانتشار، والقدرة على السار والضار، **(وَمَا يَبُثُّ)** أي ينشر ويفرّق بالحركة الاختيارية بثاً على سبيل التجدد والاستمرار،

---

[1] - سورة المؤمنون/ ١٢.
[2] - صحيح البخاري ١٥٢/٨، ١٦١/٤-١٦٢. صحيح مسلم ٢٠٣٦/٤.
[3] - نظم الدرر ١١/٣.
[4] - سورة الواقعة/ ٥٩.
[5] - نظم الدرر ٤١٥/٧، ينظر تفسير سورة الحج آية(٥)، وسورة المؤمنون آية (١٢-١٤)، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٢٧٧/٢-٢٧٨، ٢٠٩/٦، ٢٠٦/٢، ٢٤١، ٢٤٦/٤، ٤٣٤/٧-٤٣٥، ٥٣٤/٦-٥٣٥.
[6] - سورة الجاثية/ ٤.

(**مِن دَابَّةٍ**) مما تعلمون ومما لا تعلمون، بما في ذلك مـن مـشاركتكم فـي الحركـة بالاختيار والهداية للمنافع بادراك الجزئيات([1])، ومخـالفتكم فـي الـصورة والعقـل وإدراك الكليات([2])، وغير ذلك من مخالفة الأشكال والمنافع والطبائع ونحوها (**آيَاتٌ**) أي على صفات الكمال ولا سيما العزة والحكمة، ولما كانت آيات الأنفس أدق وأدل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف قال: (**لِّقَوْمٍ**) أي فيهم أهلية القيام بما يحاولونه"([3]).

وعند قوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)** ([4])، قال الإمام البقاعي: "ولما ذكر سبحانه بعض هـذا الملكـوت الأرضـي والسماوي، أتبعه بالخلق المفرد الجامع لجميع الملكوت وهو الإنسان، دالاً على كمال القـدرة على كل ما يريد، مبطلاً بمفاوتة أول الإبداع وآخر الآجال ما اعتقدوا في النـور، والظلمـة، والشمس، والقمر، وغيرها؛ لأن واحداً منها لا اختيار له في شيء يصدر عنه بل هو مـسخر ومقهور كما هو محسوس ومشهور، فقال: (**وَهُوَ**) أي لا غيره، (**الَّذِيَ أَنشَأَكُم**) أي وأنتم في غاية التفاوت في الطول والقَدِّ واللون والشكل.... (**مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**) ثم اقتطع منها زوجهـا، ثم فرَّعكم منها..."([5]).

---

[1] – الجزء: ما يتركب الشيء عنه وعن غيره. التعريفات ص ٧٨.

[2] – الكل: في اللغة: اسم مجموع المعنى ولفظه وأحد. وفي الاصطلاح: ما يتركب من أجـزاء. التعريفـات ص١٩٥.

[3] – نظم الدرر ٧/٩٠-٩١، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٢٨٩/٤-٢٩٠، ٢٧٦/٧.

[4] – سورة الأنعام/ ٩٨.

[5] –نظم الدرر ٦٨٣/٢، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٢٦١/٨.

ويقول في تفسير قوله تعالى (**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**)([1]): "(**الَّذِي خَلَقَكَ**) أي أوجدك من العدم مهيئا لتقدير الأعضاء، (**فَسَوَّاكَ**) عقب تلك الأطوار بتصوير الأعــضاء والمنـــافع بالفعل، (**فَعَدَلَكَ**) أي جعل كل شيء من ذلك سليماً مودعا فيه قوة المنافع التي خلقه الله لهـــا، وعدل المزاج قبل الصورة، والتعديل جعْل البنية متناسبة الخلقة، وكذا العدل – فـــي قـــراءة الكوفيين– أي فأمالك عن تشويه الخلقة وتقبيح الصورة وجعلك معتدلاً في صورتك"([2]).

وعند تفسيره لقوله تعالى: (**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**)([3])، قال: "أوجدكم من العـــدم مقـــدرين، (**أَطْوَارًا**) أي تارات عناصر أولاً، ثم مركبات تغذي الحيوان، ثم أخلاطاً، ثم نطفاً، ثم علقـــاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً ولحوماً وأعصاباً ودماءً، ثم خلقاً آخر تاماً ناطقاً ذكراناً وإناثـــاً، طـــوالاً وقصاراً، بيضاً وسوداً، وبين ذلك، إلى غير ذلك من الأمور الدالة على قدرته كـــل مقـــدور، ومن قدر على هذا ابتداء، كان على الإعادة أعظم قدرة، وقد ثبتت حكمته، وأنه لم يخلق الخلق سدى بما بأن من هذا التطوير على هذه الهيئات العجيبة التي لا قدرة لغيره عليها بوجه"([4]).

فدلالة الأنفس هي بحق من أوضح الأدلة على وجود الله تعالى، بسبب تعلقهـــا بـــذات الإنسان، خلقا وأطواراً، ذلك أن الإنسان لو تأمل في طبيعة خلقه وما فيه من عجائب وغرائب لما وسعه إلا أن ينحني إجلالا وسجودا بين يدي الخالق العظيم جل جلاله، وعليه فـــإن مـــن أمعن النظر في دلائل الآفاق ودلائل الأنفس حتما ستقوده إلى إثبات وجود الله.

[1] – سورة الانفطار/ ٧.
[2] – نظم الدرر ٣٤٩/٨–٣٥٠، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٨/ ٣٢٨–٣٢٩، ٣٩٤/٨–٣٩٥.
[3] – سورة نوح/ ١٤.
[4] – نظم الدرر ١٧٠/٨–١٧١، و للاستزادة انظر: نظم الدرر ٣٣٢/٧–٣٣٣.

المبحث الثالث

دليل الفطرة على وجود الله تعالى

أولا: معنى الفطرة لغة

الفطرة: "من فطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر وفطَّرَه شقه وتَفَطَّرَ الشيءُ تشقق والفَطْر الشق وجمعه فُطُور وفي التنزيل العزيز (**هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**)([1]).... وأصل الفَطْر الشق ومنه قوله تعالى: (**إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ**)([2])، أي انشقت وفي الحديث: ((حتى تتفطر قدماه))([3]) أي انشقتا، ومنه أُخذ فِطْرُ الصائم؛ لأنه يفتح فاه.... وفطر الله الخلق يفطرهم: خلقهم وبداهم، والفطرة: الابتداء والاختراع"([4]).

وقال الراغب([5]) في المفردات: " وفطر الله الخلق وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال"([6]).

"الفطرة بالكسر الخلقة – والفَطْرُ الشق، والفَطْرُ أيضا الابتداء والاختراع"([7]).

---

1 – سورة الملك/ ٣.

2 – سورة الانفطار/ ١.

3 – صحيح البخاري٢/٦٣. أحمد بن محمد بن حنبل، المسند وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٦/١١٥، دار الكتب العلمية ، بيروت. صحيح مسلم ٤/٢١٧٢، وفيه: "حتى تفطر رجلاه".

4 – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب ٥/٥٥ مادة: فطر، دار صادر، بيروت، ط١.

5 – الأصفهاني:(الراغب الأصبهاني أو الأصفهاني): هو الحسين بن محمد بن مفضل الإمام أبو القاسم المعروف بالراغب الأصبهاني نزيل بغداد توفي سنة ٥٠٠هـ وقيل سنة ٥٠٢هـ. له من الكتب أخلاق الراغب. أفانين البلاغة. رسالة في فوائد القرآن. تحقيق البيان في تأويل القرآن، تفسير القرآن. مفردات ألفاظ القرآن. انظر: هدية العارفين ٥/٣١١. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٢٠.

6 – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢)، المفردات في غريب القرآن ص٢٨١، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط ٣.

7 – مختار الصحاح ص٢٥١، مادة: فطر.

ثانياً: معنى الفطرة شرعاً

أما المعنى الشرعي وتفسير العلماء للفطرة، فقد أشار الإمام البقاعي إلى تباين أقوال العلماء في ذلك، فقال في تفسيره لقوله تعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)**([1]): "**(فِطْرَةَ اللَّهِ)** أي الزم فطرة الملك الذي لا رادَّ لأمره، وهي الخلقة الأولى التي خلق عليها البشر والطبع الأول"، ثم نقل قول الإمام الغزالي([2]) في آخر كتاب العلم من الإحياء في بيان العقل في هذه الآية، فقال: " كل آدمي فطر على الإيمان بالله تعالى بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه، أعني أنها كالمتضمنة فيه لقرب استعداده للإدراك – انتهى"، ثم أكد ذلك بقوله: **"(الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ)**، أي كل من له أهلية التحرك (**عَلَيْهَا**) كلهم الأشقياء والسعداء، وهي سهولة الانقياد وكرم الخلق الذي هو في الصورة فطرة الإسلام، وتحقيق ذلك أن المشاهد من جميع الأطفال سلامة الطباع وسلاسة الانقياد لظاهر الدليل، ليس منهم في ذلك عسر كما في الكبار وإن تفاوتوا في ذلك، فالمراد بالفطرة قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه، كما تجد الأخرس يدرك أمر المعاد إدراكاً بيناً، وله فيه ملكة راسخة، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه حديث أبي هريرة([3]) رضي الله

---

[1] – سورة الروم/ ٣٠

[2] – الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الطوسي الشافعي. ولد سنة ٤٥٠هـ. وتوفي سنة ٥٠٥هـ. من مصنفاته: الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهمة، إحياء علوم الدين، أساس القياس، أساس المذاهب، أسرار المعاملات، الاقتصاد في الاعتقاد، إلجام العوام عن علم الكلام، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى. انظر: هدية العارفين ٧٩/٦–٨١.

[3] – أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة) سماه عبد الله بن سعد الزهري، عن محمد بن إسحاق اسمه أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر. انظر: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير ت (٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٢٧/٣، دار المعرفة، بيروت.

عنه في الصحيحين، وحديث ابن عباس([1]) رضي الله عنهما عند أحمد بن منيع ([2])، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "(كل مولود يولد على الفطرة – وفي رواية للبخاري([3])– ما من مولود إلا يولد على الفطرة – فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها)([4])، وحديث عياض بن حمار المجاشعي([5])، قال: قال رسول الله ﷺ: (كل ما نحلتُ عبداً حلالاً وإني خلقت عبادي (حنفاء كلهم) وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا)([6])"([7]).

ويذكر الإمام البقاعي في تفسيره لقوله تعالى: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)**([8])، يقول: " ثم ميزناه بما أودعناه فيه بما جعلناه عليه من الفطرة الأولى التي لا تبديل لها من الطبع الأول السليم، الذي هيأناه به وقويناه بقدرتنا لقبول الحق، وبمثل ما قلته في حمل الآية

---

[1] – ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس حبر الأمة الصحابي الجليل ولد بمكة والمسلمون في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم، ونشأ في بدء عصر النبوة , كني بابنه العباس وهو اكبر ولده ، أمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزم الهلالية، وهو ابن خالة خالد بن الوليد، لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم , وروى عنه الأحاديث الصحيحة , وشهد الجمل وصفين , وكف بصره في آخر عمره , سكن الطائف وتوفى بها له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا , قال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس، الأعلام٢/٢٢٨، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٨/٣.

[2] – أحمد بن منيع: هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن الإمام الحافظ الثقة، أبو جعفر البغوي ثم البغدادي، واصله من مرو الروز، رحل وجمع وصنف (المسند)، حدث عنه الستة لكن البخاري بواسطة، كان مولده في سنة (١٦٠هـ)، سير أعلام النبلاء ١١/٣٨٤.

[3] – البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي الإمام الحافظ أبو عبد الله البخاري، ولد سنة (١٩٤هـ) وتوفي سنة (٢٥٦هـ)، له الأدب المفرد في الحديث، أسماء الصحابة، الأسماء والكنى، بر الوالدين، التاريخ الصغير، التاريخ الكبير، تفسير القرآن، ثلاثيات في الحديث، الجامع الصحيح، الجامع الصغير، الجامع الكبير، خلق أفعال العباد، وغيرها. هدية العارفين ٦/١٦.

[4] – صحيح البخاري ٢/١٢٥. صحيح مسلم ٤/٢٠٤٧. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح ٤/٤٤٧، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الإسلامية.

[5] – عياض بن حمار: هو عياض بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي المجاشعي, سكن البصرة, روى عنه مطرف ويزيد أبناء عبد الله بن الشخشير, والحسن. انظر: أسد الغابة ٣/٤٣٥

[6] – صحيح مسلم ٤/٢١٩٧.

[7] – نظم الدرر ٥/٦٢٢.

[8] – سورة التين/ ٤.

على الفطرة الأولى، قال الأصفهاني في تفسير : **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)**([1])، وقال ابن برجان([2]) هنا: مفطور على فطرة الإسلام الدين القيم، ثم لما منحناه به من العقل المدرك القويم، فكما جعلنا له شكلا يميزه عن سائر الحيوان منحناه عقلا يهديه إلى العروج عن درك النيران إلى درج الجنان بالإيمان والأعمال الصالحة البالغة نهاية الإحسان.....، قال البغوي([3]):خلقه سبحانه وتعالى مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزيناً بالعقل والتمييز"([4])، وقد أشار إلى هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: **(وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا)**([5])، فقال: "﴿ **وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ)**([6]) أي الذي له الحكمة الكاملة فلا كفؤ له، بأنواع التغيير من تغيير الفطرة الأولى السليمة إلى ما دون ذلك من فقء عين الحامي([7]) ونحو ذلك([8])"، وينقل الإمام البقاعي عن الإمام الغزالي في آخر كتاب العلم من الإحياء، قوله: " كل آدمي فطر على الإيمان بالله تعالى بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه"([9]).

---

[1] – سورة البقرة /٢١٣.

[2] – ابن برجان: هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي أبو الحكم الأشبيلي المالكي المعروف بابن برجان. توفي بمراكش سنة ٥٣٦ هـ، من تصانيفه: الإرشاد في تفسير القرآن. انظر: هدية العارفين ٥٧٠/٥.

[3] – البغوي: هو الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء أبو محمد البغوي من إعمال هراة الفقيه الشافعي، توفي سنة ٥١٦هـ، من تصانيفه: إرشاد الأنوار في شمائل النبي المختار، ترجمة الإحكام في الفروع، التهذيب في الفروع، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، معالم التنزيل في تفسير القرآن، معجم الشيوخ. انظر: هدية العارفين ٣١٢/٥.

[4] – نظم الدرر ٤٧٢/٨.

[5] – سورة النساء/ ١١٩.

[6] – سورة النساء/ ١١٩.

[7] – الحام: هو الفحل إذا ضرب عشرة أبطن، وكان يقال: حمى ظهره فلا يركب. انظر: المفردات ص١٣٣.

[8] – نظم الدرر ٣٢١/٢.

[9] – نظم الدرر ٦٢٢/٥، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١٥/٢، ٣٩٨/٣، ٦٢٥/٥.

ويذكر أن من معاني الفطرة: التوحيد([1])، والإسلام([2])، وأنها التمكن من اختيار الخير والشر([3])، وأنها صبغة الله كما قاله الحرالّي([4])، كما ذكر في تفسيره لقوله تعـالى: **(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)**([5])، قال: "(**فَأَلْهَمَهَا**) أي النفس إلهام الفطرة السابقة الأولى قبـل **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)**([6])، (**فُجُورَهَا**) أي انبعاثها في الميل مع دواعـي الشهوات، وعدم الخوف الحامل على خرق سياج الشريعة بسبب ذلك الطبع الذي عـدل فيـه ذاتها وصفاتها في قسر المتنافرات على التمازج غاية التعديل، **(وَتَقْوَاهَا)** أي وخوفهـا الـذي أوجب سكونها وتحررها بوقايات الشريعة...، وإلهامها للأمرين هو جعله لها عارفة بـالخير والشر، مستعدة ومتهيئة لكل منهما"([7]).

فهذه خلاصة أقوال الإمام البقاعي في تحديد معنى الفطرة.

وقد ذكر العلماء أقوالا عديدة للفطرة، منها:

---

[1] – نظم الدرر ٤٢٩/٣، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٣٢٩/١، ٢٧٧/٤.
[2] – نظم الدرر٥/٣٧١، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٢٣٧/١.
[3] – نظم الدرر ٣٤٩/٢.
[4] – نظم الدرر ٢٣٧/١.
[5] – سورة الشمس /٨.
[6] – سورة الأعراف /١٧٢.
[7] – نظم الدرر ٤٤٠/٨–٤٤١.

"أنهـا العهـد الـذي أخـذه الله تعـالى علـى البـشر بقولـه: ﴿**أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا**﴾(١)، وهذا "منقول عن الإمام الأوزاعي(٢)، وحماد بن سلمة(٣)، قال حمـاد بـن سلمة في شرحه حديث: (كل مولود يولد على الفطرة)(٤): هذا عندنا حيث أخذ الله عليهم العهد في أصلاب آبائهم، قال: (**أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا**)(٥)"(٦).

وقيل: " إن الميثاق الثاني هو الفطرة، وهو أنه تعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول، كما قال تعالى: (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)(٧)"(٨).

ومن معاني الفطرة التي ذكرها العلماء: التوحيد(٩)، "وقال جماعة من الصحابة ومـن بعدهم، وجماعة من المفسرين، إن المراد بالفطرة هنا الإسلام، وهو مذهب السلف"(١٠).

---

1 – سورة الأعراف/ ١٧٢.

2 – الأوزاعي:هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو زرعة الأوزاعي إمام أهل الشام ولد في بعلبك سـنة ٨٨هـ، وتوفي في بيروت سنة ١٥٧ هـ، صنف: كتاب السنن في الفقه، كتاب المسائل في الفقه. انظر: هدية العارفين ٥/٥١١.

3 – حماد بن سلمة: هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البزاز البصري البطائني الفقيه النحوي الشهير بابن دينار مولى بني تميم توفي سنة ١٦٧هـ، له من المصنفات: العوالي في الحديث، كتاب السنن، كتاب قيس بن سعد. انظر: هدية العارفين ٥/٣٣٤.

4 – سبق تخريجه ص٤٠.

5 – سورة الأعراف/ ١٧٢.

6 – انظر: ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٧٤، دار الفكر.

7 – سورة الروم/ ٣٠.

8– حافظ أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ١/٤٨، من مطبوعات الرئاسـة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

9 – عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظـيم ٢/٣٧٤، قـدم لـه: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. معارج القبول١/٤٦.

10 – محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ٤/٣١٨، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٢هـ/١٩٦٤م. محمد الغزالي، عقيدة المؤمن ص١٣.

وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: "الفطرة هي الخِلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه؛ يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته، واحتجوا أن الفطرة الخلقة والفاطر الخالق؛ لقول الله عز وجل: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)([1]) يعني خلقهن، وبقوله: (**وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)([2]) يعني خلقني، وبقوله: (**قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**)([3]) يعني خلقهن، قالوا: فالفطرة الخلقة، وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار, ... قال أبو عمر بن عبد البر([4]) : "هذا أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يلد الناس عليها، أي أن الله خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه"([5]).

[1] – سورة فاطر / ١.
[2] – سورة يس /٢٢.
[3] – سورة الأنبياء /٥٦.
[4] – أبو عمر بن عبد البر: هو الحافظ جمال الدين أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأديب الفقيه المالكي، الشهير بابن عبد البر القرطبي، ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي بالشاطبية سنة٤٦٣هـ، له من المصنفات: آداب العلم، الاستذكار لمذاهب أئمة الأمصار، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في الفقه والحديث، البيان في تأويلات القرآن، كتاب العقل، كتاب الفرائض. هدية العارفين ٦/٥٥٠-٥٥١.
[5] – محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٨/١٤، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

وقيل: " هي الصبغة، قال العلماء: صبغة الله : هي الفطرة، وقالوا هي دين الله، كما قال قتادة([1])، وأبو العالية([2])، وعكرمة([3]).

وقالوا أنها الإيمان، كما قال مجاهد([4])، وابـن جـريج([5])، وقـال مجاهـد: الـصبغة الفطرة"([6]).

وقيل: " هي دين الله، والمراد بفطرهم على دين الإسلام، خلقهم قابلين له غير نائين عنه ولا منكرين لكونه مجاوباً للعقل، مساوقاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر"([7]).

قال ابن الأثير([8]): " الفطرة الابتداء والاختراع، والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلـة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلـى غيرهـا،

[1] – قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز الدوسي الحافظ العلامة، روى عن شيبان بن عبد الـرحمن وكان من أحفظ الناس، وقال عنه الإمام أحمد: قتادة عالم بالتفسير ووصفه بالفقه وكان اعلم أهـل البـصرة، وتوفي بالطاعون سنة ١١٨هـ، وله من العمر خمس وسبعون سنة. الحافظ شمس الدين النـووي، طبقـات المفسرين ٤٨/٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

[2] – أبو العالية: رفيع بن مهران، الإمام المقريء الحافظ المفسر أبو العالية الرياحي البصري، أدرك زمـان النبي صلى الله عليه وسلم، اسلم في خلافة أبي بكر الصديق، وسمع من عمر وعلي وأبي وأبـي ذر وابـن مسعود، وحفظ القرآن، قال أبو عمرو الداني: أخذ أبو العالية القرَاءة عرضا عن أبي وزيد وابن عباس، سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٤، وللاستزادة انظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١٢/٧، دار صادر، بيروت.

[3] – عكرمة: هو عكرمة بن عبد الله البربري الأصل مولى ابن عباس من التابعين توفى سنة ١٠٥هـ. انظر: معجم المؤلفين ٣٨٢/٢

[4] – مجاهد: هو مجاهد بن جبر المخزومي أبو الحجاج المقرئ المكي مولى عبد الله بن السائب , يروى أنـه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مره توفى وهو ساجد في الصلاة سنة ١٠٤هـ ,أجمعت الأمـة علـى إمامة مجاهد والاحتجاج به , له كتاب العروض . انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال٤٤٠/٣، تحقيق: علي محمد اليحاوي، دار المعرفة، بيروت،ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣. هدية العارفين ٤/٦.

[5] – ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم، المكي أبو الوليد، (٨٠هـ – ١٠٥هـ)، (٦٩٩م-٧٦٧م)، محدث حافظ فقيه مفسر رومي الأصل ولد بمكة وقدم العراق وحدث بالبـصرة من آثاره: السنن، مناسك الحج، تفسير القرآن. معجم المؤلفين ٣١٨/٢.

[6] – انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان فـي تأويـل آي القـرآن ٢٥١/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. عبد الرحمن جلال الدين الـسيوطي، الـدر المنثور في التفسير بالماثور ٣٤٠/١، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[7] – أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، روح المعـاني فـي تفـسير القـرآن والـسبع المثاني٤٠/٢١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. وانظر: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمـود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل المشهور بتفسير النسفي ٢٧٢/٣، دار إحياء الكتب العربية.

[8] – ابن الأثير: ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير الجـزري ثم الموصلي من جزيرة ابن عمر نزيل بغداد، الأديب الكاتب، ولد سنة ٥٥٨هـ، وتـوفي ببغـداد سـنة=

وإنما يعدل عنها لأنه من آفات البشر والتقليد"([١])، ونقل الإمام النسفي([٢]) عن الزجاج([٣]): "أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به"([٤]).

ومن خلال استعراض هذه الأقوال فإن القول الذي نراه في معنى الفطرة: أنها الخلقة الأولى التي خلق عليها البشر، والطبع الأول المتهيئ لقبول الدين، وهذا ما ذكره الإمام البقاعي في نظم الدرر من بين الأقوال، وذلك للاعتبارات التالية:

١- لقوله تعالى: **(وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**([٥])، والمعنى: أن الله تعالى أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا، لا كفرا ولا إيمانا، وقد جعل لنا السمع والأبصار والأفئدة التي هي أسباب المعرفة، وذلك من أجل اكتساب المعلومات وتعقُّل الحقائق بها.

٢- معنى الحديث (كل مولود يولد على الفطرة)([٦])، أي يولد على الخلقة الأصلية السليمة، أي لا يكون لديه أية فكرة عن الأفكار وخاصة ما بها كفر أو الحاد([٧]).

=٦٣٧هـ، من تصانيفه: الاستدراكات، البرهان في علم البيان، ديوان الترسل، رسالة في الضاد والظاء، الوشى المرقوم في حل المنظوم، وغيرها... انظر: هدية العارفين ٤٩٢/٦-٤٩٣.

[1] - روح المعاني ٤٠/١، لسان العرب ٥٦/٥.

[2] - النسفي: حافظ الدين النسفي عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي الحنفي، توفي سنة ٧١٠هـ، له اعتماد الاعتقاد، عمدة العقائد في الكلام، فضائل الأعمال، مدارك التنزيل وحقائق التأويل في تفسير القرآن، كشف الأسرار في شرح المنازلة، غيرها، هدية العارفين ٤٦٤/٥.

[3] - الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج. أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه. وصار مع المعتضد يعلم أولاده ومع عبيد الله بن سليمان أولا، توفي الزجاج يوم الجمعة لأحدى عشرة بقين من جمادى الآخرة سنة عشرة وثلاثمائة ٣١٠هـ، له من الكتب: معاني القرآن، الاشتقاق، القوافي، العروض، الفرق، ما ينصرف وما لا ينصرف. انظر: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، الفهرست لابن النديم ٦٦/٢، تحقيق: رضا تجدد.

[4] - مدارك التنزيل ٢٧٤/٤.

[5] - سورة النحل/ ٧٨.

[6] - سبق تخريجه ص٤٠.

[7] - لقد ذكر شراح كتب الحديث أقوالا عدة لمعنى الفطرة في شرحهم لهذا الحديث، وملخص ما فيها قالوا: " قال ابن عبد البر المراد أن كل من ولد على الفطرة وكان له أبوان على غير الإسلام نقلاه إلى دينهما. وقد اختلف السلف والخلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة، حكى أبو عبيد انه سال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة عن ذلك فقال: كان هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض وقبل الأمر= =بالجهاد....، وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف، وقال ابن جرير: (فطرة الله) أي صبغة الله، وقال حماد بن سلمة: المراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها....، وإلى هذا مال القرطبي

٣- أن الناس لو فطروا على الإيمان أو الإسلام لم يستطع أحد أن يكفر ويخرج من الإسلام، لأنه لا طاقة لمخلوق أن يغير خلق الله، ولذلك قال الله تعالى بعد ذكر الفطرة: (**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**)([1]).

٤- كم من البشر قبل مجيء الإسلام وبعد الإسلام وفي عصرنا الحاضر لم يبلغهم الإسلام، وهم يعكفون على معبودات كالشمس، والعجل، والأصنام......

٥- لو كان الناس مفطورين بمعنى مخلوقين على الإسلام، إذا ما فائدة إرسال الرسل الذين جعلهم الله تعالى حجته على عباده، فقال: (**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**)([2]).

٦- ولو فطر الناس على الإيمان فلماذا بقي النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الناس العقيدة الإلهية مدة ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة.

وفي نهاية حديثنا عن الفطرة لا بد وأن نعرج على أقوال العلماء في معنى الميثاق المأخوذ على العباد وهم في عالم الذر، حيث يرى كثير من العلماء أن الله أخذ العهد والميثاق على العباد وهم في عالم الذر بأن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن القرآن قد أشار إلى ذلك بقوله تعالى: (**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**

(في المفهم)، فقال: المعنى أن الله تعالى خلق قلوب بني ادم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابل للمرئيات والمسموعات....، وقال ابن القيم: المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، قال ابن المبارك: إن المراد أنه يولد على ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة (أول الفطرة بالعلم)، ومن الأقوال في الفطرة: أن الله خلق فيهم المعرفة والإنكار، وقيل هي ما اخذ عليهم في أصلاب أبائهم وأما الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين. انظر:أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٧٧٣-٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ٢٤٨/٣-٢٤٩، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المطبعة السلفية ومكتبتها. يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٨/١٦، المطبعة المصرية ومكتبتها.

[1] - سورة الروم/ ٣٠.

[2] - سورة النساء /١٦٥.

قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)([1])، قال الإمام البقاعي: ("واذكر ﴿إِذْ﴾ أي واذكر لهم ﴿أَخَذَ﴾، أي خلق بقوله وقدرته، ﴿رَبُّكَ﴾ أي المحسن إليك بالتمهيد لرسالتك كما يؤخذ القمل بالمشط من الرأس، ولما كان السياق لأخذ المواثيق والأخذ بقوة، ذكر أخذ الذرية من أقوى نوعي الآدمي، وهم الذكور فقال: (مِن بَنِي آدَمَ) وذكر أنه جعلها من أمتن الأعضاء فقال: (مِن ظُهُورِهِمْ) كل واحد من ظهر أبيه (ذُرِّيَّتَهُمْ) إشارة إلى أنه لما أكد عليهم المواثيق وشددها لهم وأمرهم بالقوة في أمرها، أعطاهم من القوة في التركيب والمزاج ما يكونون به مطيعين لذلك، فهو تكليف بما في الوسع، وجعل لهم عقولا عند من قال: هو على حقيقته كنملة سليمان عليه الصلاة السلام، (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ) أي أوضح لهم من البراهين من الإنعام بالعقول مع خلق السموات والأرض وما فيهما على هذا المنوال الشاهد له بالوحدانية وتمام العلم والقدرة ومن إرسال الرسل المؤيدين بالمعجزات ما كانوا كالشهود بأنه لا رب غيره؛ وقد ذكر معنى هذا الإمام حجة الإسلام الغزالي في الكلام على العقل من باب العلم من الإحياء، فانه قال في معنى هذه الآية: "والمراد إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة، فإنهم انقسموا في إقرار الألسنة من حيث وجدت الألسنة والأشخاص؛ ثم ذكر أن النفوس فطرت على معرفة الأشياء على ما هي عليه لقرب الاستعداد للإدراك".

"ولما تبين أنه فرد لا شريك له فلا راد لأمره، وأنه رب فلا أرأف منه ولا أرحم كان ذلك أدعى لطاعته خوفا من سطوته ورجاء لرحمته، فكانوا بذلك بمنزلة من سئل عن الحق فأقره به، فلذلك قال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) أي المحسن إليكم بالخلق والتربية، بالرزق وغيره،

[1] – سورة الأعراف/ ١٧٢.

(قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا) أي كان علمنا بذلك علما شهودياً وذلك لأنهم وصلوا بعد البيان إلى حد لا يكون فيه الجواب إلا ذلك فكأنهم قالوه")([1]).

وأضاف قائلاً: "ولما كان كأنه قيل: لم فعل ذلك؟ قيل: دلالة على أن المتقدم إنما هو على طريق التمثيل بجعل تمكينهم من الاستدلال كالإشهاد...، ومما يؤيد معنى التمثيل حديث انس ﷺ في الصحيح: (يقول الله: لأهون أهل النار عذابا لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به، قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا – وأنت في صلب آدم– أن لا تشرك شيئا فأبيت إلا الشرك)([2])، وذلك لأن التصريح بالآباء ينافي كون الإقرار على حقيقته، والأخذ وهو في الصلب إنما هو بنصب الأدلة وتقرير الحق على وجه مهيء للاستدلال لتركيب العقل على القانون الموصل إلى المقصود عند التخلي من الحظوظ والشوائب.....، فالاستنطاق في الحديث على بابه، عبرة لأبينا آدم عليه السلام ومن حضر ذلك من الخلق، وإيقافا لهم على بديع قدرته وعظيم علمه وإشهاد ما أشهد من المخلوقات، بمعنى أنه نصب فيها من الأدلة ما يكون إقامة الحجة به عليهم بالنقض إن أشركوا كشهادة الشاهد الذي لا يرد، وليس في شيء من الروايات ما ينافي هذا، والحاصل أنه أُخِذ علينا عهدان، أحدهما: حالي تهدي إليه العقول وهو نصب الأدلة، والآخر مقالي أخبرت به الرسل، كل ذلك للإعلام بمزيد الاعتناء بهذا النوع البشري لما له من الشرف الكريم، ويراد به من الأمر العظيم"([3]).

والحق أن ما ذهب إليه الإمام البقاعي من أن الميثاق والإشهاد والإقرار على طريق التمثيل هو الصواب، فالأخذ وهو في الصلب إنما هو لنصب الأدلة وتقرير الحق على وجه الاستدلال بتركيب العقل على القانون الموصل إلى المقصود، فهو إذاً – الميثاق– الدلائل

---

[1] – نظم الدرر٣/١٤٧–١٤٨، وللاستزادة انظر: حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الاسفار ٩٢/١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
[2] – صحيح البخاري ١٦٢/٤. صحيح مسلم ٢١٦٠/٤–٢١٦١. مسند أحمد ١٢٧/٣.
[3] – نظم الدرر ٣/ ١٤٨–١٤٩

والبراهين المنصوبة للتدليل على ربوبية الله سبحانه وتعالى، وقد وجه الإمام البقـاعي هـذا القول بالكلام على الحديث السابق، فكانت الأدلة والبراهين حتى يقطع الأعذار يـوم القيامـة فكأنهم شهدوا على أنفسهم، وقالوا بلى عندما سألهم: ألست بربكم؟ فهو مـن بـاب التمثيـل والتصوير للمعنى.

وهذا القول ذكره: (الإمام الزمخشري([1])، والنسفي، وابن كثير([2])، وأبـو الـسعود([3])، وأبو حيان)([4])، والبيضاوي([5]))([6]).

---

[1] – الإمام الزمخشري: هو العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر الأديـب النحوي اللغوي الفقيه الشافعي الشهير بالزمخشري، ولد سنة ٥٣٨هـ، وتـوفي بجرجانيـة خـوارزم سـنة ٦٣٨هـ، من تصانيفه: أساس البلاغة في اللغة، أساس التقديس، شرح آيات الكشاف، الكشاف فـي حقـائق التنزيل. وغيرها.... انظر: هدية العارفين ٦/٤٠٢-٤٠٣.

[2] – ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر القرشي ابن كثير البصري ثم الدمشقي عماد الدين أبو الفـداء الحـافظ المحدث الشافعي ولد سنة ٧٠٥هـ، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ، من تصانيفه: الاجتهاد في طلب الجهـاد، أحكـام التنبيه، البداية والنهاية في التاريخ، تفسير القرآن، تكملة أسماء الثقات والضعفاء، جـامع المـسانيد والـسنن الهادي لأقوم سنن، شرح الجامع الصحيح للبخاري، وغير ذلك. انظر: هدية العارفين ٥/٢١٥.

[3] – أبو السعود العمادي: محمد " ثم تحقق أن اسمه أحمد " بن محيي الدين محمد بن مـصطفى الأسـكليبي العمادي شيخ الإسلام أبو السعود الرومي الفقيه الحنفي، ولد سنة ٨٩٦هـ، وتوفي سـنة ٩٨٢ هـ، مـن مصنفاته: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في تفسير القرآن، الفتاوى، نهاية الأمجاد علـى كتـاب الجهاد على الهداية للمرغيناني. انظر: هدية العارفين٦/٢٥٣-٢٥٤.

[4] – أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الحياني الإمام أبو حيان أثيـر الـدين الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئُه ومؤرخه وأديبه، ولد سنة ٦٥٤ هـ، اخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، تقدم في النحو، من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، توفي بمصر سنة ٧٤٥ هـ.طبقات المفسرين ٢/٢٨٧-٢٩٠.

[5] – البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والعربية والمنطق والأصلين ، كان زاهدا شافعيا، مات سنة ٦٨٥هـ بتبريز. من كتبه: مختصر الكشاف، المنهاج في الأصول، الإيضاح في أصول الدين. طبقات المفسرين ١/٢٤٨.

[6] – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوب التأويل ٢/١٤٥، تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر، دار المصحف، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. وللاستزادة انظر: مدارك التنزيل ٢/٨٥. تفسير القرآن العظيم ٢/٢٧٥. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم٣/٢٩٠، دار المصحف، القاهرة. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرنـاطي، البحـر المحـيط ٤/٢٤٠، دار الفكـر، بيـروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنـوار التنزيـل وأسرار التأويل(تفسير البيضاوي) ص ٢٢٨، دار الجيل.

ومما يؤكد ما ذهب إليه الإمام البقاعي:

١- أننا إذا نظرنا في قولـــه تعـــالى: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)**([1])، أن الله سبحانه وتعالى، قال: **(مِن بَنِي آدَمَ)** ولـــم يقــل **مـــن آدم** وقـــال: **(مِن ظُهُورِهِمْ)**، ولم يقل من ظهره، وقال **(ذُرِّيَّتَهُمْ)**، ولم يقــل: ذريتـــه، قـــال: **(وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ)**، ولم يقل: وأشهده على نفسه، ثم إنهم شهدوا على ذلك، فلذلك كان الإشهاد والإقرار على طريق التمثيل.

٢- قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)**([2])، وقوله تعالى: **(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)**([3])، فمن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشيء.

---

[1] - سورة الأعراف /١٧٢.
[2] - سورة التحريم /٧.
[3] - سورة المدثر /٣٨.

الفصل الثاني

أسماء الله تعالى

الاسم يدل على مسمى، وأسماء الله تعالى دالة على ذاته القدسية، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بها في كتابه العزيز، وجاءت بها السنة المطهرة، يقول الإمام البقاعي: " ومهما اطلعت على وصف حسن يليق به سبحانه وتعالى فهو مما دل عليه الاسم الأعظم، لأن من يستحق العبادة لا يكون إلا كذلك، جامعاً لأوصاف الكمال"(١)، فالاسم في الغالب من أسمائه تعالى دال على صفة من صفاته، فإن تعدد أسماء الله تعالى إشارة إلى عظمة المسمى، وكثرة الأسماء لا تقدح في التوحيد ما دامت دالة على ذات واحدة، تتصف بصفات الجلال والكمال، فتعظيم الاسم من تعظيم المسمى، والذي هو واحد وإن تعددت الأسماء، ولما كان شرف العلم بشرف المعلوم رأينا العلماء قديما وحديثا يبحثون في أسماء الله تعالى، ولذلك دونوا في هذا العلم العظيم أسفارهم(٢)، وأعملوا في شرحها أفكارهم.

وقد تناول الإمام البقاعي الحديث عن أسماء الله تعالى في تفسيره (نظم الدرر)، ومجمل ما ذكره ينتظم في المباحث التالية:

[1] – نظم الدرر ج١/٤٥٢

[2] – من المؤلفات التي خصت الأسماء الحسنى بالحديث: اشتقاق الأسماء الحسنى للزجاجي ت ٣٣٧هـ، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى للغزالي ت٥٠٥هـ، شرح أسماء الله الحسنى للرازي ت٦٠٦هـ، ومن المحدثين موسوعة له الأسماء الحسنى للدكتور أحمد الشرباصي، وشرح أسماء الله الحسنى لمحمد بيومي، ولله الأسماء الحسنى للدكتور يوسف المرعشلي، وغير هذا كثير.

المبحث الأول

أسماء الله كلها حسنى

أولاً: معنى الاسم لغة واصطلاحاً

اختلف أهل اللغة في تعريف الاسم، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلافهم في اشتقاقه، قيل: "إنه مشتق من السُّمو وهو العلو وهذا مذهب البصريين"(١)، وقيل: "مشتق من وسم بمعنى علم علامة، وهذا مذهب الكوفيين"(٢)، فيكون الاسم هو العلو والرفعة على الأول، والعلامة والسمة التي تعرف الشيء ويعرف بها على الثاني، ولذلك قال النحويون: " إن الاسم لفظة مفردة دالة بالوضع على معنى من غير أن تدل على زمانه المعين"(٣)،

وقيل: "هو اللفظ المفرد الموضوع للمعنى على ما يعم أنواع الكلمة، وقد يقيد بالاستقلال والتجرد عن الزمان"(٤).

وعرفه الغزالي: "أنه اللفظ الموضوع للدلالة على المسمى"(٥).

وعرفه أبو حيان: "أنه اللفظ الدال بالوضع على وجود في العيان إن كان محسوسا، وفي الأذهان إن كان معقولا من غير تعرضه ببنيته للزمان"(٦).

---

[1] – انظر: فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، شرح أسماء الله الحسنى ص٣٠، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله ص٢٥٥ تحقيق: د.عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. طالب محمود أبو سنينة، أسماء الله الحسنى وأثرها في سلوك الإنسان ص٢٠، دار المحبة، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[2] – نفس المصدر والصفحة.

[3] – الرازي، شرح أسماء الله الحسنى ص٣٠.

[4] – مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد ٤/ ٣٣٨، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

[5] – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص٢١٧، ضبطه وخرج آياته: أحمد قبأني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[6] – البحر المحيط ١٦/١.

وأسماؤه تعالى: "ما دل على الذات بمجردها، كالله، و(خداي) بالفارسية، أو باعتبار الصفة كالعالم والقادر"([1]).

ثانياً: معنى الحسنى

قال الراغب الأصفهاني: "الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسن، قال: والفرق بين الحُسْنِ والحَسَنَةِ والحُسْنَى، أن الحُسْنَ يقال في الأعيان([2]) والأحداث([3]) وكذلك الحَسَنَة إذا كانت وصفا، وإذا كانت اسماً فمتعارف في الأحداث، والحسنى لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان"([4]).

وقال الإمام القرطبي([5]) في أحكام القرآن: "سمى الله أسماءه بالحسنى لأنها حسنى بالأسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وأفضاله"([6]).

قال الإمام الرازي: "وفي وصف الأسماء بالحسنى وجوه:

الأول: أنها دالة على معان حسنة؛ لأن أكمل الصفات وأجلها وأعلاها هي صفات الله.

والثاني: المراد بالأسماء معنا هنا الأوصاف الحسنة وهي الوصف بالوحدانية والجلال والعزة والإحسان، وانتفاء شبهة الخلق"([7]).

---

[1] – إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري، تحفة المريد ص١٠٠، ضبطه وصححه عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

[2] – الأعيان: ما له قيام بذاته، ومعنى قيامه بذاته أن يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شيء آخر، بخلاف العرض فان تحيزه تابع لتحيز الجواهر الذي هو موضوعه أي محله الذي يقومه. التعريفات ص٣٠.

[3] – الأحداث: إيجاد شيء مسبوق بالزمان. التعريفات ص١٠.

[4] – المفردات ص ١١٨-١١٩.

[5] – القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين أبو عبد الله القرطبي المالكي المتوفى بنية ابن خصيب سنة ٦٧١ هـ، له من الكتب: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الأعلام بما في دين النصارى وإظهار محاسن دين الإسلام، التذكار في فضل الأذكار، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، شرح التقصي، قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة، وغير ذلك. انظر: هدية العارفين ١٢٩/٦.

[6] – الجامع لأحكام القرآن ٣٢٦/٧.

[7] – الرازي، شرح أسماء الله الحسنى ص ٥٢.

ثالثاً: الآيات التي تحدثت عن الأسماء الحسنى

ورد في القرآن الكريم عدة آيات تدل على أن أسماء الله تعالى حسنى وقد تناولها الإمام البقاعي بالحديث، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: **(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)**(١): "لما كان الاسم إذا لحظت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة، أنث في قوله: (**الْحُسْنَى**) أي كلها باتصافه دون غيره بصفات الكمال التي كل واحد منها أحسن شيء وأجمله وتنزهه عن شوائب النقص وسمات الحدث، فكل أفعاله حكمة وإنما كان مختصاً بذلك لأن الأشياء غيره ممكنة لتغيرها، وكل ممكن محتاج وأدنى ما يحتاج إلى مرجح يرجح وجوده، وبذلك نعلم وجود المرجح ونعلم أن ترجيحه على سبيل الصحة والاختيار لا الوجوب، وإلا لدام العالم بدوامه، وبذلك ثبتت قدرته، وتكون أفعاله محكمة ثبت علمه، فثبتت حياته، وسمعه، وبصره، وكلامه، وإرادته، ووحدانيته، وإلا لوقع التنازع فوقع الخلل، فالعلم بصفاته العلى ليس في درجة واحدة بل مترتباً، وعلم بهذا أن الكمال له لذاته، وأما غيره فكماله به وهو بذاته غرق في بحر الفناء واقع في حضيض النقصان"(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً)**(٣)، قال: " (**أَيّاً مَّا تَدْعُواْ**) أي به من أسمائه فقد حصلتم به على القصد، فإن المسمى واحد وإن تعددت أسماؤه الدالة على الشرف....،

---

[1] – سورة الأعراف / ١٨٠.
[2] – نظم الدرر ١٦٠/٣.
[3] – سورة الإسراء /١١٠.

(**الأَسْمَاء الْحُسْنَى**) هذان الاسمان وغيرهما مما ورد عن النبيﷺ، وهو دال على التمجيـــد، والتحميد، والتقديس، والتعظيم"([1]).

وفي تفسير قوله تعالى: (**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى**)([2])، قال: "ولما كان من هو بهذه الأوصاف من تمام العلم والقدرة ربما ظن أن له منازعاً، نفى ذلك بقوله معلماً أن هذا الظن باطل قطعاً لا شبهة له وأن ما مضى ينتج قطعاً: (**اللَّـهُ**) مفتتحا بالاسم الأعظم الحاوي لصفات الكبر وغيرها (**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**) ثم علل ذلك بقوله: (**لَهُ**) أي وحده، (**الْأَسْمَاء الْحُسْنَى**) أي صفات الكمال التي لا يصح ولا يتصور أن يشوبها نقص ما، بل هو متصف بهـــا دائمـــا اتصافا حقيقيا لا يمكن انفكاكه"([3]).

نأخذ من كلام الإمام البقاعي أن غالب أسمائه سبحانه وتعالى يدل كل اسم منها علـــى صفة من صفاته، وكل صفاته كمال فهي حقيقة بالحمد والتحميد والتنزيه الخالص من شوائب النقص.

---

[1] – نظم الدرر ٤/٤٣٨.
[2] – سورة طه/ ٨.
[3] – نظم الدرر ٥/١٠.

المبحث الثاني

الإلحاد في أسماء الله تعالى

أولاً: معنى الإلحاد لغةً واصطلاحاً

قال الراغب الأصفهاني: "لَحَدَ بلسانه إلى كذا مال، وألحَدَ فلان مال عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني موهن عراه ولا يبطله، والإلحاد في أسمائه على وجهين: أحدهما أن يوصف بما لا يصلح وصفه به، والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به"([1])،

قال الإمام البقاعي: "وهذا الفعل يستعمل مجردا، فيقال: لَحَدَ في كذا و ألحَدَ فيه بمعنى واحد، وهو العدول عن الحق والإدخال فيه ما ليس منه"([2]).

قال القرطبي: " الإلحاد: الميل وترك القصد، يقال: الحَدَ الرجل في الدين، والحد إذا مال، ومنه اللحد في القبر؛ لأنه في ناحيته".

والإلحاد في أسماء الله تعالى له أنواع متعددة ذكر القرطبي منها ثلاثة، فقال: "والإلحاد يكون بثلاثة أوجه:

أحدها: بالتغيير فيها كما فعله المشركون ، وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، قاله ابن عباس وقتادة. الثاني: بالزيادة فيها. الثالث: بالنقصان منها كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية

---

[1] – المفردات ص ٤٤٨، مادة: لَحَدَ.

[2] – نظم الدرر ٣/١٦٠.

يسمون الله فيها بغير أسمائه ويذكرونه بغير ما يذكر من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به"([1]).

فالإلحاد يقود إلى الإشراك بالله سبحانه وتعالى سواء أكان بالتغيير بالأسماء أو بالزيادة أو النقصان منها، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من ذلك كله.

ثانياً: الإلحاد في أسمائه تعالى

أوضح الإمام البقاعي تحذير الله سبحانه وتعالى من الإلحاد في أسمائه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (**وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**)([2])، فقال: "(**الَّذِينَ يُلْحِدُونَ**) أي يميلون عما حُدَّ لهم بزيادة فيشبهوا، أو نقص فيعطلوا،(**فِي أَسْمَآئِهِ**) أي فيطلقونها على غيره بأن يسموه إلها، فيلزمهم أن يطلقوا عليه جميع أوصاف الإله. فقد ألحدوا في البعض بالفعل وفي الباقي باللزوم([3])، أو بأن يسموه بما لم يأذن فيه، وما لم يأذن فيه تارة يكون مأذونا فيه في الجملة كالضار فلا يجوز ذكره إلا مع النافع، وتارة لا، مثل إطلاق الأب عليه والجسم، وكذا كل ما أوهم نقصاً، فلم يكن أحسن، ولورود إطلاق بعض اشتقاقاته عليه مثل علم لا يجوز أن يقال لأجله: معلم، وكذا لحبهم لا يجوز لأجله أن يقال: يا خالق الديدان والقردة مثلاً، وكذا لا يجوز أن يذكر اسم لا يعرف الذاكر

---

[1] – انظر: علي عايد إبراهيم، الإمام القرطبي وجهوده في توضيح العقيدة ٦٦/١، رسالة دكتوراة، نقلا عن القرطبي في أحكام القرآن ٧/ ٣٢٨. محمد بيومي، شرح أسماء الله الحسنى ص٢٠، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[2] – سورة الأعراف /١٨٠.

[3] – اللازم: ما يمتنع انفكاكه عن الشيء ، التعريفات ص١٩٩.

معناه ولو كان الناس يفهمون منه مدحا كما يقول بعض البدو: يا ابيض الوجه! يا أبا المكارم! فان ذلك إلحاد"([1]).

فالإلحاد: هو التلاعب بأسماء الله سبحانه وتعالى وتغيير معناها وتحريف مجراها وإطلاقها على غير المأذون فيه، ونرى هذا كثيراً بين العامة وخاصة ما يدور بينهم من مداعبات أو ما يجري على ألسنتهم من الأمثال......

يقول الإمام البقاعي في تفسيره لقوله تعالى: **(أوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)**([2])، قال: " ويتحققوا أن كتابه سبحانه مباين لجميع مخلوقاته فيعلموا أنه صفته سبحانه وكلامه، فلا يلحدوا في أسمائه، فلا يسموا بشيء منها غيره لما ظهر لهم من تمام قدرته وتمام عجز غيره عن كل شيء، ومن شمول علمه وتناهي جهل غيره بكل شيء إلى غير ذلك، حتى يعلموا بعظمة هذا الكون أنه سبحانه عظيم، وبقهره لكل شيء أنه قهار شديد، وبعجز كل شيء عن كل شيء من أمره انه عزيز، وبإسباغه النعمة أنه رحيم كريم إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تنطق الأشياء بها بألسنة الأحوال وتتحدث بها صدور الكائنات وإن لم يكن لها مقال ويشرحها كلام التدبير بما له من الكمال"([3]).

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**([4]): "**(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ)** أي يميلون بصرف المعاني عن القصد وسنن العدل بنحو قولهم: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ**

1 – نظم الدرر ٣/١٦٠.
2 – سورة الأعراف /١٨٥.
3 – نظم الدرر ٣/١٦٣.
4 – سورة فصلت /٤٠.

زُلْفَىٰ)([1])، أو يماحلون باللغو بالمكاء([2]) والتصدية([3]) وغير ذلك من أنواع اللفظ وكل ما يشمله معنى الميل عما تصح إرادته"([4]).

فالإلحاد في الأسماء قادح في الاعتراف بالعظمة وسبب لإلقاء صاحبه في النار، وخروج عن الجادة والعياذ بالله.

المبحث الثالث

طريق إثبات أسماء الله تعالى

اختلفت كلمة العلماء في طريق إثبات أسماء الله تعالى هل هي توفيقية أم توقيفية؟ بمعنى أنه لا يجوز إطلاق أي اسم من الأسماء على الله تعالى إلا ما ورد في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة.

"قال الإمام الشعراني([5]) رحمه الله تعالى في كتابه (لطائف المنن): "قد اجمع أهل السنة على منع كل إطلاق لم ترد به الشريعة، سواء كان في حق الله تعالى، أو في حق أنبيائه، أو في حق دينه"([6]).

---

[1] – سورة الزمر /٣.

[2] – مكاء: مكا: مكا الطير يمكو مكاءً، صفر، قال تعالى: (وما كانت صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)، تنبيها إلى ذلك منهم جار مجرى مكاء الطير في قلة الغناء، والمكّاء: طائر، ومكتِ أسته: صونت، المفردات ص٤٧١.

[3] – التصدية: الصدى: صوت يرجع إليك من كل مكان صقيل، والتصدية: كل صوت يجري مجرى الصدى في أن لا غناء فيه، وقوله تعالى: (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)، أي غناء ما يريدونه غناء الصدى، ومكاء الطير، المفردات ص ٢٧٨-٢٧٩.

[4] – نظم الدرر ٥٧٨/٦.

[5] – الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد ابن محمد بن زرقا بن موسى بن السلطان أحمد التلمساني الفقيه المحدث الشعراني المصري الصوفي توفي في جمادى الأولى من سنة ٩٧٣ هـ، له من المصنفات: الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء، البحر المورود في المواثيق والعهود، البروق الخواطف، تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء، تنبيه المغترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر، الجواهر والدرر، الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة. انظر: هدية العارفين ٦٤١/٥.

[6] – عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد، لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى على الإطلاق ٢٤٣/١، بلا اسم الناشر ومكان النشر ورقم الطبعة وسنتها. وللاستزادة انظر:=

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري([1]): "ما أطلق الشرع في حقه تعالى أو في حق أنبيائه أو في حق دينه أطلقناه وما منع منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع ألحقناه بالممنوع حتى يرد الإذن في إطلاقه"([2]).

وقال اللقاني([3]): " واختار جمهور أهل السنة أن (أسماه) المراد بهـا مقابـل الـصفة (توقيفية) أي تعليمية يتوقف جواز إطلاقها عليه تعالى على تعليم الشارع وإذنه في ذلك بـأن يسمع من لسانه بطريق صحيح أو حسن أو يأذن باستعماله كـذلك، فمـا أذن فـي إطلاقـه واستعماله مما لم يكن إطلاقه موهماً نقصاً بل كان مشعراً بالمدح جاز اتفاقاً وما لا فعلى المنع والتحريم"([4]).

ويقول الإمام الغزالي: "كل ما يرجع إلى الاسم بذلك موقوف على الإذن، وما يرجـع إلى الوصف فذلك لا يقف على الإذن، بل الصادق منه مباح دون الكاذب....، ويقـول: فـان قيل: ولم يجوز أن يقال له: العارف، والعاقل، والفطن، والذكي، وما يجري مجراه؟ قلنا: إنما المانع من هذا وأمثاله ما فيه من إيهامات، وما فيه إيهام لا يجوز إلا بإذن، كالصبور، والحليم، والرحيم، فان فيه إيهاما ولكن الإذن قد ورد به....، ويقول: فان حقق لفظ لا يوهم أصلا بين المتفاهمين، ولم يرد الشرع بالمنع منه، فانا نجوز إطلاقه قطعا"([5]).

=عبد الله غزواني، أصول العقائد الإسلامية ص٥٤، مراجعة: محمد بشير الشقفة، دار العلم، دمـشق، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. رسالة دكتوراة، علي عايد إبراهيم ٦٧/١.

[1] – أبو الحسن الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بـن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري, ولدسنة٢٦٠هـ، ومات سنة ٣٢٤هـ، دفن في مشرعة الزوايا في تربة إلى جانبها مسجد، له من المصنفات: أدب الجدل, كتاب الاجتهاد, كتاب الاحتجـاج, كتـاب المعارف, وغيرها. انظر: تاريخ بغداد ١١/ ٣٧٤ , هدية العارفين ٦٧٦/٥-٦٧٨.

[2] – انظر: المقصد الأسنى ص٢١٧. أصول العقائد الإسلامية ص ٥٤. رسالة دكتوراة، علي عايد إبـراهيم ٦٧/١.

[3] – اللقاني: هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي بن علي بن علي بن عبد القدوس اللقاني العارف بـالله أبو الإمداد المصري المالكي، توفي سنة ١٠٤١هـ، بقرب العقبة وهو عائد من الحج. مـن كتبـه: بهجـة المحافل وأجمل الوسائل بالتعريف برواة الشمائل، جوهرة التوحيد، عقد الجمان في مسائل الـضمان، قـضاء الوطر في نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حج. انظر: هدية العارفين ٣٠/٥، الأعلام ٢١/١.

[4] – عبد السلام بن إبراهيم المالكي اللقاني، إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ص ٧٧-٧٨، صـححه وعلـق عليه: محمد يوسف الشيخ، مكتبة القاهرة.

[5] – المقصد الأسنى ص٢١٧-٢٢١.

ويقول الإمام الرازي في شرح أسماء الله الحسنى: " مذهب أصحابنا أنهـا توقيفيـة، وقالت المعتزلة(١)، والكرامية(٢): " إن اللفظ إذا دل العقل على أن المعنى ثابت في حـق الله سبحانه وتعالى جاز إطلاق ذلك اللفظ على الله تعالى سواء ورد التوقيف به أو لم يرد، وهـو قول القاضي أبي بكر الباقلاني(٣)، واختيار الشيخ الغزالي أن الأسماء موقوفة على الإذن، أما الصفات فغير موقوفة على الإذن، وهذا هو المختار"(٤).

وقال التفتازاني(٥): "لا خلاف في جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري تعالى إذا ورد إذن الشرع، وعدم جوازه إذا ورد المنع، وإنما الخلاف فيما لم يرد به إذن ولا منـع وكان هو موصوفا بمعناه ولم يكن إطلاقه عليه مستحيل في حقه، فعنـدنا لا يجـوز، وعنـد

---

[1] – المعتزلة: وهي فرقة كلامية تنسب إلى واصل بن عطاء من حيث النشأة. ويـسمون أصـحاب العـدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية وقد جعلوا لفظ القدر مشتركا وقالوا: لفظ القدرية يطلق على مـن يقـول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، ونفوا الصفات القديمة فقالوا: عالم بذاته قادر بذاته... واتفقوا أن كـلام الله تعالى محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت، واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليـست معـاني قائمة بذاته. ونفوا الرؤية لله تعالى بالأبصار. وأن العبد خالق لأفعاله خيرها وشـرها، وان الله لا يقبـل إلا الأصلح والخير. ويجب عليه رعاية مصالح العباد، ومرتكب الكبيرة خالد في النار لكن بعقوبـة اخـف مـن الكفار (وعد ووعيد)، والحسن والقبيح عقلي وهم فرق. انظر: الملل والنحل ٤٣/١-٤٥.

[2] – الكرامية: هي الفرقة الثانية عشرة من المرجئة، وهم أصحاب محمد بن كرام، وهم ممن يثبت الـصفات لكنه ينتهي بها إلى التجسيم والتشبيه، من معتقداتهم أن الأيمان إقرار وتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانا، وزعموا أن المنافقين في العصر الأول مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان. انظر: الملل والنحل ١٠٨/١، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين٢٢٣/١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.

[3] – الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني، ولد في البصرة ولم يحدد أحد من مصادر التاريخ مولده، توفي سنة ٤٠٣هـ، أجمعت المصادر انه كان في الفقه مالكيا وكان تقيا لـه كل ليلة عشرين ترويحة، غزير التصنيف، يكتب كل ليلة خمسا وثلاثين ورقة تصنيفا من حفظه، مؤلفاته أكثر من خمسين مؤلفا، منها: الأبأنة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة، كتاب الاستشهاد، التمهيد، شرح اللمع. انظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الشافعي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ٣٧٩/٥، دار الكتـاب العربي، بيروت. عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين ٥٦٩-٥٧٣، الجزء الأول (المعتزلة والاشـاعرة)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م. هدية العارفين ٥٩/٦.

[4] – الرازي، شرح أسماء الله الحسنى ص٤٠.

[5] – التفتازاني: هو الامام سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الهروي الخراساني العلامة الفقيه الاديب الحنفي الشهير بالتفتازاني، ولد سنة ٧٢٢هـ، وتوفي بسمرقند سنة ٧٩٢هـ، له من المصنفات: اربعين في الحديث، ارشاد الهادي في النحو، تهذيب المنطق والنحو، شرح العقائد النسفية، مفتاح الفقه، وغيرها. انظر: هدية العارفين ٤٢٩/٦-٤٣٠.

المعتزلة يجوز، ومال إليه القاضي أبو بكر، وتوقف إمام الحرمين([1])، وفصل الإمام الغزالي رحمه الله فقال بجواز الصفة"([2]).

ولم أجد عند الإمام البقاعي كلاما صريحا يدل على جواز إطلاق أسماء لم يرد بها الشرع على الله تعالى، أو المنع من ذلك، ولكن من خلال استعراض تفسيره وجدت إشارات تدل على جواز إطلاق أسماء على الله تعالى إذا لم تكن ممنوعة بإيهامها أو كانت تدل على نقص، من ذلك قوله عن شهر رمضان: " يقال: رمضان هو اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى"([3]).

وقوله: "ومهما اطلعت على وصف حسن يليق به سبحانه وتعالى فهو مما دل عليه الاسم الأعظم لأن من يستحق العبادة لا يكون إلا كذلك جامعا لأوصاف الكمال، أو لأنه جبلت النفوس وطبعت القلوب على المعرفة بأنه سبحانه منزه عن شوائب النقص ومتصف بأوصاف الكمال"([4]).

هذا مجمل ما ذكره الإمام البقاعي فيما يتعلق بطريق إثبات أسماء الله تعالى الحسنى، وقد ذهب – على ما أشعره كلامه – إلى جعل الطريق لإثبات الأسماء الحسنى توفيقياً شريطة أن يدل الاسم على الكمال ولا يشعر بنقص وقد وافق بذلك ما ذهب إليه جمع من العلماء.

---

[1] – إمام الحرمين : هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيويه الجويني النيسابوري إمام الحرمين وكنيته أبو المعالي, ولد في ١٨ محرم ٤١٩ه في قرية من أعمال نيسابور, ونسب إلى جوين من قرى نيسابور, درس على والده الملقب بركن الإسلام كان والده فقيها, أصوليا, نحويا, مفسرا, أديبا، مات سنة ٤٨٨هـ بنيسابور، له: التذكرة, الفروق, مختصر المختصر, شرح الرسالة، وغيرها. انظر: مذاهب الإسلاميين ٦٧٩-٦٨٢.

[2] – شرح المقاصد ٣٤٤/٥. وللاستزادة انظر: تحفة المريد ص ١٠٢.

[3] – نظم الدرر ٣٤٢/١.وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٣٢١/١، ٣٠٢/٢، ٣٣٥، ٣٥/٣، ٥٢/٥، ٤٣، ١٠.

[4] – نظم الدرر ٤٥٢/١.

المبحث الرابع

اسم الله الأعظم

ذكر الإمام البقاعي عدة أقوال تشير إلى اسم الله الأعظم، منها:

١- أن الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة (الله).

٢- ففي تفسيره لقوله تعالى: (**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**)([1])، قال: "وعبر بالاسم الأعظم، فقال: (**أَنَّ اللّهَ**) المستكمل لجميع صفات الكمال من الجلال والجمال"([2]).

وفي تفسير قوله تعالى: (**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا**)([3])، قال:" (**مِّن سَعَتِهِ**)..... ، ولمزيد الاعتناء بتقرير هذه المعاني في النفوس لإحضارها الشح كرر اسمه الأعظم الجامع، فقال: (**وَكَانَ اللّهُ**)"([4]).

وفي قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)([5])، قال: "(**مَا أَنزَلَ اللّهُ**) بإسناد الإنزال إلى الاسم الأعظم لإحاطة الكتاب بمختلفات الأحكام"([6])، ولأنه الدال على الذات، المستجمع للصفات الموجبة للإلهية وللذات، والمحيط بجميع الأسماء، ولأن اسم الله جل جلاله لا يطلق إلا على الذات العلية.

---

[1] – سورة البقرة /٢٦٧.
[2] – نظم الدرر ١/٥٢١.
[3] – سورة النساء /١٣٠.
[4] – نظم الدرر ٢/٣٣٠.
[5] – سورة البقرة /١٧٤.
[6] – نظم الدرر ١/٣٢٠، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١/(٤٣٠، ٣٢١، ٧١، ٤٣١، ٤٢٥، ٤٢١، ٣٥٧)، ٢١٩/٨، ٧/(٣٢٠، ٢٨٧)، ٣/٣٢٠، ٢/(٧٦، ٢٨٢)، ٦/(١٩، ٤٦٦، ٦٢١، ٢٢٢، ١٣، ١٢، ٢١٤)، ٢/(٥٤، ٢٢٤، ٢٧، ٦)، ٢٧٦/٤، ٣/(٣٧٩، ٢٩٠)، ٢/(١٣٨، ٢٦٢، ٢٦٧)، ١٠/٥.

٢- أنه في قوله تعالى: (**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**)(١)، **وقوله تعالى: (الم* اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**)(٢).

قال الإمام البقاعي: " فكانت هذه الآية (أي آية البقرة)(٣) مع (**الم* اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**)(٤) اسم الله الأعظم المحيط بالغيب والشهادة، جمعا للرحمة والنقمة في الظاهر وإحاطة عظمة في الباطن، فكان هذا الحد من علو الخطاب ابتداء رفع الخلق إلى التعلق باسم الله الأعظم الذي يرفعهم عن سفل تقييدهم بأنفسهم المحقَّرة إظهاراً لمبدأِ العناية بهذه الأمة الخاتمة"(٥)، وهذا لحديث النبي ﷺ: "اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: قوله تعالى: (**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**)(٦)، وقوله تعالى: (**اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**)(٧)"(٨).

٣- أن اسم الله الأعظم هو بداية سورة آل عمران وهو قوله تعالى: (**الم * اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**)(٩)، قال الإمام البقاعي: " ولما بنيت هذه السورة (أي سورة مريم) على

---

[1] - سورة البقرة /١٦٣.
[2] - سورة آل عمران /٢.
[3] - قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، سورة البقرة /١٦٣.
[4] - سورة آل عمران /٢.
[5] - نظم الدرر ٢٩٣/١، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٥/٢، ٥٢٨/٤.
[6] - سورة البقرة/ ١٦٣.
[7] - سورة آل عمران /٢.
[8] - سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داوود ومعه كتاب معالم السنن للخطابي ١٦٨/٢، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، نشر وتوزيع محمد علي السيد، حمص، ط١، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩-١٩٧٠م. الترمذي ٥١٧/٥ ، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح. محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه ١٢٦٧/٢ من حديث أسماء بنت يزيد، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
[9] - سورة آل عمران / ١-٢.

الرحمة واللطف والإحسان بعباد الرحمن، عبر باسم الرب الذي صدرت به بخـلاف سورة التوحيد آل عمران المصدرة بالاسم الأعظم"([1]).

٤- إن اسم الله الأعظم لم يعين وانه في جميع الأسماء.

يشير الإمام البقاعي إلى هذا حيث يقول في تفسيره لقوله تعالى: **"(حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ)([2])**، فخصها سبحانه وتعالى بمزيد تأكيد وأخفاها لأداء ذلك إلى المحافظة على الكل، ولهذا السبب أخفى ليلة القدر في رمضان، وساعة الإجابة في يوم الجمعة، والاسم الأعظم في جميع الأسماء، ووقت الموت حملاً على التوبة في كل لحظة"([3])، وما هذا الإخفاء إلا لإثارة الهمم واستثارة العزائم للاجتهاد ولعدم الدعاء باسم واحد بل بكل الأسماء.

هذه جملة ما ذكره الإمام البقاعي في تحديد اسم الله الأعظم مع العلم أن هناك روايات عديدة وردت في تحديد الاسم الأعظم ذكرها الإمام السيوطي في كتاب الحاوي للفتاوي، فعدها عشرين قولا([4]).

وما أراه والله اعلم أن القول الرابع من أقوال الإمام البقاعي هو الحق، وذلك حتى يجتهد الناس في حفظ ووعي واستحضار أسماء الله تعالى، وهي مما نتعبد الله بذكرها، فمتى كان الإنسان صحيح النية حاضر القلب صادق المقال نقي الحال مخلص التوجه إلى الله بالدعاء بأي اسم من أسمائه تعالى فإنه بمشيئة الله مصيب للاسم الأعظم مستجاب الدعوة،

---

[1] – انظر: نظم الدرر ٤/ ٥٢٨.
[2] – سورة البقرة /٢٣٨.
[3] – نظم الدرر ٤٥١/١.
[4] – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، الحاوي للفتاوي ٣٩٥/١-٣٩٧، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥..

وعليه فالاسم الأعظم ليس سراً من الأسرار يمنحه الله لآحاد الناس ونحن نؤمن بأن كل أسمائه وصفاته عظيمة ومقدسة.

وقد ذهب إلى هذا القول جمع من العلماء منهم: الطبري([1])، وأبو الحسن الأشعري، وأبو حاتم بن حبان([2])، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وبنحوه قال الإمام مالك([3])([4]).

[1] – الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري , أبو جعفر , المؤرخ المفسر الإمام , ولد في آمل طبرستان , واستوطن بغداد وثوى بها , وعرض عليه القضاء فامتنع, له : أخبار الرسل والملوك ,جامع البيان في تفسير القرآن, واختلاف الفقهاء, والمسترشد في علوم الدين وغير ذلك, وهو من ثقات المؤرخين, وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله انظر: الأعلام ٢٩٤/٦.

[2] – أبو حاتم بن حبان:هو محمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي, أبو حاتم البستي, مؤرخ, علامة جغرافي , محدث , ولد في بست (من بلاد سجستان) وتنقل في الأقطار فرحل إلى خرسان, والشام, ومصر, والعراق, والجزيرة, وتولى قضاء سمرقند مدة, ثم عاد إلى نيسابور ومنها إلى بلده، من مؤلفاته: المسند الصحيح, وروضة العقلاء, والصحابة, والتابعين، وغيرها. انظر: الأعلام ٣٠٦/٦-٣٠٧.

[3] – مالك: هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري, أبو عبد الله، إمام دار الهجرة, وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة , واليه تنسب المالكية , مولده ووفاته في المدينة , كان صلبا في دينه بعيدا عن الأمراء والملوك .له الموطأ , ورسالة في الوعظ , وكتاب في المسائل , ورسالة في الرد على القدرية وغيرها . انظر: الأعلام ١٢٨/٦.

[4] – انظر: السيوطي، الحاوي للفتاوي ٣٩٤/١. ومن الأقوال التي نقلها الامام السيوطي في الاسم الأعظم: ١- انه لا وجود له، بمعنى أن أسماء الله كلها عظيمة لا يجوز تفضيل بعضها على بعض. ٢- أنه مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه. ٣- أنه (هو). ٤- أنه (الله). ٥- (الله الرحمن الرحيم). ٦- (الرحمن الرحيم الحي القيوم). ٧- (الحي القيوم). ٨- (الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام). ٩- (بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام). ١٠- (ذو الجلال والإكرام). ١١- (الله لا اله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ١٢- (رب رب) ١٣- (مالك الملك) ١٤- دعوة ذي النون (لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين). ١٥- أنه كلمة التوحيد. ١٦- (هو الله الله الذي لا اله إلا هو رب العرش العظيم). السيوطي، الحاوي للفتاوي ٣٩٤/١-٣٩٧.

الباب الثالث

كلام الإمام البقاعي في صفات الله تعالى

الفصل الأول: إثبات الصفات لله تعالى وعلاقتها بأسمائه سبحانه

الفصل الثاني: صفة الوحدانيـــــــــــــــــــــــــــــــــــة

الفصل الثالث: كلام الإمام البقاعي في صفات المعاني لله عز وجل

الفصل الرابع: كلام الإمام البقاعي في كلام الله تعــــــــــــــــالى

الفصل الخامس: مذاهب العلماء في الألفاظ التي يوهم ظاهرها التشبيه

الفصل السادس: كلام الإمام البقاعي في الألفاظ التي يوهم ظاهرها مشابهة الخالق لخلقه

الفصل الأول

إثبات الصفات لله تعالى وعلاقتها بأسمائه سبحانه

تناول الإمام البقاعي صفات الله تعالى بالحديث شانها شأن الأسماء، وذلك لما للأسماء والصفات من تلازم، فان الصفة لا بد لها من موصوف والموصوف بحاجة إلى صفة فاقتضى الحديث عن الأسماء الحديث عن الصفات، وهذا واضح جلي في تفسير الإمام البقاعي، وبيان ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

إثبات الصفات لله تعالى

ذهب أهل السنة والجماعة إلى إثبات الصفات([1]) لله عز وجل، وقد ذكر الإمام الغزالي في كلامه عن الصفات، أن: "في أحكام الصفات عامة ما يشترك فيها أو يفترق وهي أربعة أحكام:

الحكم الأول: أن الصفات السبعة التي دللنا عليها([2]) ليست هي الذات بل هي زائدة على الذات، فصانع العالم تعالى عندنا عالم بعلم وحي بحياة وقادر بقدرة: هكذا في جميع الصفات.

---

[1] – الصفة لغة: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، وذلك نحو: طويل، وقصير، وعاقل، واحمق، وغيرها. التعريفات ص١٣٨.
والوصف: عبارة عما دلّ على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه، أي يدل على الذات بصفة كاحمر، فانه بجوهر حروفه يدل على معنى وهو الحمرة فالوصف والصفة مصدران كالوعد والعدة والمتكلمون، فقالوا: الوصف يقوم بالواصف والصفة تقوم بالموصوف، وقيل: الوصف هو القائم بالفاعل. التعريفات ص٢٧٢. وللاستزادة انظر: عبد الله محمد العكور، الترابط الجذري بين أهل الكتاب والمجسمة في العقيدة والفكر والسلوك ص١٠٥، عالم الكتب الحديث، اربد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[2] – يعني بها صفات المعاني.

الحكم الثاني: في الصفات، ندعي أن هذه الصفات قائمة بذاته لا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته.

الحكم الثالث: أن الصفات كلها قديمة.

الحكم الرابع: أن الأسماء المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة صادقة عليه أزلاً وأبداً"([1]).

وذهب المعتزلة إلى أن الله ليس له صفات قديمة، أي أنكروا وجود صفات قديمة لله تعالى أصلا، وقالوا: "إنه حي بذاته، عالم بذاته، قادر بذاته، وشبهتهم في هذه المسألة: أنا لو قلنا بالصفات لله تعالى صرنا قائلين بتعدد القدماء"([2]).

وقال الجهم بن صفوان([3]): "لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لان ذلك يقضي تشبيها، فنفى كونه حيا عالما، واثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة، والفعل، والخلق"([4]).

أما الإمام البقاعي فقد ذهب إلى إثبات صفات الله تعالى، فعند تفسيره لقوله تعالى: **(قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً)**([5]) قال : "**(أَيّاً مَّا تَدْعُواْ)** أي به من أسمائه فقد حصلتم به على القصد، فإن المسمى واحد وإن تعددت أسماؤه الدالة على الشرف، ولما كان في الرحمن جمال ظاهر في

[1] – انظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد ص٧٥–٨٧، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

[2] – البزدوي، اصول الدين ص٤٦. وللاستزادة انظر: الملل والنحل ١/٤٤–٤٥. شرح الأصول الخمسة ص١٥١ وما بعدها.

[3] – الجهم بن صفوان: هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب، رأس الجهمية، ورأس الضلالة، الكاتب المتكلم، قال الذهبي: (الضال المبتدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقضى عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت، وأمر بقتله فقتل). كان مقتله سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/٢٦.

[4] – الملل والنحل ١/٨٦.

[5] – سورة الإسراء /١١٠.

باطنه جلال، لأن عموم الرحمة لبعض نعمة، ولبعض استدراج ونقمة، فكان لـــذلك جامعـــا لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، سبب عن ذكر كل من الاســـمين: العلـــم الجـــامع، والوصف الواقع موقعه"([1])، ويقول: " الاسم إذا لاحظت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة، أنث في قوله: (**الْحُسْنَى**) أي كلها باتصافه دون غيره بصفات الكمال التي كل واحدة منها أحـــسن شيء وأجمله وتنزهه عن شوائب النقص وسمات الحدث، فكل أفعاله حكمة... وبـــذلك ثبتـــت قدرته، وتكون أفعاله محكمة، ثبت علمه فثبتت حياته, وسمعه, وبصره, وكلامـــه, وإرادتـــه, ووحدانيته"([2]).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**)([3]) قال: "ولما كانت المخلوقات – لكونها ممكنه –ليس لها من ذاتها إلا العدم, وكانت الكلمات من صفات الله تعالى ، وصفات الله تعالى واجبة الوجود، فكان نفاذها محالا.... (**كَلِمَاتُ رَبِّي**) لأنها لا تتناهى؛ لان معلوماته ومقدوراته لا تتناهى"([4]).

وفي شرحه لسورة الإخلاص قال الإمام البقاعي: "ولكنه لما كان الكبيـــر إذا تنـــاهى كبره عزت معرفة ذاته، وكان الله تعالى هو الأكبر مطلقا، وكانت – كما أشار إليه الغزالـــي والفخر الرازي – معرفة ذاته أضيق ما يكون مجالا وأعسره مقالا، وأعصاه على الفكر منالا، وأبعده عن قبول الذكر استرسالا لأن القرآن لا يشتمل من ذلك إلا على تلويحات وإشارات

---

[1] – نظم الدرر ٤/٤٣٨
[2] – نظم الدرر ١٦٠/٣.
[3] – سورة الكهف /١٠٩.
[4] – نظم الدرر ٥١١/٤.

أكثرها راجع إلــى التقــديس المطلــق، كقولــه: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**)([١])، وإلى التعظيم المطلق كقوله: (**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**)([٢])، فكام([٣]) القيــاس أن يقتصر على ذلك مع التعريف بالصفات والأفعال، لكن لما كانت هذه الأمة في الذروة من حسن الأفهام مع ما نالته من الشرف، حباها سبحانه وتعالى بسورة الإخلاص كاملة ببيــان لا يمكن أن تحتمل عقول البشر زيادة عليه، وذلك ببيان أنه ثابت ثباتاً لا يشبهه ثبات على وجه لا يكون لغيره أصلا"([٤]).

وما ينطبق على العلم ينسحب على باقي الصفات، فهناك علاقة بين اللازم والملزوم.

المبحث الثاني

العلاقة بين الأسماء والصفات([٥])

أشار الإمام البقاعي إلى الترابط القائم بين الأسماء والصفات حيث قال: " فوجوده عن ذاته وليست صفاته تعالى مغايرة لذاته، وأما الواحد فهو وصف لذاته، فيــه ســلب الــشريك والنظير عنه"([٦])، فكل صفة اسما وليس كل اسم صفة، حيث ان الاسم (الله) ليس صفة.

---

[1] – سورة الشورى /١١.
[2] – سورة الأنعام /١٠٠.
[3] – هكذا وردت في نظم الدرر والأولى أن تكون (فكان).
[4] – نظم الدرر ٥٧٧/٨.
[5] – لقد نسب محقق كتاب شرح المقاصد الدكتور عبد الرحمن عميرة إلى صاحب كتاب (التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل)، قوله: "ما من شك في أن البحث في الذات والصفات الإلهية من ناحية الصلة بينهما توحيــدا أو تغايرا والبحث في الصفات الموهمة للتشبيه نفيا أو تأويلا إنما هو تهجم من الإنسان على مقام لا يرقى إليه وهم متوهم ولا خيال متخيل وانه لحق أن كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وقد كان من الطبيعي أن يقدر الباحثون أنفسهم باعتبارهم من البشر حق قدرها وان يقدروا الله حق قدره، ولو سار الأمر على هذا النسق لما تطاول البشر إلى مقام الله، ولما تجاوزوا حدودهم، وبالتالي لما كان هناك اختلاف وتنــازع وافتــراق فــي موضوع الصفات الإلهية". شرح المقاصد ٦٩/٤، ٢٦٣-٢٦٥.
[6] – نظم الدرر ٥٨٦/٨.

وقد أكد هذا المعنى خلال تفسيره لبعض الآيات حيث قال عند تفسيره لقولـــه تعـــالى **(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)**([1]): "ولما كان الاسم إذا لاحظت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة، أنـث فـي قولـه **(الْحُسْنَى)**، أي كلها باتصافه دون غيره بصفات الكمال التي كل واحدة منهـا أحـسن شـيء وأجمله وتنزهه عن شوائب النقص وسمات الحدث، فكل أفعاله حكمة وإنما كان مختصا بذلك لأن الأشياء غير ممكنة لتغيرها، وكل ممكن محتاج وأدنى ما يحتاج إلى مرجح يرجح وجوده، وبذلك نعلم وجود المرجح، ونعلم أن ترجيحه على سبيل الصحة والاختيار لا الوجـوب، وإلا لدام العالم بدوامه، وبذلك ثبتت قدرته، وتكون أفعاله محكمة، ثبت علمه فثبتت حياته، وسمعه، وبصره، وكلامه، وإرادته، ووحدانيته، وإلا لوقع التنـازع فوقـع الخلـل....، **(فَادْعُوهُ)** أي فصفوه وسموه واسألوه **(بها)**"([2]).

وقال فـي تفـسيره لقولـه تعـالى: **(تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)**([3]): "أي الذي علت عظمته وتمت قدرته وقوته، ولما كانت الجلالة من حيث أنهـا اسم للذات جامعة لصفات الكمال والجمال ونعوت الجلال لفت القول إلى مظهر العظمة إشارة إلى إعجازهم عن هذا النظم بنعوت الكبر والتعالي فقال: **(نَتْلُوهَا)**"([4])، فأسماء الله تعالى دالة على صفاته الحسنى، وأنك "مهما اطلعت على وصف حسن يليق به سبحانه فهو مما دل عليه الاسم

---

[1] – سورة الأعراف /١٨٠.
[2] – نظم الدرر ١٦٠/٣.
[3] – سورة البقرة /٢٥٢.
[4] – نظم الدرر ٤٨٣/١. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١٤/٥.

الأعظم، لأن من يستحق العبادة لا يكون إلا كذلك جامعا لأوصاف الكمال أو لأنه لما جبلت النفوس وطبعت القلوب على المعرفة بأنه سبحانه وتعالى منزه عن شوائب النقص ومتصف بصفات الكمال كان الإعراء من العطف فيها للإيذان بذلك وما عطف منها فلمعنى دعا إليه"([1]).

"فأسماء الله طريق إلى معرفة صفاته، ففي إثبات الأسماء إثبات الصفات، فالله تعالى موصوف بصفات ذاتية، وصفات فعلية، فالذاتية ما يصح أن يوصف بها في الأزل وفي لا يزال كالعلم والقدرة، وأما الفعلية ما لا يصح أن يوصف بها في الأزل، و(يصح) في لا يزال كالخلق والرزق"([2]).

وذكر البيهقي في الأسماء والصفات قال: "وفي إثبات أسمائه إثبات صفاته، لأنه إذا أثبت كونه موجودا، فوصف بأنه حي، فقد وصف بزيادة صفة على الذات هي الحياة، فإذا وصف بأنه قادر فقد وصف بزيادة صفة هي القدرة، وإذا وصف بأنه عالم فقد وصف بزيادة صفة هي العلم، وهكذا....."([3]).

وقال الإمام البقاعي في شرحه لقوله تعالى: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**([4]): "﴿ **هُوَ** ﴾ فابتدأ بهذا الاسم الشريف الذي هو أبطن الأسماء إشارة إلى أنه غيب الغيب بالنظر إلى ذاته كالألف، وإلى أنه واجب الوجود لذاته....، لا يستحق هذا الاسم غيره أصلا على أن الهاء بمفردها مشيرة – بكونها من أبطن الحلق– إلى أنه هو الأول والباطن والمبدع لما سواه، والواو – بكونها من اظهر حروف الشفة– إلى أنه الآخر والظاهر وأن إليه المنتهى"([5]).

---

[1] – نظم الدرر ٤٥٢/١.
[2] – الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص ١٩٢. وللاستزادة انظر: البيهقي، الأسماء والصفات ص١١٠. التعريفات ص١٣٨–١٣٩.
[3] – البيهقي، الأسماء والصفات ص١١٠. وللاستزادة انظر: شرح المقاصد ص٦٩–٧٠.
[4] – سورة الإخلاص /١.
[5] – نظم الدرر ٥٧٨/٨–٥٨٠.

من هذا نعلم أن أسماء الله دالة على صفاته، وصفات الله دالة على الله، فالعلاقة قائمة بين الأسماء والصفات، وكلاً من الأسماء والصفات لها العظمة والجلال والجمال.

الفصل الثاني

صفة الوحدانية

الله سبحانه وتعالى واحد أحد، فرد صمد، فهو الواحد الذي لا شريك له, ومنه التوحيد الذي هو أصل الدين وأشرف مباحث الإلهية، ولهذا الشرف العظيم كثر التنبيه والثناء عليه في كتاب الله العزيز، والوحدانية صفة من الصفات السلبية الواجبة لله تعالى، وهي التي تسلب عن الله تعالى ما لا يليق بجلاله العظيم، وهي صفات خمس: القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، القيام بالنفس، الوحدانية، ولما كانت جهود الإمام البقاعي لم تتعرض من هذه الصفات إلا لصفة الوحدانية، لذلك لم تكن إشارة لغيرها في هذا المبحث.

فالوحدانية تعني: "أن لا مثيل له في ذاته ولا في صفة من صفاته، ولا مؤثر معه في فعل من الأفعال"([1])

والآيات التي تقرر الوحدانية كثيرة منها: قوله تعالى: (**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ**)([2])، وقوله تعالى: (**إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ**)([3])، وقوله تعالى: (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**)([4])،

---

[1] – الإمام أبي عبد الله السنوسي، شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد ص٧٠، علق عليه: سعيد عبد اللطيف فودة، ط١، دار الرازي.
[2] – سورة فصلت /٦
[3] – سورة النحل /٥١.
[4] – سورة المؤمنون /٩١.

وقولـــه تعـــالى: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّـهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّـهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)**([1])، وقوله تعالى: **(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القرآن لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)**([2]).

يقول الإمام البقاعي في تفسير قوله تعالى: **(وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)**([3]) "**(وَإِلَـهُكُمْ)** ولما كان المراد أن الوحدة معتبرة في نفس الأمر في الإله الحق, فلا يصح أصلا أن يكون الإله الحق منقسما بالنوع ولا بالشخص ولا بالوصـــف ولا بالفعـــل ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه، أعاد لفظ الإله فقال: **(إِلَهٌ وَاحِدٌ)** أي لا ينقسم بوجه من الوجـــوه لا بمجانسة ولا بغيرها وهو مع ذلك **(لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ)** فهذا تقرير للوحدة بنفي غيره وإثباته فلا يصح بوجه ولا يمكن في عقل أن يصلح للإلهية غيره أصلاً"([4])، فالوحدانية تعني وحدانيـــة الذات والصفات والأفعال.

---

[1] – سورة الأنبياء /٢٢.
[2] – سورة الأنعام /١٩.
[3] – سورة البقرة /١٦٣.
[4] – نظم الدرر ٢٩١/١، وللاستزادة انظر: نظم الـــدرر ٢٥٢/١، ٤٩٥، ١٤/٢، ٥٤٣، ٢٩٣، ٣٧٧، ٥١٣، ٦٠١، ١٣٥/٣، ٣٠٣، ٤٠٩، ٥١٢، ٢٥٧/٤، ٢٧٦-٢٧٧، ٣٨٢، ٣٨٤، ٥١٢،٥/١٥٢، ٣٣٦-٣٣٧، ٤٢٢، ٥٣٢، ٢٩١/٦، ٤٠٠، ٤٢٣، ٦٦/٧، ١٦٤، ١٧/٨، ٢٠٩.

وفي تفسيره لقوله تعالى **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)**([1])، قال الإمام البقاعي: "ولما كان الجواب قطعا: لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف، ولا شيء غيره سبحانه يستحق وصف الإلهية، أقام البرهان القطعي على صحة نفي إله غيره ببرهان التمانع، وهو أشد برهان لأهل الكلام فقال: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا)** أي في السماوات والأرض، أي تدبيرهما.

ولما كان الأصل فيما بعد كل من **(إِلَّا)** و (غير) أن يكون من جنس ما قبلهما وإن كان مغايرا له في العين، صح وضع كل منهما موضع الآخر، واختير هنا التعبير بأداة الاستثناء والمعنى للصفة إذ هي تابعة لجمع منكور غير محصور الإفادة إثبات الإلهية له سبحانه مع النفي عما عداه، لأن (لولا) لما فيها من الامتناع مفيدة للنفي، فالكلام في قوة أن يقال: ما فيهما **(آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ)** أي مدبرون غير من تفرد بصفات الكمال، ولو كان فيهما آلهة غيره **(لَفَسَدَتَا)** لقضاء العادة بالخلاف بين المتكافئين المؤدي إلى ذلك، ولقضاء العقل بإمكان الاختلاف بين اللازم منه إمكان التمانع اللازم منه إمكان عجز أحدهما اللازم منه أن لا يكون إلها لحاجته، وإذا انتفى الجمع انتفى الاثنان من باب أولى؛ لأن الجمع كلما زاد حارب بعضه بعضا فقل الفساد كما نشاهد"([2]).

[1] – سورة الأنبياء /٢٢.
[2] – نظم الدرر ٧٥/٥.

وفي تفسيره لقوله تعالى (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**)([1])، قال الإمام البقاعي : "ولما كان من أعظم كذبهم ما أشار إليه قوله تعالى (**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا**)([2])، قال: (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ**) أي الذي لا كفؤ له، وأغرق في النفي بقوله: (**مِن وَلَدٍ**) لا من الملائكة ولا من غيرهم، لما قام من الأدلة على غناه، وأنه لا مجانس له، ولما لزمهم بإقرارهم أنه يجير ولا يجار عليه، وأنه له السماوات والأرض وما فيهما.

ولما كان الولد أخص من مطلق الشريك قال: (**مَا كَانَ**) أي بوجه من الوجوه (**مَعَهُ**) فأفاد بفعل الكون نفي الصحة لينتفي الوجود بطريق الأولى (**مِنْ إِلَهٍ**) وزاد (**مِن**) لتأكيد النفي؛ ولما لزمهم الكذب في دعوى الإلهية بولد أو غيره من إقرارهم هذا، أقام عليه دليلا عقليا ليتطابق الإلزامي والعقلي فقال: (**إِذًا**) أي إذ لو كان معه إله آخر (**لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ**) بالتصرف فيه وحده ليتميز ما له مما لغيره (**وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ**) أي بعض الآلهة (**عَلَى بَعْضٍ**) إذا تخالف أوامرهم، فلم يرض أحد منهم أن يضاف ما خلقه إلى غيره، ولا يمضي فيه أمر على غير مراده كما هو مقتضى العادة، فلا يكون المغلوب إلها لعجزه، ولا يكون مجيرا غير مجار عليه، بيده وحده ملكوت كل شيء، وفي ذلك إشارة إلى أنه لو لم يكن ذلك

---

[1] – سورة المؤمنون /٩١.

[2] – سورة مريم/٨٨.

الاختلاف لأمكن أن يكون، فكان إمكانه كافيا في إبطال الشركة لما يلزم ذلك من إمكان العجز المنافي للإلهية([1]).

ويحمل كلام الإمام البقاعي نفي التركيب والعدد عن الله سبحانه وتعالى فليس له مثيل – تعدد الآلهة – وليس بمركب من أجزاء معينة – الكموم([2]) الخمسة – وتعني "نفي الكم المتصل والمنفصل، فوحدانية الصفات تعني نفي أن يكون لله صفتان من نوع واحد، كقدرتين وإرادتين وهذه تنفي الكم المتصل، وتنفي أن يكون لغيره صفة تشبه صفته تعالى، وهذه الكم المنفصل، وأما وحدة الذات فتنفي الكم المتصل من تركيبها من أجزاء أي أن تكون الذات مركبة من أجزاء، ونفي الكم المنفصل في الذات –تعددها – أي لا ذات تشبه ذات الله تعالى، وأما وحدة الأفعال فتنفي أن يكون لغير الله فعل يشبه فعل الله تعالى على طريق الإيجاد"([3]).

الدليل على ثبوت الوحدانية.

"وحدة الذات والصفات بمعنى عدم النظير فيهما، إذ لو كان ثمة إلهان لما وجد شيء من الأكوان، ووجودهما بالفعل مبطل للتعدد، فتثبت الوحدانية، وإنما لزم من التعدد عدم وجود العالم لأنه لو كان الهين فإما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا فلا يمكن أن يوجداه معا، لورود مؤثرين على أثر واحد، ولا يمكن أن يوجداه مرتبا، لأن إن أوجده الأول فالثاني لا محل له، ولا يمكن أن يختص أحدهما ببعضها والآخر ببعضها الأخر، لأنه إذا تعلقت قدرة الأول بشيء فمعناه انسداد الطريق أمام قدرة الثاني للتعلق به، وهذا عجز يقضي بأنه ليس بإله.

---

[1] – نظم الدرر ٢١٩/٥.

[2] – الكم: هو العرض الذي يقتضي الاقتسام لذاته، وهو إما متصل أو منفصل لأن الأجزاء إما أن تشترك في حدود يكون كل منهما نهاية جزء وبداية آخر وهو المتصل، أو لا وهو المنفصل.التعريفات ص ١٩٦.

[3] – تحفة المريد ص ٧٠-٧١. وللاستزادة انظر: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني الحسني، العقيدة الوسطى وشرحها ص٢١٤، تحقيق يوسف احمد، دار الكتب العلمية، بيروت. شرح جوهرة التوحيد ص ٩٨-١٠٠. لباب العقول ص ١٩٦-١٩٩.

وإن اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد العالم ، والآخر إعدامه، فلا يمكن أن ينفذ مرادهما معا، لأنه يترتب عليه اجتماع الضدين([1])، ولا يمكن أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر؛ لأنـــه يعني عجز الذي لم ينفذ مراده ، وهو بالتالي ليس بإله، إنما الذي نفذ مراده هـــو الإلـــه، وإذا بطل التعدد لبطلان ما يترتب عليه ثبتت الوحدانية"([2]).

قال الإمام البقاعي شارحا وموضحا ما سبق بيانه: " الواحد الحقيقي ما يكـــون منـــزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيـــز والمـــشاركة فـــي الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الكاملة والحكمة التامة المقتضية للألوهية من غير لزوم دور([3]) أو تسلسل([4]) من جهة تركب أو غيره......، والأحـــد جـــامع لـــذلك دال علـــى الواحدية من جميع الوجوه، وأنه لا كثرة هناك أصلاً لا معنوية من المقومات مـــن الأجنـــاس والفصول ولا بالأجزاء العقلية كالمادة والصورة، ولا حسية بقوة ولا فعل كما فـــي الأجـــسام وذلك لكونه سبحانه منزهًا عن الجنس والفصل والمادة والـــصورة والأعـــراض والأبعـــاض والأعضاء والأشكال والألوان وسائر وجوه التثنية التي تثلم الوحدة الكاملة الحقة اللائقة بكرم وجهه وعز جلاله أن يشبهه شيء أو يساويه لأن كل ما كانت هويته إنما تحصل من اجتماع أجزاء أو كانت هويته موقوفة على حصول تلك الأجزاء، فلا يكون هو هو لذاته بـــل لغيـــره فلذلك كان منزهاً عن الكثرة بكل اعتبار ومتصفاً بالوحدة من كل الوجوه"([5]).

وأضاف قائلا: "وقد سمى الله نفسه واحدًا أحدًا، ووصف نفسه بالوحدانية والأحديـــة، فالواحد نعت يلزمه على الحقيقة لأنه كان قبل ولا ثاني معه، والثاني خلال الواحد, فهو واحد

[1] – الضدان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض. التعريفـــات ص١٤٢.

[2] – شرح جوهرة التوحيد ص٩٩–١٠٠. وللاستزادة انظر: تحفة المريد ص٧١. شرح صغرى الصغرى ص ٧١–٧٢. العقيدة الوسطى وشرحها ص٢١٥ وما بعدها. احمد بن محمد المالكي الصاوي، شرح الـــصاوي على جوهرة التوحيد ص١٥٩–١٦١، تحقيق وتعليق: د. عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق.

[3] – الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ويسمى الدور المصرح كما يتوقف أ على ب وبالعكس أو بمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف أ على ب، و ب على ج، وج على أ. التعريفات ص ١١٠–١١١.

[4] – التسلسل: هو ترتيب أمور غير متناهية، التعريفات ص٥٩.

[5] – نظم الدرر ٨/٥٨٠.

لاتحاده في القدم , والخلق اثنان لاقترانه بالحدث لأن الحدث ثان للقدم, وبه ظهرت التثنية , فالواحد هو الأحد في ذاته فهو لا شيء قبله ولا من شيء ولا في شيء ولا على شيء ولا لشيء، ولا مع شيء فيكون ذاك الشيء ثانياً معه بل هو الواحد منشيء الأشياء والأشياء كلها له، وهو المتحد بذاته ممتنع من أن يكون له شيء ثانياً بوجه من الوجوه، والخلق كله له وإن كان يسمى بالواحد , أو كانت هذه الصفة قد لزمت جميع الأشياء في وجه فإنها تزول عنها في وجه"([1])، "فالواحد من الأسماء الثبوتية الإضافية, يكون في أصل اللغة بالنسبة إلى ثان هو نصفه, وثالث هو ثلثه, وهكذا هو صفة الله تعالى بمعنى المتوحد في الاتصاف بالألوهية حتى لا يقبلها غيره بوجه فلا شريك له، والأحد من النعوت السلبية, بل هو مجمعها, هو أحد في نفسه لا يقبل العدد ولا التركيب بوجه لا بالقسمة ولا بغيرها سواء نُظر إليه بالنسبة إلى الغير أولا, فهو متمحض للسلب، فهو وصف راجع إلى نفس الذات بمعنى أنه كامل في ذاته لا يؤثر في مفهومه النظر إلى شيء أصلاً والفرد ناظر إلى نفي العدد، فافترقت الأوصاف الثلاثة وإن كانت متقاربة في المعنى"([2]).

وقد توالت الآيات الكريمة المثبتة لهذه الصفة وفي أكثر من سورة، وكانت سورة الإخلاص دعوة إلى التوحيد الخالص، فإن مقصودها بيان حقيقة الذات الإلهية ببيان اختصاصه سبحانه وتعالى بأقصى صفات الكمال وتنزهه عن شوائب النقص والشبيه والنظير والمثيل والمكافئ، فكانت **(لا إلـه إلا الله)** تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثبات ذاته فلا يصح بوجه ولا يمكن في عقل أن يصلح للإلهية غيره.

[1] – نظم الدرر ٥٨٣/٨-٥٨٤.
[2] – نظم الدرر ٥٨٥/٨.

الفصل الثالث

كلام الإمام البقاعي في صفات المعاني لله عز وجل

تناول الإمام البقاعي صفات الله سبحانه وتعالى بالحديث وذلك من خلال تفسيره للآيات التي تحدثت عن الصفات، وتوضيح ذلك جاء عبر المباحث التالية:

المبحث الأول

صفة القدرة

القدرة: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة"([1])، وهي متعلقة بالممكنات فقط لأنها لو تعلقت بالواجب لإيجاده لكان تحصيل حاصل، ولو تعلقت بإعدامه لكان قلبا للحقائق، ولو تعلقت بالمستحيل بإعدامه ففيه تحصيل حاصل، ولو تعلقت به لإيجاده لكان قلبا للحقائق.

وقد أثبت الإمام البقاعي صفة القدرة لله تعالى وذلك من خلال شرحه للآيات التي تكلمت عن قدرة الله تعالى.

ففي تفسير قوله تعالى **(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**([2]): قال الإمام البقاعي : "أي بالغ القدرة إلى حد لا يمكن الزيادة عليه "([3]) وقال: " بالغ القدرة إلى أقصى الغايات"([4]) وقال: " فهو يقدر على تقليب القلوب وتيسير العسير"([5]).

---

[1] – تحفة المريد ص٧٤.
[2] – سورة الحديد/ ٢.
[3] – نظم الدرر ٧/٤٣٥.
[4] – نظم الدرر ٧/٥٢٠.
[5] – نظم الدرر ٧/٥٥٨.

وقال: " فلذلك هو يحكم ما يريد لأنه هو الإله وحده وهو قادر على إسعاد مــن شــاء وإشقاء من شاء وإحلال ما شاء, وتحريم ما شاء, والحكم بما يريد ونفع الصادقين المــؤمنين بالعقود الثابتين على العهود لأنه ملك هذه العوالم وما فيها"([1])، وقال: " وهو شامل القــدرة, فمن كان في ملكه كان في قبضته, ومن كان في قبضته كان عاجزا عن التفصي([2]) عما يريد به، لأنه الحي القيوم الذي لا إله إلا هو"([3]).

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا)**([4])، قال الإمام البقاعي: " (**قَدِيرًا**) أي بالغ العفو عن كل ما يريد العفو عنه من أفعال الجانين والقدرة على كل ما يريد ومن يريد , فالذي لا ينفك عن ذنــب وعجــز أولــى بالعفو طمعاً في عفو القادر عنه وخوفاً من انتقامه منه وتخلقاً بخلقه العظيم واقتداءً بسنته"([5]).

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)**([6]): **"(قَدِيرًا)** على كل شيء قدرته على ما ذكر من إبداع هذه الأمور المتباعدة من مادة واحده فهو يوفق من يشاء فيجعله عذب المذاق, سهل الأخلاق, ويخــذل مــن يــشاء فيجعله

---

[1] – نظم الدرر ٥٧٧/٢.
[2] – التفصي: (تفصى) تخلص من المضيق والبلية، والاسم (الفصية) بالفتح وسكون الصاد. وهو في حــديث قيلة. وما كدت أتفصى من فلان أي ما كدت أتخلص منه. و(تفصى) من الديون: خرج منها وتخلص. مختار الصحاح ص٢٥٠.
[3] – نظم الدرر ١٩٦/٢.
[4] – سورة النساء /١٤٩.
[5] – نظم الدرر ٣٤٢/٢.
[6] – سورة الفرقان /٥٤.

مرير الأخلاق كثير الشقاق, أو ملتبس الأخلاق, عريقاً في النفاق, فارغب إلى هـذا الرب الشامل القدرة, التام العلم"([1]).

المبحث الثاني

صفة الإرادة

"الإرادة صفة قديمة قائمة بذاته تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه"([2]).

وباستقراء آيات الكتاب الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أثبت هذه الصفة لذاتـه القدسية، ومن هذه الآيات قوله تعالى: **(فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)**([3])، **(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)**([4])، **(لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)**([5])، **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)**([6])، **(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ)**([7])، **(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا**

---

[1] – نظم الدرر ٣٢٩/٥.
[2] – تحفة المريد ص ٧٦.
[3] – سورة البروج /١٦.
[4] – سورة الفتح /١١.
[5] – سورة الزمر /٤.
[6] – سورة الأحزاب /٣٣.
[7] – سورة الحج /١٦.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)([1])، (**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا)**([2])، وآيات أخرى.

وقد ذهب الإمام البقاعي إلى إثبات صفة الإرادة لله سبحانه وتعالى حيث تكلم عنها في معرض تفسيره للآيات التي وردت بها مشتقات كلمة الإرادة، والتي تفيد بأن إرادة الله نافذة في كل شيء يريده من نفع أو ضر، خير أو شر، ولا وجود لشيء إلا بإرادته سبحانه وتعالى، وإرادة الله غالبة لكل إرادة،

وفي معرض شرحه لقوله تعالى: (**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)**([3])، قال الإمام البقاعي: " أي لا يجوز عليه البدء بالرجوع عما أراد، ولا المنع عن مراده ولا يتعذر عليه شيء منه مع كثرة المرادات، فلا اعتراض عليه ولا يلزمه لأحد شيء، بل له أن يخلد العاصين في الجنة، ويخلد الطائعين في النار، ولكنه كما ثبت ذلك ليعتقد لكونه من صفات الكمال ثبت أنه لا يفعل ذلك سبحانه ولا يبدل القول لديه لأن ذلك من صفات الكمال أيضا مع أن في ختم الآية بذلك ترجية لأهل النار في إخراجهم منها زيادة في عذابهم"([4])، وقول الإمام البقاعي موافق لمذهب أهل الحق حيث قالوا: " إن كل

---

[1] – سورة الحج /١٤.
[2] – سورة الكهف /٨٢.
[3] – سورة هود /١٠٧.
[4] – نظم الدرر ٣/٥٨٠-٥٨١. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٢/٢٤٥، ٣/٤٩٠، ٤٩١، ٥٢٧، ٤/٤٩٨، ٢٧٠، ٥/١٣٩-١٤٠، ٦/١٠٢، ٤١٩، ٧/٥٦، ١٩٧، ٢٩٤، ٣١٠، ٣٨١، ٤/٢٧٠.

حادث مراد لله تعالى حدوثه، ولا تختص مشيئة الباري بصنف من الحـــوادث دون صنف بل هو تعالى مريد لوقوع جميع الحوادث خيرها وشرها نفعها وضرها"([1]).

والدليل على ثبوت الإرادة لله تعالى أننا إذا قلنا أن بعض الأمور تقع بغيـــر إرادة الله لزمنا من ذلك تعجيز الباري سبحانه وتعالى، لأننا نقول أن كثيرا من الحوادث وقعـــت علـــى غير اختياره سبحانه وتعالى، وقد أراد ما لم يكن، ووجد ما لم يرد وقصرت إرادته عن النفاذ في خليقته فتعطلت مشيئته ولوقع ما يريده الطغاة – تعالى الله علوا كبيرا عمـــا ينـــسبه إليـــه الملحدون– فنخلص إلى ما قال به أهل الحق وبه قال الإمام البقاعي بثبوت الإرادة لله خلافـــا لمن نفاها([2]).

المبحث الثالث

صفة العلم

العلم: "صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يعلم بها ما كان وما يكون وما ســيكون وهـــي متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي عليـــه مـــن غير سبق خفاء"([3])، ونحن إذ نعرِّف صفات الله تعالى فإننا نعرفها بحسب الرسم لا الحد، لأن حد الصفات كحد الذات، والذات غيب لا يعلمه إلا الله فلا يعرف الله إلا الله.

[1] – لباب العقول في الرد على الفلاسفة ص ٢٨٦.

[2] – مثل الجبائي وابنه حيث اثبت إرادات حادثة لا في محل يكون الباري تعالى بها موصوفا مريدا ، الملل والنحل ج١/٨٠، والكعبي حيث يقول : أن إرادة الباري تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا إرادته حادثة في محل أو لا في محل، بل إذا أطلق عليه أنه مريد فمعناه أنه عالم قادر غير مكره في فعله ولا كاره، وإذا قيل أنه مريد لأفعاله فالمراد به أنه خالق لها على وفق علمه، وإذا قيل هو مريد لأفعـــال عبـــاده فالمراد به أنه أمر بها راض عنها. الملل والنحل ١/٧٨

[3] – انظر: تحفة المريد ص٧٩.

وقد تناول الإمام البقاعي صفة العلم المتعلقة بالله تعالى وذلك عند شرحه للايات التي وردت فيها هذه الصفة، فقال عند تفسيره لقوله تعالى **(وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)**([1]): "**(عَلِيمًا)** أي بما يصلحكم في الدنيا والآخرة، وبما يقع خطأ في نفس الأمر أو عمدا،"([2])، وأشار إلى شمولية هذه الصفة فقال: "أي بالغ العلم فهو لا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن مصلحا للدين والدنيا"([3]).

وقال: "أي بالغ العلم بدقيق ذلك وجليله، فلا يترك شيئا منه"([4]).

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**([5])، قال: "**(الْعَلِيمُ)** أي العام العلم بالبصر والسمع وغيرهما وبكل متحرك وبكل ساكن من أقوالكم وأفعالكم وغيرهما"([6]).

وفي تفسيره لقوله تعالى (**وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**)([7])، قال: " والآية تدل على أنه كان في الأزل عالما بكل شيء من الكليات والجزئيات"([8])، فعلمه تعالى متعلق بالواجب والجائز والمستحيل......

[1] – سورة النساء /٩٢.
[2] – نظم الدرر ٢٩٨/٢.
[3] – نظم الدرر ٣١٠/٢.
[4] – نظم الدرر ٣١٦/٢.
[5] – سورة الأنعام /١٣
[6] – نظم الدرر ٥٩٥/٢.
[7] – سورة الأعراف /٨٩.
[8] – نظم الدرر ٧٠/٣.

وقال الإمام البقاعي في تفسيره لقوله تعالى (**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)([1]): "(**عَالِمُ الْغَيْبِ**) وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيشمل ما هو داخل القلب مما تؤثره الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره. ولما كان قد يُظن أنه لا يلزم من علم ما غاب علم ما شهد، أو يظن أن العلم إنما يتعلق بالكليات، قال موضحا أن علمه بالعالمين بكل من الكليات والجزئيات قبل الكون وبعده على حد سواء، (**وَالشَّهَادَةِ**) وهو كل ما ظهر فكان بحيث يعلمه الخلق"([2]).

وعند تفسيره لقوله تعالى: (**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**)([3])، قال: "ولما كانت هذه الآيات مثبتة لجزئيات من علمه تعالى وقدرته، وكان ختامها العلم بالظالم وغيره، اتبعها الاختصاص بما هو أعم من ذلك، وهو علم مَفَاتِحُ الْغَيْبِ([4]) الذي لا يصل إليه إلا من حازها، إذ لا يطلع على الخزائن إلا من فتحها، ولا يفتحها إلا من حاز مفاتيحها وعلم كيف يفتح بها، فإثبات ذلك في هذا الأسلوب من باب الترقية في مراقي الاعتقاد من درجة كاملة إلى أكمل منها، فقال عاطفا على معنى ما سبق، وهو: فعنده خاصة جميع ذلك: (**وَعِنْدَهُ**) أي وحده (**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**) أي التي لا يدرك الغيب إلا من علمها.

---

[1] – سورة التغابن /١٨.

[2] – نظم الدرر ٢٢/٨.

[3] – الأنعام/ ٥٩

[4] – مفاتح الغيب خمسة: الأول: علم الساعة، الثاني: وينزل الغيث وهو آية الله في خلقه على قيام الساعة، الثالث: علم الأجنة (ويعلم ما في الأرحام) والرابع: الكسب الناشئ عما في الأرحام، الفاتح لكنوز السعادة وآفات الشقاوة، والخامس: بيان الموت الذي هو ختام الأمر الدنيوي وابتداء الأمر الأخروي. نظم الدرر ٣٨/٦-٤٠.

ولما كان معنى ذلك الاختصاص، صرح به في قوله: **(لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ)**، وتخصيصها بالنفي دون الخزائن دال على ما فهمته من أن التقييد فيها ب(لكم) يفهم انه يجوز أن نقول ذلك للمؤمنين.

ولما ذكر علم الغيب، أتبعه علم الشهادة، لأن القضايا العقلية المحضة يصعب تحصيل العلم بها على سبيل التمام إلا للكُمَّل من الأنام الذين تجردوا فتعودوا استحضار المعقولات المجردة، والقرآن إنما أنزل لنفع جميع الخلق: الذكي منهم والغبي، فكان ذكر المحسوسات الداخلة تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور ذلك المعقول ورسوخه في القلب، فقال مؤكدا لهذا المعقول الكلي المجرد بمثال داخل تحته يجري مجرى المحسوس، وعطفه بالواو عطف الخاص على العام إشارة على تعظيمه، فقال: **(وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ)** وقدمه لأن الإنسان أكثر ملابسة له بما فيه من القرى والمدن والمفاوز والجبال والتلال وكثرة ما بها من الحيوان والنبات النجم وذي الساق والمعادن، **(وَالْبَحْرِ)** وأخره لأن إحاطة العقل بأحواله أقل وإن كان الحس يدل على أن عجائبها أكثر، وطولها وعرضها أعظم وما فيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب، فكان هذا الأمر المحسوس مقويا لعظمة ذلك الأمر المعقول.

ولما ذكر ما يعم الثابت والمنتقل: خص المنتقل تنصيصا على الجزئيات وتعظيما للعلم بتعظيم المعلومات، فقال: **(وَمَا تَسْقُطُ)** وأغرق في النفي بقوله: **(مِن وَرَقَةٍ)** ونكرها إتماما للتعميم، **(إِلاَّ يَعْلَمُهَا)** ولما كان هذا مع عظمه ظاهرا، ذكر ما هو أدق منه، فقال: **(وَلاَ)** أي وما من **(حَبَّةٍ)** ودل على أن الأرض ليس لها من نفسها نور تنبيها على ما أودع هذا الآدمي

المكوّن منها من الغرائب بقوله: **(فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ)** أي ولو في أقصى بطنها، فكيف بما هو في النور وهو اكبر من الحبة.

ولما خص، رجع إلى التعميم ردا للآخر على الأول، فقال: **(وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ)** أي وجد أو لم يوجد أو سيوجد **(وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** أي موضح لأحواله وأعيانه وكل أموره وأحيانه، فثبت انه فاعل لجميع العالم بجواهره وأعراضه على سبيل الإحكام والإتقان"([1])، فهذا مثال عن طرحه لصفة العلم لله تعالى، والتوضيح والبيان يطول من خلال تفسير آيات القرآن التي جاءت بها لفظة علم أو إحدى مشتقاتها.

هذا وقد وردت لفظة علمه تعالى ومشتقاتها مسبوقة بما يوهم التشكيك في علمه تعالى وأنه سبحانه لا يعلم شيء إلا عند وقوعه، كقوله تعالى: **(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا)**([2])، **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)**([3])، **(إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)**([4])، فالآيات اشتملت على ما يوهم بأن الله تعالى لم يكن عالما فعلم وهذا محال، وقد وجه الإمام البقاعي هذه الآيات توجيها حسنا فحملها على إظهار علمه الأزلي إظهارا شهودياً.

---

[1] – نظم الدرر ٢/٦٤٦-٦٤٧ .
[2] – سورة الأحزاب /١٨.
[3] – سورة محمد /٣١.
[4] – سورة آل عمران /١٤٠.

ففي تفسير قوله تعالى: **(وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ)**([1])، قال الإمام البقاعي: " ولما كان علم الله تعالى محيطا وجب أن يعلم كل ما كان حاصلا، فكان عدم علمه بوجود الشيء من لوازم عدمه فلا جرم كان التقدير هنا: ولكنه لم يعلم فيهم خيرا، بل علم أنه لا خير فيهم فلم يسمعهم هذه الإسماع"([2]).

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)**([3])، قال الإمام البقاعي: " **(حَتَّى نَعْلَمَ)** بالابتلاء علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا لما كنا نعلمه علما غيبيا فنستخرج من سرائركم ما كوناه فيكم وجبلناكم عليه بما لا يعلمه أحد منكم بل لا تعلمونه أنتم حق علمه"([4]).

وفي قوله تعالى: **(وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)**([5])، قال: " **(فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ)** أي الذي له الكمال كله، بفتنة خلقه، علما شهوديا كما كان يعلم ذلك علما غيبيا، ويظهره لعباده ولو بولغ في ستره"([6]).

---

[1] – سورة الأنفال /٢٣.
[2] – نظم الدرر ٢٠٠/٣.
[3] – سورة محمد /٣١.
[4] – نظم الدرر ١٧٦/٧.
[5] – سورة العنكبوت /٣.
[6] – نظم الدرر ٣٥/٥.

وفي قوله تعالى: (**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ**)([1]): قال: "(**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ**) أي الذي له جميع العظمة علم شهادة لأجل إقامة الحجة بما يليق بعقول الخلق فيكون جزاء على العمل لا على العلم"([2]).

فالعلم صفة أزلية ثابتة قائمة بالله سبحانه وتعالى، فهو يعلم ما كان وما يكون، ويعلم السر وأخفى علما شموليا لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

المبحث الرابع

صفتا السمع والبصر

السمع والبصر صفتان ذاتيتان أجمعت الأمة على إثباتهما لله تعالى.

ويعرف العلماء صفة السمع بأنها: ("صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات: الأصوات وغيرها، كالذوات، أي كل منهما منكشف لله بسمعه".

أما صفة البصر: فهي " صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات: الذوات وغيرها")([3])، والانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر، وكلاهما غير الانكشاف بالعلم.

وفي بيان هاتين الصفتين يقول الإمام البقاعي في تفسيره لقوله تعالى (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**)([4]): "(**سَمِيعٌ**) لما يمكن أن

[1] – سورة الحديد /٢٥.
[2] – نظم الدرر ٤٥٩/٧، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٢/(٦٠، ١٦٠، ٢٣٥، ٢٣٨، ٣٧٥، ٤٩٥، ٦٨٩، ٧٠٠)، ٣/(٧٠، ٢٤٧، ٢٨٠، ٤٦٠)، ٤/(٨٨-٨٩، ٩٩، ١٢٩، ٢٩٠)، ٥/(١٠، ٢٨٣، ٦٤٣)، ٧/(٥٧، ٢٣٠، ٢٤٢، ٥٣٨، ٥٩٨)، ٨/(٨-٩، ٢٢).
[3] – تحفة المريد ص ٨٥.
[4] – سورة الحج /٦١.

يسمع (**بَصِيرٌ**) أي بصير عالم لما يمكن أن يبصر، دائم الاتصاف بذلك فهو غير محتاج إلى سكون الليل ليسمع , ولا لضياء النهار ليبصر, لأنه منزه عن الأعراض, وهو لتمام قدرته وعلمه لا يخاف في عفوه غائلة , ولا يمكن أن يفوته أمر"([1]).

وقال: " أي سميع لكل ما يمكن أن يسمع"([2])، وقال: " بالغ السمع لكل قول وإن خفي، نفسيا كان أو لسانيا"([3])، وقال: " أي بالغ السمع يسمع كل ما يمكن سمعه من المعاني في آن واحد لا يشغله شيء منها عن غيره"([4]).

وقال في تفسيره لقوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**)([5])، "(**بَصِيرًا**) أي محيط العلم ببواطن ذلك كما هو محيط بظواهره فهو يجريه في هذه الدار التي ربط فيها المسببات بأسبابها على أوثق الأسباب "([6]).وقال "(**بَصِيرٌ**) بالغ البصر يبصر كذلك كل ما يمكن أن يرى من الأعيان والمعاني ومن كان كذلك كان محيط العلم بالغه شامل القدرة تامها فهو يبصر جميع الأجزاء من كل ميت"([7]).

---

[1] – نظم الدرر ١٦٩/٥.
[2] – نظم الدرر ٤٩٨/٦.
[3] – نظم الدرر ٣٣٣/٢.
[4] – نظم الدرر ٣١/٦.
[5] – سورة الفتح /٢٤.
[6] – نظم الدرر ٢٠٨/٧-٢٠٩.
[7] – نظم الدرر ٣١/٦.

وقال في تفسيره لقوله تعالى **(رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**[1]: "**(السَّمِيعُ)** أي فهو الحي المريد.... يسمع ما يقوله رسله وما يقال لهم، وكل ما يمكن أن يسمع وإن كان بحيث لا يسمعه غيره من الكلام النفسي وغيره الذي هو بالنسبة إلى سمعنا كنسبة ما تسمعه من الكلام إلى سمع الأصم، وسمعه ليس كأسماعنا، بل هو متعلق بالمسموعات على ما هي عليه قبل وجودها كما أن علمه متعلق بالمعلومات كما هي قبل كونها"[2]، فسمعه تعالى متعلق بالموجودات، يسمعها من غير أصمخة ولا أذان، ويبصرها لا بحدقة وأجفان.

المبحث الخامس

صفة الحياة

صفة الحياة من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى، وعرفت بأنها: " صفة تصح لمن قامت به الإدراك"[3]، أي تصح لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك، أو " هي صفة أزلية قديمة لا يجوز أن يوصف الباري عز وجل بضدها، فالله حي بحياة زائدة على ذاته قائمة به"[4].

وقد سلك الإمام البقاعي في إثباتها مسلك العلماء، وطريق ثبوتها العقل والسمع، فان العقل يحيل أن تصدر الأفعال ممن لا يتصف بالحياة ، والمقطوع به أن الله خالق الأشياء فوجب أن يكون حيا، وأما من السمع فالأدلة كثيرة, منها قوله تعالى: **(اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ**

[1] – سورة الدخان /٦.
[2] – نظم الدرر ٦٥/٧، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٣٢٤/٢، ٥٩٥، ٢٧١، ٧٠٠، ٣٣٣، ١٧٥/٣، ٣٧١/٤، ٣٧٧، ٤٢٧، ١٦٩/٥، ١٧٧، ٣٠٩، ٦ /٢٢٤، ٤٩٨، ٥٢٧، ٥٧٤، ٤٧٥/٧- ٤٧٦، ٢٣٨، ٢٤٢، ٨٠/٨، ٣٧٢.
[3] – تحفة المريد ص ٨٢.
[4] – الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص ٢٣٣.

الْقَيُّومُ)([1])، وقوله: (**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً**)([2])، وقوله: (**هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)([3])، ومن ثبت تفرده بالإحياء والإماتة ثبت أنه قادر على الإعادة فهذه الصفة ثابتة له جل وعلا.

قال الإمام البقاعي في تفسير قوله تعالى (**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**): " الحياة (صفة) توجب صحة العلم والقدرة أي الذي يصح أن يعلم ويقدر"([4]) وقال: " والحياة معنى يوجب صحة العلم والقدرة ويضاد الموت وهو يحل سائر أجزاء الحيوان فيكون بجميعه حياً واحداً، والحي هو الذي يصح أن يكون قادرا"([5]).

يلحظ من تعريف الإمام البقاعي أن تعريفه تعريف للحياة القديمة الواجبة لله تعالى، وهي تضاد الحياة الحادثة التي هي من خصائص البشر والتي هي: "كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية"([6])، أي أنها عرض يلزمه قبول الإحساس وقبول الحركة الإرادية، وحياة الله لذاته ليست بروح، وحياتنا ليست لذاتنا بل بسبب روح.

وقد أكد الإمام البقاعي ما سبق بيانه من الحياة الواجبة لله تعالى وذلك عند تفسيره لاسم الحي الذي هو اسم من أسمائه تعالى فقال في تفسيره لقوله تعالى (**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)([7]): "(**هُوَ**) أي وحده (**الْحَيُّ**) وكل ما عداه لا

---

[1] – سورة آل عمران /٢.
[2] – سورة الفرقان /٥٨.
[3] – سورة الفرقان /٥٨.
[4] – نظم الدرر ٤٩٥/١. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٤٥٥/٣.
[5] – نظم الدرر ٤٥٥/٣.
[6] – تحفة المريد ص ٨٢.
[7] – سورة غافر /٦٥.

حياة له, لأنه ليس له من ذاته إلا العدم"([1])، وقال: " ولما كان الإحياء من الخلق يموتون، بين أن حياته ليست كحياة غيره فقال: (**الَّذِي لَا يَمُوتُ**)([2])"([3])، " فحياته سبحانه وتعالى مغايرة لحياة الخلق الزائلة، فالحياة الحقيقية هي التي لا موت معها"([4]).

[1] – نظم الدرر ٥٣٣/٦.
[2] – سورة الفرقان /٥٨.
[3] – نظم الدرر ٣٣١/٥.
[4] – نظم الدرر ٤٨/٥. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٣٣١/٥، ٥٣٣/٦.

الفصل الرابع

كلام الإمام البقاعي في كلام([1]) الله تعالى

صفة الكلام هي من أكثر الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى التـــي تناولهـــا العلمـــاء بالبحث وشغلوا بها أوقاتهم واتسعت فيها مناظراتهم، وعذب بسببها كثير من العلماء.

ولتوضيح موقف الإمام البقاعي في موضوع (كلام الله) فقد جاء هذا الفـــصل عبـــر المباحث التالية:

المبحث الأول

إثبات صفة الكلام لله تعالى

تحدث الإمام البقاعي عن صفة الكلام لله سبحانه وتعالى حيث أثبت أن لله تعالى هذه الصفة وأنها على الحقيقة وليس على المجاز، فقال: "وأول باد بدأ من الحـــق للخلـــق كلامـــه لمصطفى من خلقه بغير واسطة، وهو بعد في دنياه وفي أرضه التي كانت سجنا فلما جاءهـــا الحق لعبد من عبيده مناجيا له كما يتهيأ يوم الجزاء بعد البعث صارت موطن رحمة وهـــدى ونور وهو مجيء الله سبحانه من سيناء المذكور في الكتاب الأول([2])"([3])، فهذا تصريح مـــن الإمام البقاعي بأن الكلام أول ما بدأ من الله تعالى مع خلقه وبالذات مع صفوة الخلـــق وهـــم الأنبياء، وقد جاء في أكثر من آية من آيات الذكر الحكيم أن لله سبحانه وتعالى هذه الصفة

---

[1] – الكلمة: هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد، وهي عند أهل الحق ما يكنى به عن كل واحدة من الماهيات والأعيان بالكلمة المعنوية والغيبية والخارجية بالكلمة الوجودية والمجردات بالمفارقات، والكلام عند النحويين هو المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام. التعريفات ص١٩٤-١٩٥.

2 – المقصود به التوراة.

[3] – نظم الدرر ١٣٢/١.

ومن غير واسطة كما كان الأنبياء عليهم السلام، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّـهُ**﴾([1])، قال: "أي بلا واسطة بما له من الجلال كموسى ومحمد وادم عليهم الصلاة والسلام"([2]).

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ)**([3])، قال: "ولما كان آخر الكلام دالا دلالة واضحة على أن المنادي هو الله سبحانه بني للمفعول قوله دالا على ما في أول الأمر من الخفاء ﴿**نُودِي**﴾ ولما كان نداؤه سبحانه لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب....، ولعل الشجرة كانت كبيرة فلما وصل إليها دخل النور من طرفها إلى وسطها فدخلها وراءه بحيث توسطها فسمع – وهو فيها – الكلام من الله حقيقة وهو المتكلم سبحانه لا الشجرة، قال القشيري([4]): ومحصل الإجماع أنه عليه الصلاة والسلام سمع تلك الليلة كلام الله....، وقال التفتازاني في شرح المقاصد: إن اختيار حجة الإسلام أنه سمع كلامه الأزلي بلا صوت ولا حرف"([5])، وفي قوله تعالى: **(وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)**([6])، قال الإمام البقاعي: "**(كَلَّمَ اللّـهُ)** أي الذي له الكمال كله، فهو يفعل ما يريد، لا أمر لأحد معه، **(مُوسَى تَكْلِيمًا)** أي على التدرج شيئا فشيئا

---

[1] – سورة البقرة /٢٥٣.
[2] – نظم الدرر ٤٨٥/١. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٣/ ١٠٨.
[3] – سورة القصص /٣٠.
[4] – القشيري: هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، له العديد من المصنفات من أشهرها: الرسالة القشيرية ، مات سنة ٤٥٦هـ، سير أعلام النبلاء ٢٢٧/١٨.
[5] – نظم الدرر ٤٨٢/٥-٤٨٣.
[6] – سورة النساء /١٦٤

بحسب المصالح من غير واسطة ملك فلا فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بغير واسطة"([1]).

فصفة الكلام ثابتة لله سبحانه وتعالى، وهذا ما نصت عليه كثير من آيات الكتاب العزيز، ووجهها الإمام البقاعي بأنه كلام على الحقيقة وهذا ما عليه كثير من العلماء([2])، وقد ثبت الكلام لله تعالى بإجماع الأمة وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم السلام أنه سبحانه وتعالى متكلم مع استحالة التكلم بدون ثبوت صفة الكلام، وهذا القدر من الإجماع لا خلاف لأحد من المسلمين فيه"([3]).

المبحث الثاني

كلام الله أزلي

"قال أهل السنة والجماعة أن الله تعالى متكلم بالكلام، وهو قديم بكلامه كما هو قديم بجميع صفاته، وقالت المعتزلة والخوارج([4]) والمرجئة([5]) والروافض([6]) والمجبرة([7]): إن

---

1 – نظم الدرر ٢/٣٦٩.

2 – للاستزادة في هذا الموضوع انظر: الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص٢١١، شرح المقاصد ٤/١٤٣، الاقتصاد ص ٦٧، البزدوي، أصول الدين ص٦٢.

3 – محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية ص ١٣٤، دار الفكر، دمشق، نقلا عن السعد على العقائد النسفية وحاشية عصام عليه ص ٢٨٨.

4 – الخوارج: يقال لهذه الطائفة الخوارج والحرورية والنواصب والشراة، فأما الخوارج فجمع خارج وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه وألب عليه ، وقيل نسبوا لمكان على ميلين من الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا على رضي الله عنه ، واجمعوا على تكفير علي بن أبي طالب. مقالات الإسلاميين ١/١٦٧.

5 – المرجئة: قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. التعريفات ص٢٢١.

6 – الروافض: الفرقة منهم الرافضة، فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: تبرأمن الشيخين فابى، وقال: كانا وزيري جدي، فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه، والنسبة رافضي. ترتيب القاموس المحيط ٢/٣٦٦.

7 – المجبرة: الجبر اسناد فعل العبد الى الله، والجبرية اثنان، متوسطة يثبت للعبد كسبا في الفعل كالاشعرية، وخالصة، لا يثبت كالجهمية. التعريفات ص٧٧.

كلام الله محدث، وقالت الكرامية أن كلام(١) الله تعالى قديم والقول حادث غير محدث قائم بالله فحاصل المذهب أن كلام الله تعالى حادث"(٢).

"إن الله عز وجل متكلم بكلام أزلي غير مخلوق، ولا محدث، ولا مفترى، ولا مبتدع، ولا مخترع، بل أبدا كما كان متكلما به، وابدأ يكون لاستحالة ضد الكلام من الخرس والسكوت عليه، قال الله عز وجل: (**وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**)([٣])، وقال: (**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي**)([٤])، وقال: (**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ**)([٥])، فأثبت لنفسه الكلام بهذه الآيات، فإذا ثبت بأنه متكلم فكلامه قديم أزلي، والدليل قوله تعالى: (**الرَّحْمَنُ{١} عَلَّمَ القرآن{٢} خَلَقَ الْإِنسَانَ{٣}**)([٦])، فلو كان مخلوقا لقال الرحمن خلق القرآن وخلق الإنسان فلما لم يقل ذلك؛ فدل على ان الانسان مخلوق والقرآن ليس بمخلوق"([٧]).

وقد ذكر الإمام البقاعي في أكثر من موضع من تفسيره وأشار إلى أن كلام الله سبحانه وتعالى أزلي، فقال: "والذي سمعه موسى عليه السلام عند أهل السنة من الأشاعرة هو الصفة الأزلية من غير صوت ولا حرف"(٨)، وقال: "ولما كان القرآن صفة الرحمن أتى بمظهر العظمة فقال: (**وأنزلنا**)"(٩)، وقد ثبت لنا أن الصفة قائمة بالموصوف ولها حكمه، والقرآن كلام الله وهو صفته فيكون كلام الله تعالى قديما، "والكلام هو صفة أزلية قائمة بذاته

[1] – عنوا بالكلام القدرة على التكلم.
[2] – انظر: البزدوي، أصول الدين ص ٦٢. مقالات الإسلاميين ٢/٢٨٤.
[3] – سورة النساء /١٦٤.
[4] – سورة الأعراف /١٤٤.
[5] – سورة التوبة /١٠٦.
[6] – سورة الرحمن /١-٣.
[7] – الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص ٢١١-٢١٢.
[8] – نظم الدرر ٣/١٠٨، وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٥/٤١١، ٥/٤٨٢-٤٨٣، ٥/٥٦.
[9] – نظم الدرر ٢/٣٧٩.

تعالى، هو بها آمر وناه ومخبر، عبر عنها نظم ما أوحاه الله إلـــى رســـله كـــالقرآن والتوراة والإنجيل"(١)، وثبوت هذه الصفة بقاطع القرآن والسنة، ويقول الإمام البقاعي: "القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف من حديث عمر بن أبي سلمة المخزومي رضـــي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضي الله عنه: (أن الكتب كانت تنـــزل من السماء من باب واحد وأن القرآن أنزل حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وضرب أمثال، (وآمر، وزاجر)([2])"(٣).

من هذا يشير الإمام البقاعي أن كلام الله ينقسم إلى تلك الأقسام السبعة, فمثال الأمـــر قوله تعالى: **(وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)**([4])، ومثال النهي قوله تعالى: **(وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)**(٥)، ومثال الحلال قوله تعالى: **(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ**

---

[1] – كبرى اليقينيات الكونية ص١٣٣، وللاستزادة انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبأن الشافعي، إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات ص ٧٠-٧١، دراسة وتحقيق: القدس للدراســـات والبحوث، أيمن عبد الجـــابر البحيـــري، عمـــرو مـــصطفى الـــورداني، دار البيـــان العربـــي، القـــاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

[2] – الطبراني، المعجم الكبير ٤٠٥/٧، رقم ٨٢١٧.

[3] – نظم الدرر ٢٦/١-٢٧.

[4] – سورة البقرة / ٤٣.

[5] – سورة الإسراء /٣٣.

آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(١)، ومثال الحرام قوله تعـالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)(٢)، ومثال المحكم قوله تعالى :" (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) (٣)، ومثال المتشابه: (**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**)(٤)، ومثال ضرب الأمثال: (**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً**)(٥)".

والنقطة الخلافية بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة " أن هناك معنى لألفاظ القرآن يتكون منه الأمر والنهي والإخبار المتوجه إلى الناس وهو قديم، فهذا المعنى قال عنه المعتزلة: اسمه العلم إذا كان إخبارا، وإرادة إذا كان أمرا أو نهيا أما الجمهور، فقالوا: اسمه الكلام النفسي وهو صفة زائدة على كل من العلم والإرادة قائمة بذاته"(٦).

المبحث الثالث

كلام الله غير مخلوق

وفي حديثه عن الكلام الذي سمعه سيدنا موسى عليه السلام من الله جل وعلا، قال البقاعي: "والذي سمعه موسى عليه السلام عند أهل السنة من الأشاعرة هو الصفة الأزلية من غير صوت ولا حرف، ولا بعد في ذلك كما لا بعد في رؤيته سبحانه وهي ليست بجسم ولا

[1] – سورة البقرة /١٨٧.
[2] – سورة المائدة /٩٠.
[3] – سورة الإخلاص /١.
[4] – سورة الفتح /١٠.
[5] – سورة الكهف /٤٥.
[6] – كبرى اليقينيات الكونية ص١٣٥. وللاستزادة انظر: شرح المقاصد ١٤٦/٤.

عرض ولا جوهر و(**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**)([1])"(٢)، ومن لم يكن جسما ولا عرضا ولا جوهرا فهو غير مخلوق.

وقال: " ولما كان نداؤه سبحانه لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب وكان مع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد تشريف بوصف من الأوصاف، إما أن يكون أول السماع منه أو غير ذلك، أو يكون باعتبار كون موسى عليه الصلاة والسلام فيه"(٣).

وقال: "ولما أتاه النداء – كما ورد– من جميع الجهات، فسمعه بجميع الحواس أمر بالتنزيه....، وتنزه الله سبحانه وتعالى تنزها يليق بجلاله عن أن يكون في موضع النداء أو غيره من الأماكن"(٤).

وقال في تفسير قوله تعالى: (**عَلَّمَ القرآن**)([5])، "أي المرئي المشهود بالكتابة والمتلو المسموع الجامع لكل خير، الفارق بين كل لبس، وكان القياس يقتضي أن لا يعلم المسموع أحد لأنه صفة من صفاته، وصفاته في العظم كذاته....، ولما كان كأنه قيل: كيف علمه وهو صفة من صفاته ولمن علمه، قال مستأنفا أو معللا: (**خَلَقَ الْإِنسَانَ**)([6])"([7]).

هذا بعض ما ذكره الإمام البقاعي من أقوال تدل بمجموعها على أن كلام الله تعالى– أي الكلام النفسي – غير مخلوق، وقد ذهب أهل السنة إلى توضيح مسالة كلام الله فقالوا: " انه قد ثبت (الكلام) لله تعالى بإجماع الأمة، وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،

---

[1] – سورة الشورى /١١.
[2] – نظم الدرر ١٠٨/٣.
[3] – نظم الدرر ٤٨٢/٥.
[4] – نظم الدرر ٤١١/٥.
[5] – سورة الرحمن /٢.
[6] – سورة الرحمن /٣.
[7] – نظم الدرر ٣٧٢/٧-٣٧٣.

انه سبحانه وتعالى متكلم مع القطع باستحالة التكلم بدون ثبوت صفة الكـلام، وهـذا القدر من الإجماع لا خلاف لأحد من المسلمين فيه.

ثم إن المعتزلة فسروا هذا الذي أجمع المسلمون على إثباته لله تعالى بأنـه أصـوات وحروف يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ وجبريل، ومن المعلوم أنه حادث وليس بقـديم، ثم إنهم لم يثبتوا لله تعالى شيئا آخر وراء هذه الأصوات والحروف.

أما جماهير المسلمين من أهل السنة والجماعة فقالوا: إننا لا ننكر هذا الـذي تقولـه المعتزلة، بل نقول به، ونسميه كلاما لفظيا، ونحن جميعا متفقون على حدوثه وأنه غير قـائم بذاته تعالى، من أجل أنه حادث، ولكننا نثبت أمراً وراء ذلك وهو الصفة القائمة بالنفس والتي يعبر عنها بالألفاظ، وهي غير حقيقة العلم وغير الإرادة، وإنما هي صفة مهيأة لأن يخاطـب بها الآخرون على وجه الأمر والنهي أو الإخبار، تدل عليه الألفاظ وهي صفة قديمـة قائمـة بذاته تعالى، ضرورة استحالة توارد الخواطر وطروء المعاني عليه، كما هو شأن الإنـسان. وهذا هو المقصود بإسناد صفة الكلام إلى الله تعالى، وبه يفسر ما أجمع عليه المسلمون"(١).

قال الإمام الغزالي: " كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب مقروء بالألسنة، وأما الكاغد(٢) والحبر والكتابة والحروف والأصوات كلها حادثـة لأنهـا أجـسام وأعراض في أجسام فكل ذلك حادث، وإن قلنا: أنه مكتوب في المصحف، أعني صفة تعـالى القديم، لم يلزم أن تكون ذات القديم في المصحف، كما أنا إذا قلنا: النار مكتوب في الكتاب لم يلزم منه أن تكون ذات النار حالة فيه"(٣).

---

[1] – كبرى اليقينيات الكونية ص١٣٤-١٣٥.
[2] – الكاغد: القرطاس، معرب . انظر: القاموس المحيط ٣٤٥/١. ترتيب القاموس المحيط ٦٢/٤.
[3] – الاقتصاد في الاعتقاد ص ٧٢.

وهذا ما ذهب إليه الإمام البقاعي وذكر نص العبارة حيث قال في تفسيره لقوله تعالى: **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)**(١)، فقال:" **(إِنَّمَا قَوْلُنَا)** أي بما لنا من العظمة **(لِشَيْءٍ)** إبداء وإعادة **(إِذَا أَرَدْنَاهُ)** أي أردنا كونه **(أَن نَّقُولَ لَهُ)**، ثم ذكر محكي القول النفسي"(٢)، فالقول النفسي هو الكلام النفسي المقابل للكلام اللفظي والكلام يكون نفسيا كما يكون لفظيا.

"وقد منعت المعتزلة كون الكلام من صفات الله تعالى، والكرامية كون كل صفة قديمة، والأشاعرة كونه من جنس الأصوات والحروف، والحشوية كون المنتظم من الحروف حادثا، ولا عبرة بكلام الحشوية والكرامية، فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة، وهو في التحقيق عائد إلى إثبات كلام النفس ونفيه وان القرآن هو المتلو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي، وإلا فلا نزاع لنا في حدوث كلام الحس، ولا لهم في قدم النفي لو ثبت"(٣).

المبحث الرابع

هل يتكلم الله بحرف وصوت

بحث العلماء هذه المسالة فاختلفت فيها أقوالهم، فمن قائل: أن الله تكلم بصوت وحرف، ومنهم من قال كلام الله على قسمين نفسي ولفظي وفرقوا بينهما، وتفصيل ذلك فيما يلي:

"قال أهل السنة أن كلام الله سبحانه وتعالى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت منزه عن التقدم والتأخر والأعراض والبناء، ومنزه عن السكوت النفسي بأن لا

[1] – سورة النحل /٤٠.
[2] – نظم الدرر ٢٧٠/٤.
[3] – انظر شرح المقاصد ١٤٦/٤، ببعض التصرف.

يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه، ومنزه عن الآفة الباطنية بأن لا يقدر على ذلك في حال الخرس والطفولية.

وقالت الحشوية وطائفة سموا أنفسهم بالحنابلة([1]): كلامه تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتبة ويزعمون أنها قديمة.

وقالت المعتزلة: كلامه هو الحروف والأصوات الحادثة وهي غير قائمة بذاته، فمعنى كونه متكلما عندهم انه خالق للكلام في بعض الأجسام(٢).

"وذهب الكرامية أن المنتظم من الحروف المسموعة مع حدوثه قائم بذات الله وأنه قول الله تعالى لا كلامهم وإنما كلامهم قدرته على التكلم وهو قديم وقوله حادث وفرقوا بينهما بأن كل ما له ابتداء إن كان قائما بالذات فهو حادث بالقدرة غير محدث، وإن كان مباينا للذات فهو محدث بقوله كن لا بالقدرة"([3]).

وقد أشار الإمام البقاعي في تفسيره إلى أن كلامه سبحانه وتعالى من غير صوت ولا حرف، ففي تفسيره لقوله تعالى: **(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)**([4])، قال: " وكان نداؤه سبحانه لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب، .... **(مِنَ الشَّجَرَةِ)** كما تقول: ناديت فلان من بيته ولعل الشجرة كانت كبيرة، فلما وصل إليها دخل النور من طرفها إلى وسطها، فدخلها وراءه بحيث توسطها فسمع – وهو فيها– الكلام من الله تعالى حقيقة وهو المتكلم لا الشجرة.

[1] – الحنابلة: أتباع أحمد بن حنبل وهم يعتمدون على نصوص الكتاب والسنة، وفكرة العالم الإسلامي عنهم أنهم يتشددون في أمر العقيدة، يقول عنهم المستشرق(لاوست): ما من مرة هوجم الإسلام سياسيا أو عسكريا إلا اتجه نحو المذهب الحنبلي الذي ينادي بقوة وحماس بالرجوع إلى السنة. انظر: هامش شرح المقاصد٤/١٤٣.

[2] – تحفة المريد ص ٨٣. وللاستزادة انظر: شرح المقاصد ٤/١٤٤–١٤٥. الملل والنحل ١/٤٥، ٨٠.

[3] – شرح المقاصد ٤/١٥٤.

[4] – سورة القصص /٣٠.

قال القشيري: ومحصل الإجماع أنه عليه الصلاة والسلام سمع تلك الليلة كلام الله......

وقال التفتازاني في شرح المقاصد: إن اختيار حجة الإسلام أنه سمع كلامه الأزلي بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته في الأخرى بلا كم ولا كيف"(١).

وقال: " الذي سمعه موسى عليه السلام عند أهل السنة من الأشاعرة هو الصفة الأزلية من غير صوت ولا حرف"(٢).

ويقول مبينا معنى الحرف وأن الحرف حادث والحادث لا يقوم بذات قديمة لأنه لو قام بها دل على حدوثه والله تعالى قديم، قال: "قال الحرالي في تفسيره لقوله تعالى: (الم)،.... وهذه الألفاظ عند انعجام معناها تسمى حروفا، والحرف طرف الشيء الذي يؤخذ منفردا وطرف القول الذي لا يفهم وحده، وأحق ما تسمى حروفا إذا نظر إلى صورها ووقوعها أجزاء من الكلم ولم تفهم لها دلالة فتضاف إلى مثلها جزءا من كلمة مفهومة تسمى عند ذلك حروفا وعند النطق بها هكذا (الف لام ميم) فينبغي أن يقال فيها أسماء وإن كانت غير معلومة الدلالة كحروف (ألف باء تاء ثاء)، فإنها كلها أسماء على ما فهمه الخليل وأنها إنما تسمى حروفا عندما تكون أجزاء كلمة محركة للابتداء أو مسكنة للوقف والانتهاء.

وأما حقيقتها فهي جوامع أصلها في ذكر أول من كلام الله تعالى فنزلت إلى الكلم العربية وترجمت بها ونظم منها هذا القرآن العربي المبين، فهي في الكتب العلوية الملكوتية المترتبة في الجمع والتفصيل آية وكلم وذات كتاب، فلما نزلت إلى غاية مفصل القرآن أبقيت في افتتاحه لتكون علما على نقله للتفصيل من ذلك الكتاب"(٣).

---

[1] – نظم الدرر ٤٨٢/٥-٤٨٣. وللاستزادة انظر: شرح المقاصد ١٦٥/٤.
[2] – نظم الدرر ١٠٨/٣. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١١/٥، ٣٥٠.
[3] – نظم الدرر ٣١/١-٣٢.

وفي تعليقه على قوله تعالى: **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)**(١)، قال الشيرازي(٢): فلو كان قوله: **(كُن)** مخلوقا لافتقر إلى قول قبله، وكذلك ما قبله، ويؤدي ذلك إلى التسلسل وعدم التناهي، ويؤدي ذلك إلى عدم المخلوقات، ولأن الرب عز وجل لا يخلق الخلق بالخلق، وإنما خلقه بصفته القديمة وهي قوله: **(كُن)** فدل على ما قلناه.

فإن قيل: **(كُن)** كاف ونون ودليل الحدوث فيهما بيِّن لكونهما أحرفا فإن الأحرف لا تخرج إلا من مخارج، فالميم مخرجها من الشفتين وانطباق عضو على عضو، والحاء مخرجها من الحلق، وكذلك سائر الحروف.

فإذا كانت الحروف لا تخرج إلا من مخارج، والرب عز وجل منزه عن ذلك، لأنه ليس ذا ألفاظ ومخارج يتقدم بعضها على بعض، فانه في حال ما يتكلم بالكاف؛ النون معدومة، وفي حال ما يوجد النون ويتكلم بها؛ الكاف معدومة، وما هذه صفته لا يكون إلا مخلوقا، ولان هذه الكاف والنون نشاهدهما في مصاحفنا أجساما مخلوقة، فتارة تكون بالحبر، وتارة تكون باللازورد(٣) وتارة تنقش بالجص والآجر على المساجد وغيرها، فإذا قلنا بقدمها ونحن لا نشاهد إلا هذه الأجسام والألوان المخلوقة، فقد قلنا بقدم العالم؛ لان القديم لا يحل في المحدث، .... والقائل بأن الكاف والنون قديمة؛ يقول بقدم أكثر المخلوقات، وإذا ثبت أن هذا الكاف

[1] – سورة النحل/ ٤٠.

[2] – الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف جمال الدين الفيروزأبادي سكن بغداد وتوفي بها , ولادته سنة ٣٩٣هـ، ووفاته سنة ٤٧٦هـ، صنف: التبصرة في أصول الفقه, تذكرة المسؤولين في الخلاف بين المذهبين الحنفي والشافعي, التنبيه في الفروع, العقيدة، اللمع في الأصول ثم شرحها, المعونة في الجدل, الملخص في الجدل وغيرها. هدية العارفين ٨/٥

[3] – اللازورد: قيل العوهق اللازورد الذي يصبغ به؛ قال: وهي وريقاء كلون العوهق، والعوهق: لون الرماد. والعوهق: شجر، انشد ابن الأعرابي :

ينبعن خرقا مثل قوس العوهق   قوداء فاتت فضلة المعلق

يجوز أن يعني بالقوس هنا قوس قزح، فيكون الهوهق على هذا اللون في السماء لأنها كلون اللازورد. انظر: لسان العرب ٢٧٨/١٠، مادة عهق.

والنون وجميع الحروف مخلوقة، لمشاهدتنا لها في دار الدنيا؛ لأنها لو كانت قديمة لما فارقت الموصوف، لان الصفة لا تفارق الموصوف؛ لأنها إذا فارقته يكون موصوفا بضدها، بطل ما ادعيتموه من القدم"(١).

وقال بعض أصحاب الحديث والفقهاء: " لا نقول أن لفظي بالقرآن مخلوق وما جوزوا إطلاق لفظة المخلوق عليه أي التلاوة والتلفظ وإنما فعلوا ذلك لان العوام لا يقدرون أن يفصلوا بين اللفظ والملفوظ فحسموا هذا الباب حتى لا يقع الناس في القول بخلق كلام الله تعالى ولا شك أن اللفظ مخلوق"(٢).

وعند الكرامية: " كلام الله تعالى حادث، وهو حروف منظومة وأصوات مقطعة بتقطيع خاص وهو قائم بالله تعالى"(٣).

والقول الذي ذهب إليه أهل السنة هو الحق، فإن جميع ما في القرآن ينصرف إلى المنظوم لا إلى كلام الله تعالى القديم، فكلام الله بغير حرف وصوت، فالكلام النفسي قديم غير حادث وهو صفة الله تعالى، وأما اللفظي فهو المكتوب والمقروء والملفوظ والممسوح بالممحاة فهو مخلوق.

المبحث الخامس

هل كلام الله مسموع؟

ذهب الإمام البقاعي إلى أن كلام الله سبحانه وتعالى مسموع، وذكر في تفسيره "أن موسى عليه السلام أتاه النداء من جميع الجهات فسمعه بجميع حواسه وان الذي سمعه موسى عليه السلام هو الصفة الأزلية من غير صوت ولا حرف ويقرر أن نداء الله سبحانه وتعالى لا

[1] – الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص٢١٢-٢١٣. وللاستزادة انظر: لباب العقول ص ٢٥٩-٢٦٠.
[2] – البزدوي، أصول الدين ص٧٣.
[3] – البزدوي، أصول الدين ص ٦٣. وللاستزادة انظر: معارج القبول ٣٤٦/١.

يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب كما كان عند الشجرة أن موسى عليه السلام توسط الشجرة فسمع كلام الله حقيقة وهو فيها من جميع الجهات"(١).

"وأما موسى عليه السلام فانه سمع كلام الله تعالى من الله تعالى بلا واسطة كلام متكلم، غير الله تعالى من غير أن يكون ثم صوت وحرف، بل الله أسمع كلامه القائم به موسى عليه السلام بلطيف صنعه وكمال قدرته فسمعه وفهمه، ..... والنداء نوع كلام، والكلام يستغني عن الصوت، والصوت فضل في الباب، إذ لا يختص الكلام بالصوت بل يختص بالمتكلم، إذ ليس في الصوت ما يكون شيئا للسماع بل الكل مسموع، كان معه صوت أو لم يكن"(٢).

وتوجيه اختصاص سيدنا موسى عليه السلام بأنه كليم الله، " بأنه سمع كلام الله الأزلي بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته في الآخرة بلا كم ولا كيف، فسماع غير الصوت والحرف لا يكون إلا بطريق خرق العادة.

والقول الثاني: أنه سمع بصوت من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة.

والثالث: أنه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شان سماعنا فهو إكرام من الله بغير كسب من خلقه"(٣).

وخلاصة هذا المبحث أننا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى متكلم بكلام مسموع غير مخلوق وهو الكلام النفسي القديم وأن كلامه أزلي قديم بغير صوت ولا حرف وليس بجوهر ولا عرض ولا جسم.

---

[1] – انظر: نظم الدرر ١٠٨/٣، ١١/٥، ٤١١، ٤٨٢، ٤٨٣.

[2] – انظر: أصول الدين ص٧١. وللاستزادة انظر: الاقتصاد ص ٧٠ –٧١. الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص٢١٦– ٢١٧.

[3] – شرح المقاصد ٤/ ١٥٦–١٥٧.

الفصل الخامس

مذاهب العلماء في الألفاظ التي يوهم ظاهرها التشبيه

ذهب العلماء مذاهب شتى في توجيههم لصفات الله الواردة في كتابه سبحانه وتعالى وفي السنة النبوية المطهرة، فمنهم من عطل، ومنهم من شبه وجسم، ومنهم من نزه الله سبحانه وتعالى عن المشابهة والمماثلة، فكان منهم من أوّلَ ومنهم من فوض، وبيان ذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول

مذهب المجسمة والمشبهة([1])

"التشبيه قد يطلق والمراد به اعتقاد المشابهة. فيقال لمعتقده مشبه، كما يقال لمعتقد الوحدانية موحد. وقد يطلق التشبيه والمراد به الإخبار عن تشابه المتشابهين. وقد يطلق والمراد به اثبات فعل على مثال فعل"([2])، فهو تشبيه الفعل بفعل غيره، وتشبيه فعله اللاحق بالسابق، فغلاة المجسمة مشبهة.

وهذه الفرقة هم الذين قالوا بظواهر الألفاظ المضافة إلى الله تعالى، حيث قالوا: "إن لله يدا ووجها، وهكذا في سائر الصفات تأخذ نفس مواصفات الجارحة الإنسانية، وهم الذين شبهوا الله بالمخلوقات وإن اختلفوا في طريقه، فمنهم مشبهة غلاة الشيعة الذين قالوا الله جسمه على صورة إنسان من نور، ومنهم مشبهة غلاة الحشوية([3]) القائلون بأن الله جسم من لحم ودم

---

[1] – وكان أهل الحق يلقبونهم بألقاب تكشفهم لمن لا يعرفهم، فالمشبهة لتشبيههم الحق تبارك وتعالى بخلقه في وصفه بما هو من خواص الخلق، وبالمجسمة لقولهم في الله تعالى بالاتصاف بما هو من لوازم الجسم لزوما، وبالحشوية نسبة إلى الحشو بسكون الشين وهو في اللغة : الذي لا اعتبار له. انظر: لباب العقول ص ١٥–١٦، وللاستزادة: الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٥.

[2] – الشامل في أصول الدين ص٢٩٠.

[3] – الحشوية: هم جماعة من الرافضة المجسمة، سموا بالحشوية نسبة إلى الحشو، ويقصد به أسفل الناس، كما يقصد به الزائد من الكلام، أي اللغو، ذلك أن الحشوية أو أهل الحشو اخذوا بظواهر القرآن دون تبصر=

وله الأعضاء، ومنهم مشبهة الكرامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام([1])، الذي قـال أن الله على العرش مماس له من جهة العلو وتجوز عليه الحركة والانتقال والنزول والتحول"([2])، " وقالوا بجواز قيام الحوادث بذات الله"([3]).

يقول الإمام الجويني: "وغلت طائفة من المثبتين، فافترقوا في التشبيه، فمنهم من قـال أن الرب سبحانه وتعالى جسم، واختلف هؤلاء فقال قسم منهم أن معنى الجسم الوجود، فقولنا الله جسم أي موجود، وآخرون قالوا أن الجسم هو القائم بالنفس، وبهـذا قالـت طائفـة مـن الكرامية، وذهب بعضهم إلى وصفه سبحانه بحقيقة الأجسام، فهو مركب متألف من جـوارح وأبعاض، وغلا قسم من المجسمة منهم مقاتل بن سليمان([4])، وداوود الخوارزمي([5])، وهـشام بن الحكم([6])، فيروى عن مقاتل وداوود أنهما قالا: انه لحم ودم، وقال هـشام: نـور يـتلألأ

=حتى وقعوا في الاعتقاد بالتجسيم، قال عنهم الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: أنهم أجازوا على ربهـم الملامسة والمصافحة، وان المسلمين المخلصين يعانقون الله في الدنيا والآخرة. انظر: الملل والنحل ١/١٠٥. القاموس الإسلامي ٢/١٠٢.

[1] – محمد بن كرام: هو محمد بن كرام بن عراق حزابة و أبو عبد الله السجزي , إمام الكرامية , من فـرق الابتداع في الإسلام , كان يقول بأن الله تعالى مستقر على العرش وأنه جوهر , ولد في سجـستان, وجـاور بمكة خمس سنين , وورد نيسابور , فحبسه طاهر بن عبد الله , ثم انصرف إلى الشام وعاد إلـى نيـسابور فحبسه محمد بن طاهر , وخرج منها سنة ٢٥١ه إلى القدس فمات بها سنة ٢٥٥ه . انظر: الأعلام ٧/٢٣٦

[2] – محمد أحمد العدوي، الشرح الجديد لجوهرة التوحيد ص ١٦٨، مطبعة مصطفى البابي الحلبـي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م. وللاستزادة انظر: الملل والنحل ١/١٠٨-١٠٩.

[3] – الشامل في أصول الدين ص ٨٢.

[4] – مقاتل: هو مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء والخراساني المروزي أصله من بلخ وانتقل إلـى البـصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور، واخـذ الحـديث عـن مجاهد وعطاء وغيرهما توفي بالبصرة سنة (١٥٠هـ)، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/١٤٧، تحقيق: د. إحسان عبـاس، دار صـادر، بيـروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. الملل والنحل ١/١٠٤. قال فيه الإمام أبو حنيفة انه أتى ببدعة التشبيه من خراسان، قال: أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل ومقاتل مشبه، وقال: وأفرط جهم في النفي حتى قال إن الله لـيس بشيء، وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعل مثل خلقه، انظر: لباب العقول ص ١٦.

[5] – داوود الخوارزمي: وقيل الجواربي، قال إن معبوده جسم ولحم ، وقال: انه أجوف من أعلاه إلى صدره مصمتا ما سوى ذلك وان له وقرة سوداء، وقال : اعفوني من الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك أثبتـه لكم لله عز وجل من الكتاب والسنة، لباب العقول ص ١٧٤، وللاستزادة: الملـل والنحـل ١/١١٥، ومثلـه الدارمي (غير صاحب السنن) وهو عثمان بن سعيد السجزي، يقول: إن الله تعالى لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة، ويقول: "... لان الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء، وينزل ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء. سعد رستم، الذات الإلهية والمجازات القرآنية وإزالة شبهة التـشبيه والتجـسيم مـن أساسها ص٢٢، الأوائل للنشر والتوزيع ، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.

[6] – هشام بن الحكم: هو هشام بن الحكم أبو محمد الكوفي مولى كندة، ولد بالكوفة، ونشأ بواسط، انتقل إلـى بغداد وتوفي بها سنة (١٩٩هـ)، انقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي، ولما حدثت نكبة البرامكة استتر، لـه=

كالسبيكة البيضاء، وقال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأشار إلى أبي قبيس([1])، وقال: ما أظن إلا أنه أكبر منه بقليل، وقال في مقالات أخرى: هو اكبر من العرش يقله ويحمله مثقلا بـــه، وهو مع العرش كالكرسي تحمله ساقاه، وصرح كثير من اتباع المجسمة أنه علـــى صـــورة الإنسان وهيئته"([2])، ومما يتصل بهذا القول الحلول([3]) والاتحاد([4]).

ومن فرق الشيعة الغلاة المجسمة (البيانية)([5]) قالوا: (" أن الله عز وجل على صورة الإنسان، وأنه يهلك إلا وجهه".

و" (الجناحية)([6]) يزعمون أن روح الله كانت في آدم حتى حلت في رئـــيس فـــرقتهم فألّهوه".

وقالت (المغيرية)([7]): " أن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجل، وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة، والألف موضع قدمه لاعوجاجهـــا،

=من الكتب: اختلاف الناس في الإمامة، الدلالة على حدث الأجسام، كتاب الأخبار، الـــرد علـــى أصـــحاب الطبائع، كتاب القدر، كتاب المجالس، كتاب الوصية. كشف الظنون ٦/٥٠٧-٥٠٨. معجم المـــؤلفين ٦٣/٤. الفهرست ص٢٢٣-٢٢٤.

[1] – أبو قبيس: بلفظ تصغير كانه تصغير قبس النار: وهو اسم للجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعـــان ومكة بينهما، أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها؛ قيل سمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة وكان يسمى الأمين لان الركن كان مستودعا فيه. معجم البلدان١/٨٠-٨١. الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة٣/٥٤٩-٥٥٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. .

[2] – الشامل في أصول الدين ص ٢٨٨-٢٨٩، بتصرف يسير.

[3] – الحلول: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الـــورد في الورد فيسمى الساري حالا والمسرى محلا، وهذا الحلول السرياني، أما الحلول الجواري، عبارة عن كون أحد الجسمين طرفا للآخر كحلول الماء في الكوز، التعريفات ص٩٨.

[4] – الاتحاد: هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدا، والاتحاد في الجنس يسمى مجانسة وفي النوع مماثلة وفي الأطراف مطابقة وفي الإضافة مناسبة وفي وضع الأجزاء موازنة، والاتحـــاد هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي كل موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به معدوما بنفسه لا من حيث أن له وجودا خاصا اتحد به فانه محـــال، وقيـــل: الاتحـــاد امتـــزاج الـــشيئين واختلاطهما حتى تصير شيئا وأحدا لاتصال نهايات الاتحاد، وقيل: الاتحاد هو القول من غير روية وفكـــر، التعريفات ص٦.

[5] – البيانية: أصحاب بيان بن سمعان التميمي وهو ممخرق ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني الهجـــري، وادعى أول أمره أن جزءا إلها حل في علي بن أبي طالب ثم انتقل لمحمد بن الحنفية، ثم في النهاية له وادعى النبوة، مقالات الإسلاميين ٦٦/١.

[6] – الجناحية: أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين، سميت بالجناحية نسبة لجعفـــر الطيار جد عبد الله بن معاوية، مقالات الإسلاميين ٦٧/١

[7] – المغيرية: أصحاب المغيرة بن سعد العجلي أو البجلي ، مقالات الإسلاميين ٦٩/١.

والله كتب بأصبعه على كفه أعمال العباد من المعاصي والطاعات، فغضب من المعاصي ففرق".

و(الخطابية)[1] قالوا: " ولد الحسين أبناء الله وأحباؤه، والّهوا رئيسهم")[2].

هذا وقد أشار الإمام البقاعي إلى مثل هذه الطوائف، ففي تفسيره لقوله تعالى: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)**[3]، قال: " اشتملت هذه الآية على جميع ما نقل البيهقي في كتاب الأسماء والصفات عن الحليمي، قال: الثالث إثبات انه ليس بجوهر[4] ولا عرض لتقع به البراءة من التشبيه وهذا من قوله: **(لا اله إلا الله)**[5]، لأن من لا يسد غيره مسده لا شبيه له، والرابع إثبات أن وجود كل ما سواه كان بإبداعه له واختراعه إياه لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلة والمعلول وهذا من قوله: **(الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)**[6]، **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ**

---

[1] – الخطابية: أصحاب أبي الخطاب بن زينب مولى لبني أسد يكنى بأبي الضبيان، وأبي إسماعيل، مقالات الإسلاميين ٧٦/١.

[2] – انظر: مقالات الإسلاميين ٦٦/١–٨٨.

[3] – سورة البقرة /١٦٤.

[4] – الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع وهو منحصر في خمسة: هيولي، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل، لأنه إما أن يكون مجردا أو غير مجرد، فالأول إما ألا يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف أو يتعلق، والأول العقل والثاني النفس، والثاني من الترديد وهو أن يكون غير مجرد إما أن يكون مركبا أو لا، والأول الجسم والثاني إما حال أو محل الأول الصورة، والثاني الهيولي ويسمى هذه الحقيقة الجوهرية ....، وعلم أن الجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقل والنفوس المجردة، وإلى بسيط جسماني كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج، كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل، وإلى مركب منهما كالمولدات الثلث. التعريفات ص ٨٣–٨٤.

[5] – سورة البقرة /١٦٣.

[6] – سورة البقرة /١٦٣.

وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1]، والخامس أنه مدبر ما أبدع ومصرفه على ما يشاء لتقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع أو تدبير الكواكب، أو تدبير الملائكة وهذا من قوله تعالى: **(وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء)**[2]"[3].

وقال الإمام البقاعي في كلامه على حرف المتشابه من القرآن: " ولما كان حرف المتشابه إخبارا عن نفسه سبحانه وتعالى بما يتعرف به لخلقه من أسماء وأوصاف كانت قراءته بتحقق العبد أن تلك الأسماء والأوصاف ليست مما تدركه حواس الخلق ولا ما تناله عقولهم، وإن أجرى على تلك الأسماء والأوصاف على الخلق فيوجه، لا يلحق أسماء الحق ولا أوصافه منها تشبيه في وهم ولا تمثيل في عقل و**(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)**[4]، **(وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)**[5]، فالذي يصح به قراءة هذا الحرف أما من جهة القلب فالمعرفة بأن جميع أسماء الحق وأوصافه يعجز عن معرفتها إدراكات الخلق وتقف عن تأويلها إجلالا وإعظاما معلوماتهم وأن حسبها معرفتها بأنها لا تعرفها.....، وأما من جهة العمل

---

1 - سورة البقرة /١٦٤.
2 – سورة البقرة /١٦٤.
3 – نظم الدرر ٢٩٨/١، وللاستزادة انظر: البيهقي، الأسماء والصفات ص ٨.
4 – سورة الشورى /١١.
5 – سورة الإخلاص /٤.

فحفظ اللسان عن إطلاق ألفاظ التمثيل والتشبيه تحقيقا لما في مضمون قوله سبحانه وتعالى: **(وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)**([1])، لان مقتضاها الرد على المشبهة من هذه الأمة"([2]).

من هذا يتضح ضلال وزيغ من يقول بالتشبيه والتجسيم، وكذا من يقول بالحلول والاتحاد – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا– والله سبحانه وتعالى يقول: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)**([3])، فليس له صورة تقال، ولا حد يضرب له مثال، تعالى الله عن المشابهة والمماثلة والمجانسة **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**([4]).

المبحث الثاني

مذهب المعطلة

مذهب المعطلة قائم على نفي مدلول كل الصفات عن الله سبحانه وتعالى، فلا يؤولون ولا يفوضون ولا يشبهون، فالله بهذا المعنى لا يسمع ولا يبصر و....؛ لأن من شرط إجراء هذه الأمور أن تكون قائمة بجارحة، والله منزه عن الجارحة.

ويشير الإمام البقاعي إلى إبطال هذا المذهب بقوله في تفسير قوله تعالى: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ**

---

1 – سورة الإخلاص /٤.
2 – نظم الدرر ٢٢/٢.
3 – سورة الشورى /١١.
4 – سورة الإخلاص /١.

السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)([1])، قال: "اشتملت هذه الآية على جميع ما نقل البيهقي في كتاب الأسماء والصفات عن الحليمي: " انه مما يجب اعتقاده في الله سبحانه وتعالى عدة أشياء: الأول إثبات الباري جل جلاله لتقع به مفارقة التعطيل......، ثم قال: ان أسماء الله سبحانه وتعالى جِدَة التي ورد بها الكتاب والسنة، وأجمع العلماء على تسميته بها، منقسمة بين العقائد الخمس، فليلحق بكل واحدة منهن بعضها. وقد يكون منها ما يلتحق بمعنيين ويدخل في بابين أو أكثر"([2]).

فالتعطيل: "نفي أسماء الله وصفاته وترك عبادة الله أو الشرك معه وتعطيل المخلوقات من خالقها جل وعلا كتعطيل الفلاسفة الذين قالوا بقدم هذه المخلوقات وزعموا أنها تتصرف بطبيعتها، وأول من ابتدع التعطيل في دين الله الجعد بن درهم([3]) وأخذها عنه الجهم بن صفوان حيث تنتسب إليه الجهمية([4])"([5])، وكان الجهم بن صفوان يقول: "لا أقول أن الله سبحانه شيء؛ لان ذلك تشبيه له بالأشياء، وكان يقول: إن علم الله سبحانه محدث....، وأنه لا يقال أن الله لم يزل عالما إلا بالأشياء قبل أن تكون"([6])، وكان الجهم ينفي الصفات ويقول بخلق القرآن وهذه ظهرت على لسان الجعد بن درهم، وتعلم منه الجهم بن صفوان هذا القول

---

1 – سورة البقرة /١٦٤.

2 – نظم الدرر ٢٩٨/١، وللاستزادة انظر: الأسماء والصفات، البيهقي ص٨.

3 – الجعد بن درهم: قتله,دباً لمروان بن محمد ولولده, فأدخله في الزندقة, وقتل الجعد هشام بن عبد الله في خلافته بعد أن طال حبسه في يد خالد بن عبد الله القسري, فيقال أن آل الجعد رفعوا إلى هشام يشكون ضعفهم وطول حبس الجعد, فقال هشام أهو حي بعد؟ وكتب إلى خالد في قتله, فقتله يوم الأضحى. انظر: الفهرست ص٤٠١.

4 – الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، قتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء منها: لا يجوز أن يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه فنفى كونه حيا عالما، ومنها: إثبات علوما حادثة لله لا في محل، فقال: لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه، ومنها قوله في القدرة الحادثة وان الإنسان مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة، وقوله بفناء الجنة والنار، ومنها: من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لان العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد فهو مؤمن. الملل والنحل ٨٦/١–٨٨.

5 – محمد صديق حسن خان القنوجي، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، الهامش ص٣١، تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

6 – مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١، وللاستزادة: لباب العقول ص١٦.

الذي نسب إلى الجهمية، و"المعتزلة ينفون الصفات فسموا بالمعطلة"([1])، ويقال: "أن المعتزلة ورثوا هذا القول بخلق القرآن عن الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وزادوا المسالة تفصيلا"([2]).

وما ندين لله تعالى به، ونلقى به وجه ربنا الإقرار ببطلان هذين المذهبين، وهما مذهبا المشبهة والمعطلة.

المبحث الثالث

مذهب السلف([3]) والخلف([4])

من المعلوم أن مذهب السلف والخلف قائم على التنزيه المطلق لله تعالى، وهو قائم إما على التفويض([5]) أو التأويل([6])، وقد ذهب جمهور السلف إلى التأويل الإجمالي وذهب جمهور الخلف إلى التأويل التفصيلي.

[1] - انظر: الشامل في أصول الدين ص ٥٤.

[2] - الشرح الجديد ص٦٨.

[3] - السلف: وهم من كان قبل القرن الخامس وقيل الثالث، تحفة المريد ص ١٠٤. وقيل: " السلف هم العلماء العدول الوارثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقائق والمعارف والعقائد، ويمكن أن يقال: هم السادة الأخيار إلى نهاية المائة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة، وانتهى إليه – تقريبا – دور تدوين الحديث الشريف والكلام على رجاله وهم السادة الأخيار كبار الأئمة الفقهاء والمحدثين والأصوليين والمفسرين وأمثالهم من علماء الإسلام وتلاميذهم وأتباعهم في عصرهم وبعدهم وعليه الكثير من العلماء وأتباعهم". انظر: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشهير ببدر الدين بن جماعة، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التأويل ص٤٠، حققه وعلق عليه: وهبي سليمان غاوجي الألبأني، دار السلام، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

[4] - الخلف: وهم من كانوا بعد الخمسمائة، وقيل بعد القرون الثلاثة الأولى وهذا الأرجح، تحفة المريد ص ١٠٤.

[5] - التفويض: صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله تعالى، بأن يقول: الله اعلم بمراده. إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد ص ١٤٩، نسقه وخرج أحاديثه: محمد أديب الكيلان- وعبد الكريم تتان.

[6] - التأويل: حمل اللفظ على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد فيحكم المكلف بأن اللفظ مصروف عن ظاهره قطعا، ثم يؤول اللفظ تأويلا تفصيليا بأن يبين فيه المعنى الذي يظن انه المقصود من اللفظ. شرح جوهرة التوحيد ص ١٤٩.

قال الإمام البقاعي : "يؤثر عن الإمام أحمد بن حنبل([1]) رضي الله عنه ورحمه الله، أنه قال: آيات الصفات وأحاديث الصفات صناديق مقفلة مفاتيحها بيد الله سبحانه وتعالى، تأويلها تلاوتها، ولذلك أئمة الفقهاء وفتياهم لعامة المؤمنين، والذي اجتمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ولقنته العرب كلها أن ورود ذلك عن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن الأئمة إنما هو لمقصد الإفهام، لا لمقصد الإعلام....، وهم([2]) وسائر العلماء بعدهم صنفان: إما متوقف عنه في حد الإيمان, قانع بما أفاد من الأفهام، وإما مفتوح عليه بما هو في صفاء الإيقان, وذلك أن الله سبحانه وتعالى تعرف لعباده في الأفعال والآثار, في الآفاق وفي أنفسهم تعليما, وتعرف للخاصة منهم بالأوصاف العليا والأسماء الحسنى مما يمكنهم اعتباره تعجيزا, فجاوزوا حدود التعليم بالإعلام إلى عجز الإدراك فعرفوا أن لا معرفة لهم، وذلك هو حد العرفان"([3]).

بهذا يقرر الإمام البقاعي أن التفويض والتأويل كانا عند السلف والخلف، وقد نحا في هذا الباب منحى التأويل حيث قال بعد الحديث عن آيات الصفات : "كما فعلنا نحن بمعونة الله سبحانه وتعالى في وصف الله سبحانه وتعالى بالرضى([4]) والغضب([5]) والرحمة([6])

[1] – أحمد بن حنبل: هو أحمد بن محمد بن جنبل بن هلال بن إدريس أبو عبد الله الشيباني المروزي الأصل بغدادي المولد والوفاة ، ولد سنة ١٦٤هـ وهو إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة ، له: المسند، كتاب في التاريخ، كتاب الناسخ والمنسوخ من القرآن، وغيرها. توفي سنة ٢٤١هـ. الأعلام ١٩٢/١. هدية العارفين ٤٨/٥.

[2] – يقصد الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

[3] – نظم الدرر ٢١/٢.

[4] – الرضى: قال البقاعي : (رضوان) قال الحرالي: بضم الراء وكسرها اسم مبالغة بمعنى الرضا. نظم الدرر ٣٨/٢. وقال في تفسير قوله تعالى (رضي الله عنهم) سورة البينة /٨، " ولما كان هذا كله ثمرة الرضا وكان التصريح به اقر للعين قال: (رضي الله) أي بما له من نعوت الجلال والجمال (عنهم) أي بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق، نظم الدرر ٥٠١/٨.

[5] – الغضب: قال الإمام البقاعي في تفسير قوله تعالى (وغضب الله عليهم) سورة الفتح /٦ : " ولما كان ما دار عليه السوء قد لا يكون مغضوبا عليه قال: (وغضب الله) أي الملك الأعظم بما له من صفات الجلال والجمال فاستعلى غضبه عليهم، وهو عبارة عن أن يعاملهم معاملة الغضبأن بما لا طاقة لهم به. نظم الدرر ١٩١/٧.

[6] – الرحمة: وفي تفسير قوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) سورة الأعراف/٥٧ ، قال الإمام البقاعي: " رحمته (المطر)". نظم الدرر ٤٤/٣، وفسر الرحمة في قوله تعالى(درجات منه ومغفرة ورحمة) سورة النساء /٩٦، قال: " أي كرامة ورفعة"، وفي تفسيره لقوله تعالى: (وربك الغفور ذو الرحمة)

الضحك([1]) وغير ذلك مما يستلزم حمله على الظاهر وصفات المحدثين, وكذا اليـد والكـف والعين ونحو ذلك, فحملنا ذلك كله على أن المراد منه لوازمه([2]) وغاياته مما يليق بجلالـه سبحانه وتعالى، مع تنزيهنا له سبحانه وتعالى عن كل نقص وإثباتنا له كل كمال"([3]).

وفي تفسيره للمتشابه الوارد في قوله تعـالى: (**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ**)([4])، أكد الإمام البقاعي مقالته السابقة فقال: "فأبهمه إبهاما يشعر بما جرت به الكليات فيما يقع نبأ عن الحق وعن الخلق من نحو أوصاف النفس كالعليم, والحكيم، وسـائر أزواج الأوصاف, كالغضب, والرضا, بناءً على الخلق في بادئ الصورة من نحو العين, واليد, والرجل, والوجه، وسائر بوادي الصورة, كل ذلك مما أنه متشابهات انزلها الله تعالى ليتعرف للخلق بما جبلهم عليه مما لو لم يتعرف لهم به لم يعرفوه"([5]).

وما دفع الخلق إلى التأويل هو الحرص على عقائد الناس من أن يتسرب اليها الختـل والزلل، مع العلم أن التأويل ليس بدعا من القول، وهو لم يخرج عن فهم العـرض، يـضاف لذلك أن البعض لا يحمل العديد من الألفاظ المضافة إلى الله تعالى على توجيه اللغة مثل يـد على نعمة مثلا، بل يحملها على الظواهر المتعارفة على ما هو المعهود من نعوت الآدميـين،

سورة الكهف /٥٨، قال: " (ذو الرحمة) أي الذي يعامل –وهو قادر– مع موجبات الغضب معاملـة الـراحم بالإكرام". نظم الدرر ٤/٤٨٤.

[1] – الضحك: قال الإمام البقاعي : " يؤثر عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ورحمه الله، أنه قال: آيات الصفات وأحاديث الصفات صناديق مقفلة مفاتيحها بيد الله سبحانه وتعالى، تأويلها تلاوتها، ولذلك أئمة الفقهاء وفتياهم لعامة المؤمنين، والذي اجتمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ولقنته العرب كلها أن ورود ذلك عن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن الأئمة إنما هو لمقصد الإفهام، لا لمقصد الأعلام، فلذلك لم يستشكل الصحابة رضوان الله عليهم شيئا قط بل كان كلما كان وارده عليهم أكثر كانوا به افرح وللخطاب به افهم، حتى قال بعضهم لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يضحك من عبده: لا نعدم الخير من رب يضحك. نظم الدرر ٢/٢١.

[2]– اللازم : ما يمتنع انفكاكه عن الشيء. انظر: التعريفات ص١٩٩

[3] – نظم الدرر ٢/١٩.

[4] – سورة آل عمران/٧

[5] – نظم الدرر ٢/٢٣.

الأمر الذي يؤدي إلى تشبيه الله تعالى بخلقه، وهو متعارض مع قوله تعـالى: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)**([1]).

وقد أشار الإمام الغزالي إلى ما يجب بحق العوام من الخلق، وأن الواجب بحقهم عدة أمور، فقال: " والقول الحق أن مذهب السلف هو الحق وأن من بلغه حديث مـن الأحاديـث الموهمة من عوام الخلق يجب عليه سبعة أمور: التقديس، ثم التصديق، ثم الاعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الإمساك، ثم الكف، ثم التسليم لأهل المعرفة، فالتقديس تنزيه الـرب سـبحانه وتعالى عن الجسمية وتوابعها، والتصديق هو الإيمان بما قاله صلى الله عليه وسلم، والسكوت أن لا يسال عن معناه ولا يخوض فيه، والإمساك أن لا يتعرض في تلك الألفاظ بالتـصريف والتبديل بلغة أخرى، والكف أن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه، وأما التسليم فـأن لا يعتقد أن ذلك خفي عليه لعجزه وخفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على الصديقين والأولياء"([2]).

---

[1] – سورة الشورى /١١.

[2] – حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكـلام، ص ٤-٥ بتـصرف، المكتبـة الأزهرية للتراث، جمهورية مصر العربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الفصل السادس

الألفاظ الموهمة للتشبيه

انقسم العلماء في آرائهم حول معاني الألفاظ المضافة إلى الله تعالى، فذهب بعضهم إلى إجرائها على ظواهرها حتى أفضت به إلى التجسيم، وذهب البعض الآخر إلى التفويض أو التأويل، وإلى التفويض ذهب جمهور السلف وبعض الخلف، بينما ذهب إلى التأويل بعض السلف وجمهور الخلف – كما ذكرنا سابقا–.

وللوقوف على موقف الإمام البقاعي من الألفاظ المضافة إلى الله تعالى جاء هذا الفصل عبر المباحث التالية:

المبحث الأول

موقفه من الألفاظ التي توهم مشابهة الخالق لخلقه حساً

المطلب الأول

الوجه

إن المتتبع لآيات الكتاب الكريم يجد أن لفظة الوجه جاءت مضافة إلى الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع، من ذلك

- **قوله تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ)([1]).**

[1] – سورة الرعد /٢٢.

- وقوله: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)([1]).
- وقوله: (وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)([2]).
- وقوله: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا)([3]).

الوجه لغة: "أصل الوجه الجارحة, قال تعالى: (**فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ**)([4]) ولما كان الوجه أول ما يستقبلك, وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل شيء وفي أشرفه ومبدئه فقيل وجه كذا ووجه النهار. وربما عُبرَ عن الذات بالوجه في قول الله: **(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)**([5])، قيل: ذاته، وقيل: أراد بالوجه ههنا التوجه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، وقال: **(وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)**([6])، و**(وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**([7])، و**(فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ**

---
[1] – سورة القصص /٨٨.
[2] – سورة البقرة /١١٥.
[3] – سورة الإنسان /٩.
[4] – سورة المائدة / ٦.
[5] – سورة الرحمن /٢٧.
[6] – سورة البقرة /١١٥
[7] – سورة القصص /٨٨.

الْمُفْلِحُونَ)([1])، و(**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا**)([2])، قيل إن الوجه في كل هذا ذاته، ويعنى بذلك كل شيء هالك إلا هو......، ويقال: واجهت فلانا جعلت وجهي تلقاء وجهه ويقال للقصد وجه، وللمقصد جهة ووجهة، ووجهت الشيء أرسلته في جهة واحدة فتوجه وفلان وجيه ذو جاه([3]).

وقد ذهب الإمام البقاعي إلى تأويل لفظة الوجه في كل الآيات التي وردت فيها، حيث قال في تفسير لقوله تعالى: (**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**)([4]): "ولما كان الوجه اشرف ما في الوجود، وكان يعبر به عما أريد به صاحب الوجه مع أنه لا يتصور بقاء الوجه بدون صاحبه، فكان التعبير به عن حقيقة ذلك الشيء أعظم وأدل على الكمال وكان من المقرر عند أهل الشرع أنه سبحانه (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**)([5])، فلا يتوهم أحد منهم من التعبير به نقصاً قال: (**وَيَبْقَى**) أي بعد فناء الكل, بقاءً مستمراً إلى ما لا نهاية له، (**وَجْهُ رَبِّكَ**) أي المربي لك بالرسالة والترقية لهذا الوحي إلى ما لا يحد من المعارف وكل عمل أريد به وجهه سبحانه وتعالى خالصا، ولما ذكر مباينته للمخلوقات, وصفه بالإحاطة الكاملة بالنزاهة والحمد، وقال واصفا الوجه لأن المراد به الذات الذي هو أشرفها معبرا به ولأنها أبلغ من "صاحب" وبما ينبه على التنزيه عما ربما توهمه من ذكر الوجه بليد جامد مع

[1] – سورة الروم /٣٨.
[2] – سورة الإنسان /٩.
[3] – المفردات ص٥٢٩.
[4] – سورة الرحمن /٢٧.
[5] – سورة الشورى /١١.

المحسوسات يقيس الغائب – الذي يعتريه حاجة ولا يلم بجنابه الأقدس نقص– بالشاهد الذي كله نقص وحاجة"([1]).

وقال في تفسير قوله تعالى: **(إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى)**([2]): "وعبر بالوجه إشارة إلى أن قصده أعلى القصود فلا نظرة له إلا إلى ذاته سبحانه وتعالى التي عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الذات, وبالنظر إليه تحصل الحياة والرغبة والرهبة, لا إلى طلب شيء من دنيا ولا آخرة"([3]).

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ)**([4])، قال: "**(وَجْهَ اللَّهِ)** خالصاً مستحضرين لجلاله وعظمته وكماله, وعبر عن الذات بالوجه لأنه الذي يجل صاحبه ويستحي منه عند رؤيته وهو أشرف ما في الذات"([5]).

فوجه الله يعني الذات العلية حيث عبر بالوجه عن الذات وهذا مسلك من مسالك العرب الكلامية، وبهذا المعنى فسره الرازي وأبو السعود وابن عطية([6]) وابن عاشور([7])

---

[1] – نظم الدرر ٣٨٥/٧. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٥٣٢/٥.
[2] – سورة الليل/٢٠.
[3] – نظم الدرر ٤٥٠/٨. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١٤٦/٤
[4] – سورة الروم/٣٩.
[5] – نظم الدرر ٦٣٩/٥.
[6] – ابن عطية: هو عبد الحق بن أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي المالكي، توفي سنة ٥٤٦هـ، له برنامج ضمنه مروياته وأسماء شيوخه، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. هدية العارفين ٥٠٢/٥.
[7] – الطاهر ابن عاشور: الشيخ أبو عبد الله محمد الطاهر بن عاشور الشريف التونسي القاضي المالكي المفتي بها الشهير بابن عاشور كان فصيح عصره ومفخر مصره توفي سنة ١٢٨٤ هـ. من تصانيفه شفاء القلب الجريح في شرح بردة المديح. الغيث الأفريقي حاشية على شرح التفتازاني لتلخيص القزويني في علم البلاغة. هدية الأريب إلى أصدق حبيب وهو حاشية على شرح القطر لابن هشام. هدية العارفين ٣٧٨/٦.

والآلوسي([1])([2])، قال ابن عاشور: "(**وَجْهَ اللَّهِ**) ذاته, فذكر الوجه هنا جار على عرف كلام العرب، قال في الكشاف : والوجه يعبر به عن الجملة والذات وقد أضيف إلى اسمه تعالى لفظ الوجه بمعان مختلفة منها ما هنا ومنها قوله: (**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ**) ([3])، وقوله: (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا**)([4])، وقد علم السامعون أن الله تعالى يستحيل أن يكون له وجه بالمعنى الحقيقي، وهو الجزء الذي في الرأس"([5]).

وفي قوله: (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا**)([6])، قال الإمام البقاعي: "(**لِوَجْهِ اللَّهِ**) أي لذات الملك الذي استجمع الجلال والإكرام لكونه أمرنا بذلك، وعبر به لأن الوجه يستحيى منه ويرجى ويخشى عند رؤيته"([7])، وهو بمعنى رضائه وطلب ثوابه،

[1] – الآلوسي: هو شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش العلامة أبو الثناء الآلوسي البغدادي الشافعي مفتي الحنفية بها، ولد سنة ١٢١٧هـ، سافر إلى القسطنطينية ورجع إلى بلده وتوفي بها سنة ١٢٧٠هـ، له من المصنفات: الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية، الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية، أنباء الأبناء بأطيب الأنبا، التبيان شرح البرهان إطاعة السلطان، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، وغيرها. هدية العارفين ٤١٨-٤١٩.

[2] – الفخر الرازي، التفسير الكبير ٣٥٥/١٠، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٨٠/٨، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في شرح الكتاب العزيز ٢٢٩/٥، تحقيق: عبد السلام الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢٣٦/٢٧، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. روح المعاني ٣٦٥/١.

[3] – سورة البقرة/١١٥

[4] – سورة الإنسان /٩.

[5] – التحرير والتنوير ٢٣٦/٢٧.

[6] – سورة الإنسان /٩.

[7] – نظم الدرر ٢٦٨/٨.

قال الطبري: "(**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ**) يقول تعالى ذكره: (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ**) إذا هم أطعموهم لوجه الله يعنون طلب رضاه والقرب إليه"([1]).

وقال البقاعي في تفسير قوله تعالى (**وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**)([2]): "(**وَجْهُ اللّهِ**) أي جهته التي وجهكم إليها أو مكان استقباله والتوجه إليه وما يستقبلكم من جلاله وجماله ويتوجه إليكم من بره وإفضاله، فإن نسبة جميع الأماكن والجهات في الإبداع والقرب والبعد وغير ذلك إليه واحدة .

قال الحرالي: وأبهم المولى ليقع تولي القلب لوجه الله حين تقع محاذاة وجه الموجه الظاهر للجهة المضافة لله"([3]).

والذي قاله الإمام البقاعي هو عين ما قاله الزمخشري وابن عطية وابن كثير وأبو السعود والآلوسي([4])، قال أبو حيان: "(**فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ**) هذا جواب الشرط وهي جملة ابتدائية، فقيل معناه : فثم قبلة الله فيكون الوجه بمعنى الجهة وأضيف ذلك إلى الله حيث أمر باستقبالها فهي الجهة التي فيها رضا الله تعالى, قاله الحسن([5]) ومجاهد وقتادة ومقاتل"([6]).

---

[1] – تفسير الطبري ١٢/٣٦١.
[2] – سورة البقرة /١١٥
[3] – نظم الدرر ١/٢٢٦، وللاستزادة انظر: قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الإسلامية، غاية البيان في تنزيه الله عن الجهة والمكان ص١٦–١٧، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
[4] – انظر: تفسير الكشاف ١/٨٩، المحرر الوجيز ١/٢٠٠، تفسير القرآن العظيم ١/١٦٢، أبو السعود ١/١٥٠، روح المعاني ١/٣٦٥.
[5] – الحسن البصري: هو الحسن بن سيار البصري أبو سعيد, تابعي, كان إمام أهل البصرة, وحبر الأمة في زمنه, وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك, ولد بالمدينة, وشب في كنف علي بن أبي طالب, واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية, وسكن البصرة, توفي في البصرة عام ١١٠هـ, له من التصانيف: تفسير القرآن, كتاب الإخلاص، وغيرهما. انظر: الأعلام٢/٢٤٢, هدية العارفين ٥/٢٦٥.
[6] – البحر المحيط ١/٣٦١.

وقال أبو حيان: قال أبو منصور([1]): "المراد بالوجه الجاه، كما يقال: فلان وجه القوم، أي: موضع شرفهم، ولفلان وجه عند الناس، أي: جاه وشرف، والتقـدير: فـثم جـلال الله وعظمته"([2])، وقال ابن الجوزي: "(**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**)([3])، قال المفسرون: معناه يبقى ربك وكذا قالوا في قوله تعالى: (**يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ**)([4]): أي يريدونـه، وقـال الضحاك وأبو عبيدة في قوله: (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**)([5])، أي إلا هو"([6])، ولو أجرينا مثل هذه الآية على ظاهرها المعروف في أصل اللغة لاقتضى الأمر هلاك كل صفاته – تعـالى- إلا الوجه وهذا لا يقوله عاقل، ويوجه الوجه توجيها منضبطا بقواعد اللغة وملتزما فيه بتنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث، قال الشريف الرضي([7]): "الوجه ههنا عبارة عن ذات الشيء ونفسه، وعلى هذا قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها الرحمن سبحانه (**وَيَبْقَى وَجْهُ**

[1] – أبو منصور: هو محمد بن محمود الماتريدي الحنفي أمام الهدى المتوفى بسمرقند سنة ٣٣٣هـ، له من التصانيف: بيان وهم المعتزلة، تأويلات أهل السنة، الدرر في أصول الدين، الرد على تهذيب الكعبي في الجدل، عقيدة الماتريدية، كتاب التوحيد وثبات الصفات، كتاب الجدل، المقالات، وغيرها. هدية العارفين ٣٦/٦-٣٧.

[2] – البحر المحيط ٣٦٠/١-٣٦١. روح المعاني ٣٦٥/١.

[3] – سورة الرحمن /٢٧.

[4] – سورة الروم /٣٨.

[5] – سورة القصص /٨٨.

[6] – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، ص١١٣، تحقيق: حسن السقاف، دار الإمام النووي، ط٤، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

[7] – الشريف الرضي: محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى ابن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم الموسوي الشريف الرضي الشيعي نقيب العلوية ببغداد ولد سنة ٣٥٩ وتوفي سنة ٤٠٦ هـ، له من التصانيف: أخبار قضاة بغداد، تلخيص البيان في مجازات القرآن، حقائق التنزيل في تفسير القرآن، خصائص الأئمة، الرسائل. الزيادات في شعر أبي إسحاق الصابي وشعر أبي تمام، طيف الخيال، كتاب الحسن من شعر الحسين أنتخبه من شعر ابن الحجاج، كتاب المتشابه في القرآن، مجازات الآثار النبوية. نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وغير ذلك. هدية العارفين ٦٠/٦.

رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)([1]) أي ويبقى ذات ربك، ومن الدليل على ذلك، الرفع في قوله: (**ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**)([2])، لأنه صفة للوجه الذي هو الذات، ولو كان الوجه ههنا بمعنى العضو المخصوص على ما ظنه الجهال لكان وجه الكلام أن يكون: **ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام**، فيكون ذي صفة للجملة لا صفة للوجه الذي هو التخاطيط المخصوصة، كما يقول القائل: رأيت وجه الأمير ذي الطول والإنعام، ولا يقول: ذا، لأن الطول والإنعام من صفات جملته لا من صفات وجهه، ويوضح ذلك قوله في هذه السورة: (**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**)([3])، ولما كان الاسم غير المسمى وصف سبحانه المضاف إليه، ولما كان الوجه في الآية المتقدمة هو النفس والذات، قال تعالى: (**ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**)([4])، ولم يقل **ذي الجلال والإكرام**"([5]).

ومما يؤكد صحة التأويلات السابقة أن الوجه أضيف إلى أمور لا يتصور فيها الجارحة، منها قوله تعالى: (**ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا**)([6])، وقوله تعالى: (**وَأَنْ**

---

[1] – سورة الرحمن /٢٧.
[2] – سورة الرحمن /٢٧.
[3] – سورة الرحمن/٧٨.
[4] – سورة الرحمن /٢٧.
[5] – الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن ص ١٥٨-١٥٩، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤٠٧هـ.
[6] – سورة المائدة /١٠٨.

أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)[1])، وقولـــه: **(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ)**([2])، والايات في هذا المعنى عديدة.

المطلب الثاني

الاستواء

ورد الاستواء على العرش في مواضع متعددة من كتاب الله العزيز، حيث ورد فيهـا أنه سبحانه وتعالى استوى على العرش وكلها سبقت بحرف العطف (ثم) إلا آية واحدة فـي سورة طه وهذه الآيات هي:

- **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)**([3]).
- **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)**([4]).
- **(اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)**([5]).

---

[1] – سورة يونس /١٠٥.
[2] – سورة النساء /١٢٥.
[3] – سورة الأعراف/ ٥٤.
[4] – سورة يونس /٣.
[5] – سورة الرعد /٢.

- **(الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا)([1]).**
- **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)([2]).**
- **(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)([3]).**
- **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)([4]).**

وحتى يتسنى لنا الوقوف على معنى الاستواء على العرش الوارد في الايات الكريمات لا بد لنا بداية من تعريف الاستواء لغة

فـ "الاستواء فعل لازم من قولك سويته فاستوى. وقال أبو الهيثم([5]): والعرب تقول استوى الشيء مع كذا وكذا وبكذا إلا قولهم للغلام إذا تم شبابه قد استوى، قال: ويقال استوى الماء والخشبة أي مع الخشبة, الواو بمعنى مع ههنا"([6])، "استوى يقال على وجهين, أحدهما يسند إليه فاعلان فصاعداً نحو: استوى زيدٌ وعمروٌ في كذا، أي: تساويا، والثاني أن يقال

---

[1] – سورة الفرقان /٥٩.
[2] – سورة السجدة /٤.
[3] – سورة الحديد /٤.
[4] – سورة طه /٥
[5] – أبو الهيثم : هو أبو الهيثم الرازي، يحكي عنه السكري: لا نعلم من أمره غير هذا، وله من الكتب: كتاب الأنواء نحو عشرين ورقة. كتاب مجرد اللغة. الفهرست ص ٨٦.
[6] – لسان العرب ١٤/٤١٠.

لاعتدال الشيء في ذاته نحو: **(ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى)**([1])....., ومتى عدي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء....., وقيل معناه استوى له ما في السموات وما في الأرض أي استقام الكل على مراده بتسوية الله تعالى إياه....., وقيل معناه استوى كل شيء في النسبة إليه فلا شيء أقرب إليه من شيء.......، وإذا عدي بإلى اقتضى معنى الانتهاء إليه إما بالذات أو بالتدبير"([2])، وعن يحيى بن زياد الفراء([3]) في قوله عز وجل: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**([4])، قال: "الاستواء في كلام العرب على جهتين:

إحداهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته أو أن يستوي من اعوجاج، فهذان وجهان، ووجه ثالث أن تقول: كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى عليَّ يشاتمني وإليَّ سواء، على معنى اقبل إليَّ وعليَّ فهذا معنى قوله عز وجل: **(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء)**([5])"([6]).

وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير الاستواء وتحديد معناه.

---

[1] – سورة النجم /٦.

[2] – انظر: المفردات ص٢٥١-٢٥٢. عمدة الحفاظ ٢/٢٤٠-٢٤١. وفعل الاستواء إذا عدي بحرف اللام فهو مستعار من معنى القصد والتوجه، إلى معنى تعلق الإرادة كما في قوله تعال: (ثم استوى إلى السماء) سورة البقرة /٢٩، وقد نحا صاحب الكشاف نحوا من هذا المعنى إلا أنه سلك به طريقة الكناية عن الملك، يقول: استوى فلان على العرش يريدون مُلْك. انظر: الذات الإلهية والمجازات القرآنية والنبوية ص١٨٦.

[3] – يحيى بن زياد: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي مولى بني أسد، أبو زكريا المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ولد بالكوفة وأنتقل إلى بغداد، عهد إليه المأمون بتربية ابنيه، كان مع اللغة فقيها متكلما عالما بأيام العرب وأخبارها ، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال، من مصنفاته: المقصور الممدود، والمعاني، واللغات، وغيرها كثير، توفي في طريق مكة. الأعلام ١٧٨/٩. هدية العارفين٥١٤/٦.

[4] – سورة البقرة/٢٩

[5] – سورة البقرة/٢٩

[6] – لسان العرب ٤١٤/١٤.

"فقد أخذ أهل الحديث والحنابلة بظاهر الآيات دون تأويل، فقد سئل الإمام مالك رضي الله عن الاستواء: كيف استوى؟ فاطرق رأسه مليا حتى علته الرحضاء([1])، ثم رفع رأسه فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج"([2]).

"وإلى هذا ذهب ربيعة الرأي([3])، وابن عيينة([4])، والشافعي، واحمد، وأبو سليمان الخطابي([5])، وأبو العالية، ومجاهد"([6])، وقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات"([7]).

والجمهور من السلف، والسفيانان([8])، ومالك، والأوزاعي، والليث([9])، وابن المبارك([10])، وغيرهم في أحاديث الصفات على الإيمان بها وإمرارها على ما أراد الله من

[1] – الرحضاء: كالخشتاء: العرق أثر الحمى، واعرق يغسل الجلد كثرة، وقد رحض المحموم، كعُنِيَ. والرُّحاض بالضم اسم منه، انظر: القاموس المحيط ١١٤/٢. ترتيب القاموس المحيط ٣١٥/٢.

[2] – البحر المحيط ٣٠٧/٤–٣٠٨، روح المعاني ١٣٤/٣–١٣٥، الأسماء والصفات ص ٤٠٨. أخرجه البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال: كنا عند مالك فدخل رجل..... الأثر، ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه: "والإقرار به واجب، والسؤال عنه بدعة". انظر: فتح الباري٤٠٧/١٣.

[3] – ربيعة الرأي: هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واسمه أبي عبد الرحمن فروخ من موالي (آل) المنكدر التيميين، يكنى أبا عثمان كان بليغا خطيبا، توفي سنة ١٣٦هـ بالأنبار في مدينة الهاشمية التي بناها أبو العباس . انظر: سير أعلام النبلاء ٨٩/٦–٩٦. وفيات الأعيان ٢٨٩/٢–٢٩٠. الفهرست ص ٢٥٦.

[4] – ابن عيينة: هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي المحدث ولد سنة ١٠٧هـ وتوفي سنة ١٩٨هـ، له: أجزاء في الحديث، تفسير القرآن . وفيات الأعيان ٣٩١/٢–٣٩٣, هدية العارفين ٣٨٧/٥.

[5] – الخطابي: هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان، ولد سنة ٣١٩هـ، فقيه محدث من أهل بست(من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) له: معالم السنن في شرح سنن أبي داوود، بيان إعجاز القرآن، إصلاح غلط المحدثين، غريب الحديث، شرح البخاري، وغيرها، توفي في بست سنة ٣٨١هـ. الأعلام ٣٠٤/٢.

[6] – البيهقي، الأسماء والصفات ص ٤٠٨–٤١٠، هامش الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص٢٤٠.

[7] – الملل والنحل ٩٣/١. وانظر: هامش الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص ٢٤١.

[8] – وهما الثوري وابن عيينة

[9] – الليث: هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحرث الفهمي الحنفي إمام أهل مصر في الفقه والحديث، ولد سنة ٩٢هـ وتوفي بمصر سنة ١٧٥هـ، من تصانيفه: كتاب التاريخ، كتاب المسائل في الفقه. هدية العارفين ٨٤٢/٥.

[10] – ابن المبارك: هو عبد الله بن المبارك يكنى أبا عبد الرحمن، توفي بهيت منصرفا من الغزو سنة ١٨١هـ، له: كتاب السنن في الفقه، كتاب التفسير، كتاب الزهد، كتاب التاريخ، كتاب البر والصلة. الفهرست ص٢٨٤.

غير تعيين مراده([1]) " وما ورد عن الإمام مالك ليس حجة خاصة إذا ما علمنا احتمال أن يكون المراد من قوله: غير مجهول أنه ثابت معلوم الثبوت لا أن معناه وهو الاستقرار غير مجهول، ومن قوله: والكيف غير معقول أن كل ما هو من صفة الله تعالى لا يدرك العقل له كيفية لتعاليه عن ذلك فكفُّ الكفِّ عنه مشلولة، ونقل عنه أنه قال استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع"([2])، وورد عن سفيان بن عيينة انه قال: " كل ما وصف الله تعالى نفسه من كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه"([3])، وهذا هو التفويض بعينه.

وقال ابن الأعرابي([4]): (لا نعرف استوى بمعنى استولى([5]) ونقل عن أبي الحسن الأشعري أنه قال: " استوى أمره وقال :إن الله فعل فعلاً سماه استواء" ([6]) وبمثله قال سفيان الثوري([7])([8]).

---

[1] – روح المعاني ٥/١٣٥-١٣٦، البحر المحيط ٣٠٧-٣٠٨، المحرر الوجيز ٢/٤٠٨.

[2] – روح المعاني ٣/١٣٤-١٣٥.

[3] – الأسماء والصفات ٤٠٩.

[4] – ابن الأعرابي: هو أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي البغدادي المعروف بابن الأعرابي أبو عبد الله اللغوي، قال أبو العباس ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مائة أنسان، وكان يسال ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ، قال أبو العباس: قد أملى على الناس ما يحمل على الجمال، لم يُر في علم الشعر أحد أغزر منه، قال عن نفسه: ولدت في الليلة التي مات فيها أبو حنيفة، ، مات سنة ٢٣١هـ وقد جاوز الثمانين من عمره، له من المصنفات: تاريخ القبائل، كتاب الألفاظ، كتاب كرامات الأولياء، كتاب معاني الشعر، كتاب الأنواء، كتاب نسب الخيل. وفيات الأعيان ٧/٦٦-٧١. الفهرست ص ٢٨٤. هدية العارفين ٦/١٢.

[5] – قلت وهذه مجازفة من ابن الأعرابي رحمه الله تعالى، فقد جاء في لسان العرب: أن من معاني الاستواء الاستيلاء. انظر: لسان العرب ١٤/٤١٤

[6] – البيهقي، الأسماء والصفات ص٤١٠.

[7] – سفيان الثوري: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع ابن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طانجة بن إلياس بن حضر بن نزار بن معد بن عدنان الثوري الكوفي، كان إماما في الحديث وغيره من العلوم، اجمع الناس على دينه وورعه وزهده، وهو أحد الأئمة المجتهدين، مولده سنة ٥ أو ٦ أو ٩٧هـ، توفي بالبصرة أول سنة ١٦١هـ، ودفن عشاء ولم يعقب. وفيات الأعيان ٢/٣٨٦-٣٩٠.

[8] – روح المعاني ٥/١٣٥.

و"العرش في كلام العرب لفظ مشترك يطلق على السرير وعلى الملك، فإن أطلق على السرير ففيه تأويلان: أحدهما حمل الاستواء على الغلبة والقهر، والثاني حمل الاستواء على قصد الإله الرائد في العرش، وإذا حمل على الملك فيكون بمعنى الاستيلاء"([1]).

و"ورد عن بعض المعتزلة أن الاستواء بمعنى الاستيلاء والغلبة، وذلك مشهور في اللغة"([2]).

قال الآلوسي: "وقال عامة المعتزلة: الاستواء بمعنى الاستيلاء والغلبة، استوى على العرش استولى عليه"([3]).

وقال أبو المعالي وغيره من حذاق المتكلمين: "أنه الملك والسلطان"([4])، وحكي عن الأستاذ أبي بكر بن فورك([5]) أنه قال: " استوى بمعنى علا، ثم قال: ولا يريد بذلك علواً بالمسافة والتحيز والكون في مكان متمكنا فيه, ولكن يريد معنى قول الله: (**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**)([6])، أي من فوقها على معنى نفي الحد عنه وأنه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به قطر، ووصف الله سبحانه وتعالى بذلك طريقه الخبر، فلا نتعدى ما ورد به الخبر"([7]).

---

[1] – لباب العقول ص ١٧٦–١٧٧، البيهقي، هامش الأسماء والصفات ص ٤٠٦ نسبه للإمام الجويني في الإرشاد، وللاستزادة انظر: عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة ص٢٢٧، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د– عبد الكريم عثمان، ط١، مكتبة وهبة، مصر، ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م حيث قال العرش الملك.

2 – شرح الاصول الخمسة ص٢٢٦.

[3] – روح المعاني ١٣٥/٥. وانظر للاستزادة: هامش الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص٢٣٩– ٢٤٠.

[4] – المحرر الوجيز ٤٠٨/٢، تفسير أبو السعود ٢٣٢/١.

[5] – ابن فورك: هو محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني أبو بكر الأنصاري الشافعي عالم نيسابور كان أصوليا أشعريا واعظا، توفي سنة ٤٠٦هـ، له من المصنفات: تفسير القرآن، دقائق الأسرار، شرح أوائل الأدلة للكعبي في الأصول، طبقات المتكلمين، مشكل الآثار. هدية العارفين ٦٠/٦.

[6] – سورة الملك /١٦.

[7] – البيهقي، الأسماء والصفات ص٤١١. روح المعاني ١٣٦/٥.

وقد تكلم الإمام البقاعي عن الاستواء في تفسيره للآيات التي ورد فيها قوله تعالى: **(اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)** وسلك فيها مسلك التأويل، شانه في ذلك شأن جمهور الخلف.

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)**([1])، فسر الاستواء على العرش الوارد في الآية الكريمة بمعنى تدبير أمور المملكة الإلهية، فقال: "ولما أوجد سبحانه هذا الخلق الكثير المتباعد الأقطار الواسع الانتشار المفتقر إلى عظيم التدبير ولطيف التصريف والتقدير، عبر سبحانه عن عمله فيه عمل الملوك في ممالكهم بقوله مشيرا إلى عظمته بأداة التراخي: **(ثُمَّ اسْتَوَى)** أي عمل في تدبيره وإتقان ما فيه وإحكامه عمل المعتني بذلك، **(عَلَى الْعَرْشِ)** المتقدم وصفه بالعظمة, وليست "ثم" للترتيب بل كناية عن علو الرتبة وبعد منالها؛ ثم بيَّن ذلك الاستواء بقوله: **(يُدَبِّرُ)** لأن التدبير أعدل أحوال الملك. فالاستواء كناية عنه **(الأَمْرَ)** كله فلا يخفى عليه عاقبة أمر من الأمور, فحصل الأمن بهذا من أن يفعل شيء بغير علمه, لأن التدبير تنزيل الأمور في مراتبها على إحكام عواقبها, وهو مع ذلك منزه عما تعرفونه من أحوال الملوك من أنه يكون في ممالكهم من يقضي بعض الأمور بغير إذن منهم وإن علموا به لعجزهم عن المجاهرة بإدامة دفعه"([2]).

---

[1] – سورة يونس /٣.
[2] – نظم الدرر ٤١٥/٣.

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)**([1])، قال الإمام البقاعي: "ولما كان تدبير هذا الخلق أمراً باهراً لا تسعه العقول , ولهذا كانت قريش تقول: كيف يسع الخلق إله واحد! أشار إلى عظمته وعلو رتبته بأداة البعد فقال: **(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)** أي أخذ في التدبير لما أوجده وأحدث خلقه أخذاً مستوفى مستقصى مستقلاً به لأن هذا شأن من يملك ملكاً ويأخذ في تدبيره وإظهار أنه لا منازع له في شيء منه وليكون خطاب الناس على ما ألفوه من ملوكهم لتستقر في عقولهم عظمته سبحانه, وركز في فطرهم الأولى من نفي التشبيه منه, ويقال: فلان جلس على سرير الملك, وإن لم يكن هناك سرير ولا جلوس, وكما يقال في ضد ذلك: فلان ثُلَّ عرشه, أي ذهب عزه وانتقض ملكه وفسد أمره, فيكون هذا كناية لا يلتفت فيه إلى أجزاء التركيب, والألفاظ على ظواهرها كقولهم للطويل: طويل النجاد, وللكريم: عظيم الرماد.

ولما كان سبحانه لا يشغله شأن عن شأن, ابتدأ من التدبير بما هو آية ذلك بمشاهدته في تغطية الأرض بظلامه في آن واحد, فقال دالاً على كمال قدرته: ألمراد بالاستواء بأمر يشاهد كل يوم على كثرة منافعه التي جعل سبحانه بها انتظام الوجود...."([2]).

---

[1] – سورة الأعراف /٥٤.
[2] – نظم الدرر ٤١/٣.

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)**(١)، قال الإمام البقاعي: "ولما كان تدبير هذا وحفظه وتعهد مصالحه والقيام بأمره أمراً – بعد أمر إيجاده– باهراً, أشار إلى عظمته بأداة التراخي والتعبير بالافتعال، فقال: **(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)** أي استواءً لم يعهدوا مثله وهو أنه أخذ في تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه, لا شريك له ولا نائب عنه ولا وزير, كما تعهدون من ملوك الدنيا إذا اتسعت ممالكهم, وتباعدت أطرافها, وتناءت أقطارها, وهو معنى قوله تعالى استئنافاً جواباً لمن كأنه قال: العرش بعيد عنا جداً فمن استنابه في أمرنا, ولذلك لفت الكلام إلى الخطاب لأنه أقعد في التنبيه......، ولما نفى أن يكون له شريك أو وزير في الخلق, ذكر كيف يفعل في هذا الملك العظيم الذي أبدعه في ستة أيام من عالم الأرواح والأمر, فقال مستأنفاً مفسراً للمراد بالاستواء: **(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)**(٢) أي كل أمر هذا العالم بأن يفعل في ذلك فعل الناظر في أدباره لإتقان خواتمه ولوازمه, كما نظر في إقباله لإحكام فواتحه وعوازمه, لا يكل شيئاً منه إلى شيء من خلقه.

قال الإمام البقاعي: "قال الرازي في اللوامع(٣):وهذا دليل على أن استواءه على العرش بمعنى إظهار القدرة والعرش مظهر التدبير لا قعر المدبر.

---

[1] – سورة السجدة /٤.
[2] – سورة السجدة /٥.
[3] – أي لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، وهو كتاب شرح أسماء الله الحسنى.

ولما كان المقصود للعرب إنما هو تدبير ما تمكن مشاهدتهم له من العالم قال مفـرداً: **(مِنَ السَّمَاء)** أي فينزل ذلك الأمر الذي أتقنه كما يتقن من ينظر في أدبار ما يعلمه **(إِلَى الْأَرْضِ)** غير متعرض إلى ما فوق ذلك, على أن السماء تشمل كل عال فيدخل جميع العالم"([1]).

وكان قوله في كل الآيات التي وردت بلفظ **(اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)** هو نفس كلامه في هذه الآيات حيث فسر الاستواء بالتدبير، وجملة ما قاله: أنه استواء لم يعهدوا مثله وهو أنه أخذ في تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه لا شريك له ولا نائب عنه ولا وزير، وأخذ وشرع في التدبير لما أوجده، وأحدث خلقه أخذا مستوفى مستقصى مستقلا به؛ لأن هذا شأن من يملك ملكا ويأخذ في تدبيره فخاطب الناس بما ألفوه من ملوكهم لتستقر عظمة الله في عقولهم كما هو شأن الملوك إذا استووا على عروشهم وإن لم يكن هناك جلوس أصلا مع أن الجلوس من صفات المحدثات، وصفات المحدثات لا تليق بالله العظيم، لأنه ينبني على تفسير الاستواء بالجلوس عدة استحالات هي: "هل أنه قبل خلق السموات والأرض لم يكن جالساً على العرش, ثم أين كان جالساً, ثم إذا لم يكن جالساً فما الداعي لجلوسه على العرش بعد خلقها, وما هي العلاقة بين الخلق لهما والجلوس فهل كان لا يستطيع خلقها إلا وهو غير جالس وهل كان العرش قبل الخلق مشغولاً بغيره أم غير مشغول, وإذا كان خالياً فهل كان الله مستغنياً عنه وإذا كان مستغنياً فما الذي أوجب احتياجه إليه ولماذا لم يكن الجلوس قبل الخلق, ثم إن الجلوس بعد عدمه دليل على الحركة بعد السكون وهما حادثان والله لا يتصف بهما, ثم لو كان

[1] – نظم الدرر ٤٧/٦. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٤١/٣-٤٢، ١٢١/٤-١٢٢، ٩/٥-١٠، ٣٣٢، ٤٦/٦، ٤٣٦/٧.

الجلوس صفة لله لكان قديماً وهذا يستلزم إما قدم العرش وهذا محال وإما حدوث الجلوس وحدوث الذات الإلهية وهذا محال"([1]).

قال الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: **(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)**([2]): "فاعلم أنه لا يمكن أن يكون المراد منه كونه مستقرا على العرش، ويدل على فساده وجوه عقلية ووجوه نقلية، أما العقلية فأمور: أولها أنه لو كان مستقراً على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهيا وإلا لزم كون العرش داخلا في ذاته وهو محال، وكل ما كان متناهيا فإن العقل يقضي بأنه لا يمنع أن يصير أزيد منه أو أنقص منه بذرة، والعلم بهذا الجواز ضروري، فلو كان الباري تعالى متناهيا من بعض الجوانب لكانت ذاته قابلة للزيادة والنقصان، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بذلك المقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر, وكل ما كان كذلك فهو محدث، فثبت أنه تعالى لو كان على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهياً ولو كان كذلك لكان محدثاً وهذا محال فكونه على العرش يجب أن يكون محالاً، وثانيها لو كان في مكان وجهة لكان إما أن يكون غير متناه من كل الجهات وإما أن يكون متناهياً في كل الجهات وأما أن يكون متناهياً من بعض الجهات دون البعض والكل باطل فالقول بكونه في المكان والحيز باطل قطعاً"([3]).

" ولو أن المراد بالاستواء الاستقرار والملاصقة, لأدى إلى تغير الرب وانتقاله من حال إلى حال, وهذا محال في حق القديم، فان كل متغير لا بد له من مغير, ولأن العرش مخلوق محدود, فلو كان الرب عز وجل مستقرا عليه لكان لا يخلو إما أن يكون أكبر أو أصغر منه أو مثله, فلو كان أكبر منه يكون متبعضاً بعضه خالٍ من العرش والبعض صفة

---

[1] – عبد الرحمن خليفة، المشبهة والمجسمة ويليه شرح معنى الاستواء المطابق للبلاغة والتوحيد بقلم حامد عبد الرحمن ص٨٠-٨٢، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[2] – سورة الأعراف /٥٤.

[3] – التفسير الكبير ٥/٢٥٨.

الأجسام المؤلفة، وإن كان أصغر منه فيكون العرش مع كونه أكبر منه، وذلك نقص وإن كان مثله يكون محدودا كالعرش فإن كان العرش مربعا يكون الرب مربعاً وإن كان مخمساً فيكون الرب مخمساً, وما هو محدود له شبه وله مثل ولا يكون قديماً ولا مكان, ثم خلق المكان وهو الآن على ما عليه كان"([1]).

"وقد أجمع المسلمون على أن الله تعالى لا يحل في مكان ولا يحويه مكان ولا يسكن السماء ولا يسكن العرش لأن الله موجود قبل العرش وقبل السماء وقبل المكان"([2])، وقال الإمام جعفر الصادق([3]): "من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به، إذ لو كان على شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا"([4]).

هذا وقد دلت الآيات التي حملت لفظ (الاستواء) – مع مراعاة البلاغة وقواعد اللغة- على أن الاستواء ليس هو الاستقرار حيث عطف ما بعد (**ثُمَّ**) على كلمة (**خَلَقَ**) والخلق فعل حادث وما عطف عليه حادث والحادث لا يكون صفة للذات القديمة، ثم إن التدبير لا يكون إلا بعد الخلق وهذا ما يفهم من لفظ (**اسْتَوَى**) حيث أن الاستواء يكون متأخرا عن

---

[1] – الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص٢٣٥-٢٣٦، الاقتصاد ص٣٨-٤٢، المشبهة والمجسمة ص٩٠.

[2] – من العلماء الذين نقلوا الإجماع: ١- عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي المتوفى سنه ٤٢٩هـ. ٢- إمام الحرمين الجويني الشافعي المتوفى سنة ٤٧٨هـ. ٣- فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ.٤- الشيخ إسماعيل الشيباني الحنفي المتوفى سنة ٦٢٩هـ.٥- سيف الدين الآمدي المتوفى سنة ٦٣١هـ. ٦- ابن جهبل الحلبي الشافعي المتوفى سنة٧٣٣هـ. ٧-تاج الدين السبكي الشافعي الأشعري المتوفى سنة ٧٧١هـ. ٨- الشيخ فخر الدين بن عساكر معاصر لتاج الدين السبكي. ٩- الحافظ المحدث صلاح الدين العلائي المتوفى سنة ٧٦١هـ. ١٠- محمد ميارة المالكي المتوفى سنة ١٠٧٢هـ. ١١- شيخ الجامع الأزهر سليم البشري المتوفى سنة ١٣٣٥هـ. ١٢- الشيخ يوسف الدجوي المصري المتوفى سنة ١٣٦٥هـ. ١٣- الشيخ سلامة القضاعي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ. ١٤- المحدث الشيخ محمد عربي التبان المالكي المتوفى سنة ١٣٩٠هـ. انظر: غاية البيان ص٢٣-٢٦.

[3] – جعفر الصادق: هو جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبي صلى الله عليه وسلم وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسين علي بن أبي طالب بن عبد مناف، الإمام الصادق، شيخ بني هاشم، أحد الأعلام، ولد سنة ٨٠هـ، ورأى بعض الصحابة، مات سنة ١٤٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٥-٢٦٩.

[4] – أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف ص١٩، تحقيق: أحمد عناية- د. محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

الخلق، وهذا كناية عن تدبير شؤون المملكة الإلهية، ثم في قوله: **(ألاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ)** فإن الخلق يشير إلى خلق السماوات والأرض، والأمر يشير إلى الاستواء على العرش، وهذا كما في قوله تعالى: (**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ**)([1])، فذكر التدبير بعد الاستواء هو كالتفسير له، فيكون الاستواء هو تدبير شؤون المملكة الإلهية.

المطلب الثالث

العلو

العلو لغة: قال الأصفهاني: "علا: والعلو ضد السفل، والعلوي والسفلي المنسوبٌ إليهما، والعلوُ الارتفاع وقد عَلا يَعلو عُلواً وهو عالٍ, وعلى يَعلى علا فهو عليٌّ، فعلا بالفتح في الأمكنة والأجسام أكثر. قال: (**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ**)([2])، وقيل أنَّ علا يقال في المحمود والمذموم، وعليَ لا يقال إلا في المحمود......، والعليُّ هو الرفيع القدر من عليَ، وإذا وصف الله تعالى به في قوله: (**وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**)([3]) -(**إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**)([4]) فمعناه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين......، والأعلى الأشرف ومنه قال: (**أَنَا رَبُّكُمُ**

[1] – سورة يونس /٣.
[2] – سورة الإنسان /٢١.
[3] – سورة الحج /٦٢.
[4] – سورة النساء /٣٤.

الْأَعْلَى)([1])، والاستعلاء قد يكون طلب العلو المذموم وقد يكون طلب العلاء أي الرفعة.....، وأما قوله: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)([2])، فمعناه أعلى من أن يقاس به أو يعتبر بغيره"([3]).

وقد تعرض الإمام البقاعي وفي أكثر من موضع من تفسيره إلى توضيح معنى العلو المضاف لله تعالى حيث وردت آيات كثيرة وبألفاظ مختلفة تصف الباري جل شانه بالعلو، فذهب مذهب التأويل في تفسيره لتلك الآيات، وله فيها تأويل، وتوضيحه فيما يلي.

قال الإمام البقاعي في تفسير قوله تعالى (إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)([4]): "(عَلِيٌّ) أي بالغ العلو حدا مما لا يليق به من الأوصاف وبما يكون للخلق عن جنابه من السفول بما عليهم من الحجب فلا يلبس شيء مما يعبر به تقريبا للعقول فيحمل على ما يوهم نقصا، فإن المجازات في لسان العرب شهيرة"([5]).

وقال: "أي الذي له وصف الأعلوية في المكانة لا المكان فنزهه على الإطلاق عن كل شائبة نقص، وكل سوء من الإلحاد في شيء من أسمائه بالتأويلات الزائفة وإطلاقه على غيره مع زعم أنهما فيه سواء"([6]).

---

[1] – سورة النازعات /٢٤.
[2] – سورة الأعلى /١.
[3] – المفردات ص ٣٤٦. عمدة الحفاظ ١٦٦/٣.
[4] – سورة الشورى /٥١.
[5] – نظم الدرر ٦٥١/٦.
[6] – نظم الدرر ٣٩٤/٨.

وفي تفسير قوله تعالى (**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**)([1])، قال: " ولما كـان العلـو مـستلزما للقدرة قال: "(**وَهُوَ الْعَلِيُّ**) أي على العرش الذي السماوات فيه, علو رتبة وعظمة ومكانة لا مكان وملابسة فاستلزم ذلك أن تكون له السماوات كلها والأرض كلها مع ما فيها"([2]).

وقال: "(**وَهُوَ الْعَلِيُّ**) أي فلا رتبة إلا دون رتبته سبحانه وتعالى"([3]).

وقال: "(**الْمُتَعَالِ**) أي الذي لا يدنو – من أوج علوه في ذات أو صفة أو فعل– عـال وأخرجه مخرج التفاعل ليكون أدل على المعنى وأبلغ فيه؛ وقال أبو الحسن الحرالي رحمـه الله: والتعالي: فوت التناول والمنال بحكم أو حجة، وأشعر التفاعل بما يجـري مـن تـوهم المحتجين في أمره بأوهام حجج داحـضة (**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**)([4])، فهو تعالى يأذن في الاحتجاج والجدال ثم يتعالى بما له من الحجة البالغة (**قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**)([5])، فهو المتعالي علما وحجة، وحقيقة المتعالي الذي لا يتعالى إلا هو"([6]).

---

[1] – سورة الشورى /٤.
[2] – نظم الدرر ٥٩٨/٦.
[3] – نظم الدرر ٦٧٨/٦.
[4] – سورة الشورى /١٦.
[5] – سورة الأنعام /١٤٩.
[6] – نظم الدرر ١٢٩/٤–١٣٠. وللاستزادة انظر: نظـم الـدرر ٤/ ٣٨٤، ٥١٢/٥–٥١٣، ١٧٦/٦، ٤٧٠، ١٨٣/٨.

هذه خلاصة أقوال الإمام البقاعي في الآيات التي تصف المولى سبحانه وتعالى بالأعلى والعلي والمتعال والتعالي، فغالبها تذهب إلى انه علو مكانة ورتبة وعظمة لا علو مكان وملامسة.

وما ذهب إليه الإمام البقاعي من تفسير الآيات التي تنص على العلو، بعلو المكانة لا بعلو المكان وهو عين كلام الأئمة الذين فسروا (**الْأَعْلَى**): " بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان"([1])، وقيل: " الأعلى صفة للرب وهو الأظهر أو للاسم"([2]).

وقيل " العلي للعلو المجازي وهو الكمال التام الدائم والعلو في الرتبة العقلية مثل العلو في التدريجات الحسية، قاله الغزالي"([3]).

وعند تفسيره لقوله تعالى: (**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**)([4])، قال الإمام البقاعي: "(**أَأَمِنتُم**) أي أيها المكذبون، وخاطبهم بما كانوا يعتقدون مع أنه إذا حمل على الرتبة وأول السماء بالعلو أو جعل كناية عن التصريف؛ لأن العادة جرت غالباً أن من كان في شيء كان متصرفاً فيه صح من غير تأويل، فقال: (**مَّن فِي السَّمَاء**) أي على زعمكم العالية قاهرة لكم, أو المعنى: من الملائكة الغلاظ الشداد الذي صرفهم في مصالح العباد, أو المعنى: في غاية العلو رتبة، أو أن ذلك إشارة إلى أن (**فِي السَّمَاء**) أعظم أمره لأنها ترفع

---

[1] – مدارك التنزيل ٣٤٨/٤، تفسير الكشاف ٢٢٥/٦.
[2] – تفسير الكشاف ٢٢٥/٦، فتح القدير ٥٩٧/٥. وللاستزادة انظر: تفسير الطبري ٥٤٢/١٢-٥٤٣، معالم التنزيل ٤٧٥/٤، فتح القدير ٤٢٢/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٠-١٤.
[3] – مدارك التنزيل ٣٤٨/٤.
[4] – سورة الملك /١٦.

إليها أعمال عباده وهي مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس والسلطان والكبرياء وجهة العرش ومعدن المطهرين والمقربين من الملائكة الذين أقامهم الله في تصريف أوامره ونواهيه، والذي دعا إلى مثل هذا التأويل السائغ ألماشي على لسان العرب قيام الدليل القطعي على أنه سبحانه ليس بمتحيز في جهة لأنه محيط فلا يحاط به، لأن ذلك لا يكون إلا لمحتاج"([١]).

وقد ذكر العلماء في تأويلها عدة أقوال أوردها الإمام القرطبي في تفسيره منها ما نقله "عن ابن عباس: ءأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه، وقيل: من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه، وقيل: الملائكة، وقيل: جبريل، أو خالق من في السماء، وقيل فوق السماء لا بالمماسة لكن بالقهر والتدبير، وقيل: بمعنى مدبرها ومالكها، لقوله تعالى: **(وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)**([٢])، أي على جذوع النخل"([٣]).

وقال الشوكاني: " قال الواحدي([٤]): عقوبة من في السماء، وقيل: قدرته, وسلطانه, وعرشه, وملائكته، وقيل: الملائكة, وقيل: جبريل"([٥]).

وقال الآلوسي: "**(مَّن فِي السَّمَاءِ)** أمره وقضاؤه، وقيل: **(فِي)** بمعنى على: يراد به القهر والعلو والقدرة، وقال: هذا مبني على زعم العرب, أي من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان، وقيل: الملائكة وقيل: جبريل"([٦]).

---

[1] – نظم الدرر ٧٧/٨.
[2] – سورة طه /٧١.
[3] – الجامع لأحكام القرآن ٢١٥/١٨.
[4] – الواحدي: هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متُّوية، أبو الحسن الواحدي، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل، كان من أولاد التجار، أصله من ساوة (بين الري وهمذان)، توفي في نيسابور سنة ٤٦٨هـ، له: البسيط، الوسيط، الوجيز، كلها في التفسير، أسباب النزول. انظر: الأعلام ٥٩/٥-٦٠.
[5] – فتح القدير ٢٦٢/٥، تفسير أبو السعود ٧/٩.
[6] – روح المعاني ١٨/١٠، تفسير أبو السعود ٧/٩.

وقال ابن فورك: "إنه فوق السماء لا معنى فوقية المتمكن في المكان لأن ذلك صفة الجسم المحدود المحدث، ولكن بمعنى ما وصف به أنه فوق من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة"([1])، "واستعمال العلو ومشتقاته في اللغة العربية بمعنى علو الشأن في غاية من الشهرة وهي من صفات التنزيه لله تعالى"([2])، "وهذا لأن العرب إذا أرادت أن تعظم شيئا وصفته بالعلو فتقول: فلان في السماء فيكون معنى الآية ءأمنتم من العظيم الجليل صاحب الرفعة والربوبية والبطش، أو يكون المراد جبريل أو أي ملك يرسله الله ليخسف أي قرية أو أي موضع من الأرض"([3]).

وفي تفسير الإمام البقاعي لقوله تعالى: (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**)([4]).

قال الإمام البقاعي:" ولما كان القادر يوصف بالعلو, والعاجز يوصف بالسفول والدنو, وكان ما يصعد فيه إلى العالي يسمى درجا، وما يهبط فيه إلى السافل يسمى دركا، وكانت الأماكن كلها بالنسبة إليه سبحانه على حد سواء, اختير التعبير بما يدل على العلو الذي يكنى به عن القدرة والعظمة, فقال واصفاً بما يصلح كونه مشيراً إلى التعليل: (**مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**)([5])...، (**إِلَيْهِ**) أي محل مناجاته ومنتهى ما يمكن من العلو لمخلوقاته"([6]).

---

[1] – أبو بكر بن فورك، مشكل الحديث وبيانه ص٣٩٢، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. دفع شبه التشبيه ص٦٥.

[2] – أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الكبير، السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم بقلم محمد زاهد بن الحسن الكوثري ص ٩٩-١٠٠، تقديم لجنة علماء الأزهر، مكتبة زهران، خلف الجامع الأزهر.

[3] – دفع شبه التشبيه ص ١٣٢-١٣٣.

[4] – سورة المعارج /٤.

[5] – سورة المعارج /٤.

[6] – نظم الدرر ١٤٥/٨.

وفي قوله تعالى: **(إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)**([1])، قال الإمام البقاعي: "ثم زاد سبحانه وتعالى في بشارته بالرفعة إلى محل كرامته وموطن ملائكته ومعدن النزاهة عن الأدناس، فقال: (**وَرَافِعُكَ**) وزاد إعظام ذلك بقوله: **(إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ**)"([2]).

وفي قوله تعالى: **(مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ)**([3])، قال الإمام البقاعي: "(**إِلَيْهِ**) أي لا إلى غيره (**يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**) أي الجاري على قوانين الشرع عن نية حسنه وعقيدة صحيحة سواء كان سراً أو علناً لأنه عين الحكمة, فيعز صاحبه ويثيبه.

ولما أعلى رتبة القول الحكيم, بين أن الفعل أعلى منه لأنه المقصود بالذات, والقول وسيلة إليه، فقال دالاً على علوه بتغيير السياق: **(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**) هو سبحانه يتولى رفعه ولصاحبه عنده عز منيع ونعيم مقيم وعمله يفوز"([4]).

---

[1] – سورة آل عمران /٥٥.
[2] – نظم الدرر ٩٨/٢.
[3] – سورة فاطر /١٠.
[4] – نظم الدرر ٢٠٨/٦

وما ذهب إليه الإمام البقاعي في تفسير الآيات السابقة بما يتناسب وتنزيه الله تعالى عن المكان هو عين أقوال المفسرين للآيات السابقة.

قال البيضاوي: "العروج استئناف لبيان ارتفاع المعارج، وبعد مداها عن التمثيل والتخييل، وقيل العروج إلى عرشه"([1]).

وقيل: "(**إِلَيْهِ)** أي إلى المكان الذي أمرهم الله تعالى أن يعرجوا إليه، وهذا كقول إبراهيم عليه السلام: **(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ)**([2]) أراد ارض الشام"([3]).

وقال الطبري: "إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه، ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح وهو العمل بطاعته وأداء فرائضه والانتهاء إلى ما أمر به، وبنحو هذا قال أهل التأويل"([4]).

وقال القرطبي: "**(إِلَيْهِ يَصْعَدُ)** يجوز أن تكون والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون الكلام متصلا والصعود هو الحركة إلى فوق وهو العروج أيضا، وضرب الصعود مثلا للقبول؛ لان موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل"([5]).

وقال الشوكاني: "إلى الله لا إلى غيره , ومعنى صعوده إليه قبوله له أو صعودا لملائكته أي بما يكتبون من الصحف"([6]).

---

1 – تفسير البيضاوي ص٧٥٨.
2 – سورة الصافات /٩٩.
3 – دفع شبه التشبيه ١٣٢.
4 – تفسير الطبري ٣٩٨/١٠.
5 – الجامع لأحكام القرآن ٣٢٩/١٤ . وللاستزادة انظر: فتح القدير ٣٤١/٤
6 – فتح القدير ٣٤١/٤

"وأما صعود العمل إليه فهو صعود الملائكة التي تكتب الأعمال بعد استبدالها بملائكة غيرها، ويتم عرض الأعمال على المولى في كل خميس واثنين"([1]).

وأما قوله تعالى: **(وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)**، قال القرطبي: " قال الحسن وابن جريج: ورافعك إلى السماء من غير موت وعن ابن عباس: رفعه من روزنة كانت في البيت إلى السماء"([2]).

وقال البيضاوي: "**(وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)** إلى سمائي ومحل كرامتي ومقر ملائكتي"([3])، "أو رافعك إلى السماء الثانية"([4])، " وهو عبارة عن نقل من سفل إلى علو وإضافة الله سبحانه إضافة تشريف وإلا فمعلوم انه سبحانه غير متحيز في جهة"([5]).

وعن الفوقية الواردة في قوله تعالى: **(يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**([6])، وقوله تعالى: **(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ)**([7])، قال الإمام البقاعي: "**(مِّن فَوْقِهِمْ)** إشارة إلى علو الخوف عليهم وغلبته لهم, أو حال كون ربهم مع إحسانه إليهم له العلو والجبروت, فهو المخوف المرهوب"([8]).

---

[1] – الترابط الجذري ص ١٥٩.
[2] – الجامع لأحكام القرآن ٣/١٠٠-١٠١.
[3] – تفسير البيضاوي ١/٧٥
[4] – دفع شبه التشبيه ٢/٤٤.
[5] – الثعالبي، تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن ١/٢٧٢، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت. وللاستزادة انظر: مدارك التنزيل ١/١٦٠، روح المعاني ١/١٨٢، تفسير الكشاف ١/١٧٧، أبو السعود ٢/٤٤.
[6] – سورة النحل /٥٠.
[7] – سورة الأنعام /٦١.
[8] – نظم الدرر ٤/٢٧٥.

وقال: "(**فَوْقَ عِبَادِهِ**) أي الإحاطة بالعلم والفعل أما قهره للعدم فبالتكوين والإيجاد , وأما قهره للوجود فبالإفناء والإفساد بنقل الممكن من العدم إلى الوجود ومن الوجود إلى العدم أخرى, فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور، والنهار بالليل والليل بالنهار، إلى غير ذلك من ضروب الكائنات وصروف الممكنات"([1]).

وفي قوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)**([2])، قال: "(**وَهُوَ الَّذِي**) هو (**فِي السَّمَاء إِلَهٌ**) أي معبود لا يشرك به شيء (**وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ**) توجه الرغبات إليه في جميع الأحوال، ويخلص له في جميع أوقات الاضطرار فقد وقع الإجماع من جميع من في السماء والأرض على إلهيته فثبت استحقاقه لهذه الرتبة وثبت اختصاصه باستحقاقها في الشدائد فباقي الأوقات كذلك من غير فرق لأنه لا مشارك له في مثل هذا الاستحقاق فعبادة غيره باطلة"([3]).

من هذا نخلص إلى أن الإمام البقاعي ذهب مذهب التأويل في تفسيره للآيات التي اشتملت على وصفه تعالى بالعلو، وأنه فسر العلو بعلو الرتبة والمكانة والعظمة لا علو المكان والملامسة؛ لان التحيز والحلول من صفات الأجسام، والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وقد أول الآيات التي توهم أن الله سبحانه وتعالى يحل في مكان بتأويلات تتفق مع المسلمات العقدية القائمة على تنزيه الله تعالى عن الجسمية وكذا تتفق مع قواعد اللغة العربية، والقول ما قال الإمام البقاعي أخذا بمنهج التنزيه لله سبحانه وتعالى وبعدا عما قاله المجسمون والمشبهون

---

[1] – نظم الدرر ٦٤٨/٢.
[2] – سورة الزخرف /٨٤.
[3] – نظم الدرر ٥٧/٧.

من قيامه بذاته في تلك المواقع (**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**)([1])، وخاصة إذا عرفنا أن "لفظة فوق في كلام العرب تستعمل في أكثر من معنى، فتستعمل بمعنى الحيز العالي وتستعمل بمعنى القدرة، وبمعنى الرتبة العلية"([2]).

فالله تعالى منزه عن المكان لأن المكان مخلوق والله خالق المكان، قال الإمام جعفر الصادق: "من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولا، ولو كان في شيء لكان محصورا، ولو كان من شيء لكان محدثا"([3])، والمعلوم أن الفوقية الحاصلة بسبب الجهة ليست صفة مدح، لان تلك الفوقية حاصلة للجهة والحيز بعينها وذاتها، وحاصلة لمتمكن ذلك الحيز بسبب الحيز، ولو كانت الفوقية بالجهة صفة مدح لزم أن تكون الجهة أفضل وأكمل من الله، ولذلك فان الفوقية التي هي فوقية مدح هي التي بمعنى القهر والقدرة والاستعلاء فوجب حمل الآيات على ذلك.

المطلب الرابع

اليد

إن المتتبع لآيات الكتاب الكريم يجد أن لفظة اليد وردت في اثنتي عشرة آية من الكتاب العزيز، وهي: (**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)([4])، (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**

[1] – سورة الإسراء /٤٣.
[2] – إيضاح الدليل ص١٠٨
[3] – الرسالة القشيرية ص ١٩.
[4] – سورة آل عمران /٢٦.

وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)([1])، (قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)([2])، (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)([3]) (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)([4])، (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)([5])، (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)([6])، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)([7])، (وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)([8])، (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)([9])، (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)([10])، وقد وردت اليد بصيغة الإفراد في قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)([11])،

[1] – سورة المائدة /٦٤.
[2] – سورة المؤمنون /٨٨.
[3] – سورة يس /٧١.
[4] – سورة يس /٨٣.
[5] – سورة ص /٧٥.
[6] – سورة الفتح /١٠.
[7] – سورة الحجرات /١.
[8] – سورة الذاريات /٤٧.
[9] – سورة الحديد /٢٩.
[10] – سورة الملك / ١.
[11] – سورة الملك / ١.

ووردت بصيغة التثنية في قوله تعالى: **(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)**([1])، وقوله: **(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)**([2])، ووردت بصيغة الجمع في قوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)**([3]).

ففي هذه الآيات ومثيلاتها كان للإمام البقاعي فيها تأويل شانها شان الآيات المتشابهة، وهي مصروفة عن الجارحة قطعا.

واليد في اللغة: "الجارحة، أصله يَدْيٌ لقولهم في جمعه أيدٍ ويدِيٍّ......، وقولهم يَدَيَانِ على أن أصله يَدْيٌ على وزن فَعْل، ويديتُهُ ضربت يده ، واستعير اليد للنعمة فقيل: يديتُ إليه أي أسديت إليه وتجمع على أياد وقيل يديٌ.....، وللحوز والملك مرة يقال هذا في يد فلان، أي في حوزه وملكه......، وللقوة مرة، يقال لفلان يد على كذا وما لي بكذا يد وما لي به يدان......، ومنه قيل أنا يدك ويقال وضع يده في كذا إذا شرع فيه. ويده مطلقة عبارة عن إيتاء النعيم، ويد مغلولة عبارة عن إمساكها......، ويقال فلان يد فلان أي وليه وناصره......، وقوله **(لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)**([4]) فعبارة عن توليه لخلقه باختراعه الذي ليس إلا له عز وجل، وخص لفظ اليد ليتصور لنا المعنى إذ هو أجل الجوارح التي يتولى بها الفعل فيما بيننا ليتصور لنا اختصاص المعنى لا لنتصور منه تشبيها، وقيل معناه: بنعمتي التي رشحتها لهم، والباء فيه ليس كالباء في قولهم قطعته بالسكين، بل هي كقولهم: خرج بسيفه أي مع سيفه،

---

[1] – سورة المائدة /٦٤.
[2] – سورة ص / ٧٥.
[3] – سورة يس /٧.
[4] – سورة ص / ٧٥.

معناه خلقته ومعه نعمتاي الدنيوية والأخروية اللتان إذا رعاهما بلـغ بهمـا العـادة الكبرى، وقوله: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)([1])، أي نصرته ونعمته وقوته"([2]).

ففي تفسيره لقول الله تعالى: **(فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**([3])، قال الإمام البقاعي: "**(الَّذِي بِيَدِهِ)** أي بقدرته وتصرفه خاصة لا بيد غيره"([4]).

وقال في قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)**([5])، "ولمـا عظم بيعته بما رغب فيها ترغيبا مشعرا بالترهيب, زادها تعظيما بما الترهيب فيه أظهر مـن الأول, فقال مبينا للأول: (**يَدُ اللَّهِ**) أي المتردي([6]) بالكبرياء، ولما كان منزها عما قد يتوهم من ا لجارحة مما فيه شائبة نقص, أومأ إلى نفي ذلك بالفوقية مع ما فيه من الدلالة على تعظيم البيعة فقال: **(فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)** أي في المبايعة عالية عليهم بالقدرة والقوة والقهر والعزة , والتنزه عن كل شائبة نقص, ولذلك كرر الاسم الأعظم في هذه ثلاث مرات إشارة إلى العظمة الفائتة للوصف والغيب العالي عن الإدراك, ثم أعاد ذكره بالضمير إيذاناً بالغيب المحض, هذا هـو المراد من تعظيم البيعة وإجلال الرسول صلى الله عليه وسلم مع العلم القطعـي بتنزيـه الله سبحانه عن كل

---

[1] – سورة الفتح /١٠.
[2] – المفردات ص ٥٥١–٥٥٣.
[3] – سورة يس / ٨٣.
[4] – نظم الدرر ٥٥/٢. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١١٤/٢، ٢١٨/٥، ٢٨٨/٦، ٦٣/٨.
[5] – سورة الفتح /١٠.
[6] – المتردي: الرداء الذي يلبس، وتثنيته رداءان وأن شئت رداوان، والرداء من الملاحف، والجمع أرديـة، والرداء الغطاء الكبير، قال مرة: الرداء كل ما زينك حتى دارك وابنك، فعلى هذا يكون الرداء ما زان ومـا شان. انظر: لسان العرب ٣١٦/١٤–٣١٧. المعجم الوسيط ٣٤٠/١. القاموس الفقهي ص١٤٧–١٤٨.

شائبة نقص من حلول أو اتحاد, كما هو واضح في مجاري عادات العرب ظاهر جدا في دأبهم في محاوراتهم, لا يشك فيه منهم عاقل عالم أو جاهل أصلاً"([1]).

واليد هنا بمعنى القدرة، والقدرة عبارة عن الصفة التي يكون بها الموصوف متمكن من الإيجاد والتكوين، ونقل الشيء من العدم إلى الوجود، وأن إثبات ما سوى القدرة في الوجود مما لا دليل على ثبوته.

وفي تفسيره لقوله تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)**([2])، قال: "**(بَلْ يَدَاهُ)** فذكر اليد هنا للإحاطة ولتمام القدرة لأنها محلها مع التنزيه عن الجارحة ومشابهة الخلق فهو منزه عن الجارحة وعن كل ما يدخل تحت الوهم **(مَبْسُوطَتَانِ)** مشيراً بالتثنية إلى غاية الجود , ليكون رد قولهم وإنكاره بأبلغ ما يكون في قطع تعنتهم وتكذيب قولهم"([3]).

---

[1] – نظم الدرر ٧/١٩٤.
[2] – سورة المائدة /٦٤.
[3] – نظم الدرر ٢/٤٩٧–٤٩٨. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٧/٢٢١.

وفي تفسير قوله تعـــالى: (**أولَمْ يَرَوْا أنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أيْدِينَا أنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**)([١])، قال:" (**أيْدِينَا**) أي بغير واسطة على علم منا بقواها ومقاديرها ومنافعها وطبائعها "([٢]).

وفي تفسير قوله تعالى: (**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأيْدٍ وَإنَّا لَمُوسِعُونَ**)([٣])، قال: (أيْدٍ) أي بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها"([٤]).

وفي تفسير آية: (**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**)([٥])، قال الإمام البقاعي: "(**بِيَدَيَّ**) أي من غير توسط سبب من بين هذا النوع، وما ذاك إلا لمزيد اختصاص , والمراد باليد هنا صفة شريفة غير النعمة والقدرة معلومة له سبحانه ولمن تبحر في علمي اللغة والسنة، خص بها خلق آدم عليه السلام تشريفا له، وفي تثنية اليد إشارة إلى أنه ربما أظهر فيه معاني الشمال وإن كان كل من يديه مباركاً"([٦])، وتأولها البعض "إنهما صفتان لله، ومنهم من قال صفة واحدة، فهي صفة غير النعمة

---

[1] – سورة يس /٧١.
[2] – نظم الدرر ٢٨٢/٦. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٢٨٤/٧-٢٨٥.
[3] – سورة الذاريات /٤٧.
[4] – نظم الدرر ٢٨٥/٧.
[5] – سورة ص /٧٥.
[6] – نظم الدرر ٤٠٥/٦. وللاستزادة انظر: البيهقي، الأسماء والصفات ص٣١٩.

والقدرة"([1])، "واليد في اللغة النعمة والإحسان ف(**يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**) نعمته وقدرته (**فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**) منته وإحسانه، و(**الأيد**) القوة"([2]).

وفي تأويل قوله تعالى: (**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**)([3]) " أوجه: الأول: المراد مزيد العناية بنعمه عليه في خلقه وإيجاده وتكريمه، الثاني: المراد بيدي القدرة؛ لأن غالب قدرة الإنسان في تصرفاته بيده، الثالثة: ذكر اليدين صلة التخصيص به تعالى ومعناه لما خلقت أنا دون غيري"([4])، "وتخصيص ادم بالخلق بيديه أريد كمال القدرة وتخصيص آدم تشريف له وتكريم"([5])، والحق أن وجه تخصيص ادم عليه السلام بذلك لان الله خلقه بقدرته لا على مثال سابق ولا من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى النقل من الأصلاب إلى الأرحام.

قال الإمام البقاعي في تأويله للفظ اليمين في قوله تعالى: (**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**)([6]): "ولما كان في هذه الدنيا من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة , وكان الأمر في الآخرة بخلاف هذا الانتفاع لانقطاع الأسباب قال: (**يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) ولا قبضة هناك حقيقة ولا مجازا, وكذا الطي واليمين، وإنما تمثيل وتخييل لتمام القدرة ... ، (**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ**) ولما كان العالم

[1] – عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري، مختصر كتاب تصحيح المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية ص٧٦، ط١.
[2] – دفع شبه التشبيه ص١١٤-١١٦، إيضاح الدليل ص١٢٤-١٢٦،
[3] – سورة ص /٧٥.
[4] – إيضاح الدليل ص١٢٥.
[5] – شرح المقاصد ١٧٥/٤.
[6] – سورة الزمر /٦٧.

العلوي اشرف، شرفه عند التمثيل باليمين فقال: (**بِيَمِينِهِ**) ولما كان هذا إنما هو تمثيل بما نعهد والمراد به الغاية في القدرة، نزه نفسه المقدس عما ربما تشبث به المجسم والمشبه، فقال: (**سُبْحَانَهُ**) أي تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص وما يؤدي إلى النقص من الشرك والتجسيم وما شاكله"([1]).

هذا وقد تأول بعض المفسرين ما ورد في هذه الآية على معنى" الإفناء وأنه يفني السماوات والأرض بقدرته"([2])، وقال القرطبي: "والطي في هذه الآية يحتمل معنيين احدهما: الدرج وهو ضد النشر، والثاني: الإخفاء والتعمية والمحو؛ لان الله يمحو ويطمس رسومها ويكدر نجومها"([3]).

وما نخلص إليه عند استقرائنا لآيات الكتاب العزيز نجد أنه قد أضيفت اليد لأشياء معنوية محضة مثل الرحمة والنجوى والعذاب، قال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**)([4])، وقال: (**فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**)([5])، وقال: (**بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**)([6])، فليس للرحمة ولا للنجوى ولا للعذاب أيد، فذكر اليد في كثير من المواضع لا تعني الجارحة كما في قوله تعالى: (**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**)([7])، أي القوة، وتكون

---

[1] – نظم الدرر ٤٦٩/٦-٤٧٠.
[2] – مشكل الحديث ص ٢٤٤.
[3]– الجامع لأحكام القرآن ٤٣٧/١١.
[4] – سورة الأعراف / ٥٧.
[5] – سورة المجادلة /١٢.
[6] – سورة سبأ /٤٦.
[7] – سورة ص /١٧.

اليد بمعنى الملك والقدرة والنعمة، تقول العرب: كم يد لي عند فلان، وقوله تعالى: (**أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**)([1])، أي الذي له عقدة النكاح، فلا مانع من حمل اليد المذكورة في كتاب الله على غير الجارحة ولا بد من حملها؛ لان الله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)([2])، فما رآه الإمام البقاعي من تأويل كلمة اليد في كل موطن وردت فيه بأي معنى كان التأويل الدال على المعنى المراد والمناسب لنسق الآية ومورد النص هو الحق وذلك لان لفظ اليد في الحقيقة يطلق على الجارحة، إلا أنه لا بد من حمله على المجاز في أحوال كثيرة – لأنه إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز– ومن المعاني التي حملت فيها اليد على المجاز وخاصة في الألفاظ المضافة إلى الله تعالى أنها بمعنى القدرة كقولك: يد الراعي فوق يد الرعية، وبمعنى النعمة وذلك لأن آلة الإنعام والإعطاء هي اليد، وقد يكون ذكر اليد من باب صلة الكلام على سبيل التأكيد كقوله تعال: **(فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)**([3])، كما تكون بمعنى الذات.

المطلب الخامس

العين

وردت لفظة (عين) بصيغ مختلفة في كتاب الله الكريم، فقد وردت مفردة، ووردت بلفظ الجمع، وفي أكثر من آية من آيات الكتاب العزيز ومن هذه المواضع قوله تعالى:

[1] – سورة البقرة /٢٣٧.
[2] – سورة الشورى /١١.
[3] – سورة المجادلة /١٢.

(**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**)([1])، وقوله تعالى: (**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**)([2])، وقوله تعالى: (**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**)([3])، وقوله تعالى: (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**)([4]).

والعين في اللغة: "الجارحة، قال تعالى: (**وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ**)([5])......، ويقال لذي العين عين، وللمُرَاعِي للشيء عين، وفلان بعيني: أي أحفظه وأراعيه كقولك: هو بمرآى مني ومسمع، قال تعالى: (**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**)([6])، وقال: (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**)([7])، (**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**)([8]) أي بحيث نرى ونحفظ، (**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**)([9])، أي بكلاءتي وحفظي.......، ويستعار العين لمعان هي موجودة في الجارحة بنظرات مختلفة، واستعير للثقب في المزادة تشبيها بها في الهيئة، وفي سيلان الماء منها فاشتق منها سقاء عين ومعين إذا سال منها الماء......، وقيل للذهب عين تشبيها بها في كونها أفضل الجواهر كما أن هذه الجارحة أفضل الجوارح، ومنه قيل أعيان القوم لأفاضلهم وأعيان الإخوة لبني أب وأم، قال بعضهم: العين إذا استعمل في معنى ذات الشيء فيقال: كل ما له عين فكاستعمال الرقبة في المماليك.... ويقال لمنبع الماء عين"([10]).

---

[1] – سورة طه / ٣٩.
[2] – سورة هود /٣٧.
[3] – سورة الطور /٤٨.
[4] – سورة القمر /١٤.
[5] – سورة المائدة /٤٥.
[6] – سورة الطور /٤٨.
[7] – سورة القمر /١٤.
[8] – سورة هود /٣٧.
[9] – سورة طه / ٣٩.
[10] – المفردات ص ٣٥٧-٣٥٨.

وقد تكلم الإمام البقاعي عن هذه اللفظة المضافة إلى الله سبحانه وتعالى وبين في جميع ما ذهب إليه أن العين غير مقصود بها الجارحة, وإنما هي مؤولة لمعانٍ تسعها اللغة وتسير مع استعمالات العرب لها الذين نزل القرآن بلغتهم وبين ظهرانيهم.

قال في تفسيره لقوله تعالى **(وَلِتُصنَعَ عَلَى عَيْنِي)**(١): "**(وَلِتُصنَعَ)** أي تربى بأيسر أمر تربية بمن هو ملازم لك لا ينفك عن الاعتناء بمصالحك عناية شديدة **(عَلَى عَيْنِي)** أي مستعليا على حافظيك غير مستخف في تربيتك من أحد ولا مخوف عليك منه , وأنا حافظ لك حفظ من يلاحظ الشيء بعينه لا يغيب عنها فكان كل ما أردته"(٢)، إذاً العين تعني الحفظ والرعاية والعناية التي كلأت سيدنا موسى عليه السلام وحفظته من فرعون رغم المخاطر وقتل الأبناء، فكانت الرعاية والحفظ انه نُشّئ في بيت فرعون وبرعايته.

وقال في تفسيره لقوله تعالى: **(فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)**(٣): "**(أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ)** أي السفينة, ولما كان يخاف من أذاهم له في عمله بالإفساد وغيره قال: **(بِأَعْيُنِنَا)** أي انه لا يغيب عنا شيء من أمرك ولا أمرهم فثق بحفظنا ولا تخف شيء من أمرهم"(٤)، وقال : "نحفظك أن تزيغ في عملها، وجمع مبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل"(٥).

---

1 – سورة طه / ٣٩.
2 – نظم الدرر ١٩/٥.
3 – سورة المؤمنون/٢٧.
4 – نظم الدرر ١٩٦/٥.
5 – نظم الدرر ٥٢٩/٣. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١٩٦/٥.

وفي تفسيره لقوله تعالى (**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**)([1]) قال : "جمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها وهي ظاهرة في الجمع وإشارة إلى أنه محفوف بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه فهو مكلوء مرعي به وبجنوده وفاعل في حفظه فعل من له أعين محيطة بمحفوظه من كل جهة من جهاته"([2])، ففي هذه الآيات كان تأويل العين بالرعاية والعناية وهذا هو الحق والصواب وهو مشهور في لغة العرب، فنقول: فلان في عيني أي في رعايتي وتحت عنايتي، وبهذا فسر الإمام البقاعي قوله تعالى (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**)([3])، قال: "(**بِأَعْيُنِنَا**) أي محفوظة أن تدخل بحر الظلمات, أو يأتي عليها غير ذلك من الآفات , بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء كثرة ولا يغيب عنه وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء "([4])، وهذا بمعنى أن السفينة تجري بأعين الماء التي تفجرت وملأت الأرض وأصبحت قابلة لان تجري من خلالها السفينة وهذا ما يفسره قوله تعالى: (**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**)([5])، بهذا ثبت تنزيه الله تعالى عن الجهة والجوارح فوجب تأويل الآيات بما يليق بجلاله تعالى فالمراد – والله اعلم – " مزيد الاعتناء والحراسة وان ذلك بمرأى منا"([6]).

[1] – سورة الطور /٤٨.
[2] – نظم الدرر ٣١١/٧.
[3] – سورة القمر /١٤.
[4] – نظم الدرر ٣٥١/٧. وللاستزادة انظر: شرح المقاصد ١٧٥/٤.
[5] – سورة القمر /١١-١٢.
[6] – إيضاح الدليل ١٣٠.

قال الإمام القرطبي: "(**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**) تربى وتغذى على مرآي، قالــه قتــادة، وقال النحاس: وذلك معروف في اللغة : يقال صنعت الفــرس اصــنعه إذا أحــسنت القيــام عليه"([1]).

وفي قوله تعالى (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ**)([2])، قال: " بمرآى منــا، وقيــل بأمرنا ، وقيل بحفظ منا وكلاءة، ومنه قول الناس للمــودع: عــين الله عليــك، أي حفظــه وكلاءته"([3]).

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى (**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**) ([4]): " بمعنى اصــنعها محفوظا"([5]).

وقد ذهب الإمام الرازي إلى أن هذه الألفاظ لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجــوه، فقال: "إن الأخذ بالظاهر يقتضي أن يكون لله أعين كثيرة، وهذا يناقض قوله تعالى: (**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**)([6])، والثاني: أنه يقتضي أن يصنع نبي الله نوح عليه السلام الفلــك بتلك العين، والثالث: أنه منزه عن الجوارح والأجزاء، وهذا ثابت بالأدلة القطعية"([7]).

---

[1] – الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١١.
[2] – سورة القمر/١٤.
[3] – الجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١٧.
[4] – سورة هود /٣٧.
[5] – تفسير الكشاف ٣٩٣/٢.
[6] – سورة طه /٣٩.
[7] – التفسير الكبير ٢٣١/١٧.

قال ابن الجوزي: وقوله تعالى: " **(أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)**([1])، **(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)**([2])، قال المفسرون: بأمرنا، أي بمرآى منا"([3]).

وذهب العلماء في تأويل لفظة العين مذاهب , فمنهم من حملها على الرؤيـــة ، ففـــي قوله : **(أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)**([4])، قال البيهقي معناه: " بمرأى مني، وقد يكون ذلك من صفات الذات وتكون صفة واحدة، والجمع فيها على معنى التعظيم، ومنهم من حملها على الحفظ والكلاءة"([5]). وذلك لأن حمل لفظة العين على ظاهرها يقتضي أموراً كاســتقرار موسى – عليه السلام – على تلك العين والتصاقه بها, وأن تكون العين هي آلة تلك الــصنعة في قوله تعالى: **(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا)**([6]) إثبات أعين في الوجه الواحد, وهذا قبيح.

والحق أن لفظة العين الواردة في كتاب الله تعالى لا بد لها من تأويل، وهذا ما ذهــب إليه الإمام البقاعي في تأويله لمعنى العين وهو تأويل سائغ وجار على لسان العرب.

[1] – سورة طه /٣٩.
[2] – سورة هود /٣٧.
[3] – دفع شبه التشبيه ص١١٣.
[4] – سورة طه /٣٩.
[5] – البيهقي، الأسماء والصفات ص ٣١٣.
[6] – سورة هود /٣٧.

المطلب السادس

الإتيان والمجيء

ورد لفظ الإتيان والمجيء مضافا إلى الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية، منها قوله تعالى: (**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ**)([١])، وقوله تعالى: (**وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً**)([٢]).

الإتيان لغة: " مجيء بسهولة ومنه قيل للسيد المار على وجهه أتِيٌّ وأتاوِيٌّ، وبه شُبه الغريب فقيل أتاوِيٌّ، والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان وفي الأعراض، نحو قوله تعالى: (**أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**)([٣])، يقال: أتيته وأتوته، ويقال للسقاء إذا مخض وجاء زبده أُتوَّةٌ، وهذه ارض كثيرة الإتاء أي كثيرة الريع([٤]).

والمجيء لغة: " جاء يجيء جيئة ومجيئا والمجيء كالإتيان لكن المجيء أعم، لان الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وان لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكانا أو عملا أو زمانا، قال الله عز وجل: (**وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ**

---

[1] – سورة الأنعام /١٥٩.
[2] – سورة الفجر / ٢٢.
[3] – سورة النحل /١.
[4] – المفردات ص ٨-٩.

يَسْعَى)([1])، وقال: (**فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ**)([2])، وقال: **(وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)**([3])، فهذا بالأمر لا بالذات، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما([4]).

ذهب الإمام البقاعي إلى تأويل الإتيان والمجيء المضاف إلى الله تعالى في كتابه العزيز, كما سلك في تأويل الألفاظ المضافة إلى الله تعالى.

فقال عند تفسيره لقوله تعالى (**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ**)([5])، "أي مجد الذي لا يحتمل شيء تجلى عظمته وظهور جلاله كائناً مجده......

قال الحرالي: وإتيان الله في محل الإيمان أمر مبهم لا يناله علم العالمين ويقف دونه إيمان المؤمنين، لا يأخذونه بكيف ولا يتوهمونه بوهم، وإتيان الله في أوائل فهم الفاهمين بدو أمره وخطابه في محل ما من السماء والأرض أو العرش أو الكرسي أو ما شاء من خلقه؛ فهو تعالى يجل أن يحجبه كون، فحيث ما بدأ خطابه كفاحا لا بواسطة فهناك هو"([6]).

وقال: "أي ظهور أمر المحسنين إليك أتم ظهور بجميع الآيات التي تحملها العقول وذلك يوم الجزاء"([7]).

فالإتيان هو ظهور آثار الله بين خلقه وبدو أمره وتجلي عظمته ومجده.

---

[1] – سورة القصص /٢٠.
[2] – سورة الأعراف /٣٤.
[3] – سورة الفجر / ٢٢.
[4] – المفردات ص ٩١.
[5] – سورة البقرة /٢١٠.
[6] – نظم الدرر ٣٨٨/١-٣٨٩.
[7] – نظم الدرر ٧٤٩/٢.

أما المجيء فقد ذهب الإمام البقاعي إلى تأويله وذلك عند تفسيره لقوله تعالى **(وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)**([1])، حيث قال: "(**وَجَاء رَبُّكَ**) أي أمر ربك المحسن إليك بإظهار رفعتك العظمى في ذلك اليوم الأعظم لفصل القضاء بين العباد بشفاعتك...، ومعنى مجيئه سبحانه وتعالى بعد أن ننفي عنه أن يشبه مجيء شيء من الخلق لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا صححنا العقد في ذلك في كل مكان من المتشابه قلنا في هذا انه مثل أمره سبحانه وتعالى في ظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وقهره وسلطانه بحال الملك إذا حضر بنفسه فظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بظهور عساكره كلها خالية عنه، فمجيئه عبارة عن حكمه وإظهار عظمته وبطشه وكل ما يظهره الملوك إذا جاؤوا إلى مكان، وهو سبحانه وتعالى شأنه حاضر مع المحكوم بينهم بعلمه وقدرته، لم يوصف بغيبة أصلا أزلا ولا أبدا، فحضوره في ذلك الحال وبعده كما كان قبل ذلك من غير فرق أصلا، لم يتجدد شيء غير تعليق قدرته على حسب إرادته بالفصل بين الخلق، ولو غاب في وقت أو أمكنت غيبته بحيث يحتاج إلى المجيء لكان محتاجا، ولو كان محتاجا لكان عاجزا، ولو عجز أو أمكن عجزه في حال من الأحوال لم يصلح للإلهية....، وفي تكرير **(صَفّاً)** تنبيه على صرف المجيء عن حقيقته وإرشاد إلى ما ذكرت من التمثيل"([2]).

"وإتيان أمر الله أو مجيء عذابه الموعود أو مجيء القيامة هو على أساليب العرب المعروفة في كلامهم من حذف المضاف وإسناد الفعل إلى المضاف إليه مجازا ولا يمكن أن

[1] – سورة الفجر / ٢٢.
[2] – نظم الدرر ٤٢١/٨.

يكون المجيء على معناه الحقيقي الذي فيه حركة وانتقال من حيز إلى حيز بحيث يخلو منه مكان ويمتلئ به آخر، وهذا صفات الأجسام"([١]).

فالمجيء والذهاب والإتيان بحق الله تعالى محال لأنه من صفات الحوادث المحدودة القابلة للانتقال والحركة إذ أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن محدث وما كان كذلك فهو محدث مخلوق، والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك فكان استدلال الخليل عليه الصلاة والسلام على نفي الإلهية عن الكواكب بأحوالهن من الأفول والظهور وهي حركات.

" فمن معاني الإتيان أن يأتي أمر الله أو يكون هناك مقدر هو أمر الله أو عذاب الله أو قضاؤه"([٢]).

ومذهب جمهور السلف في هذه الآيات السكوت عن التأويل بل التفويض لله، وأما جمهور المتكلمين فأولوا وفصلوا، ومما قالوا: مجيء الآيات مجيئا له على التفخيم لشان الآيات فالآية للوعيد فأضمر مجيء الهيبة والقهر والتهديد، وقيل أمر الله([٣]).

وعن أبي الحسن الأشعري، قال: " يحدث الله يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا لا بأن يتحرك أو ينتقل"([٤]).

وقيل في قوله تعالى **(وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)**([٥]): " جاء ربك بالملك صفا، وقيل: **(وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)**([٦]) أمر ربك وحكمه، يريد أمر القيامة وما يختص به، وفي قوله تعالى **(هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ**

---

[1] – الذات الإلهية والمجازات القرآنية ص١٩٢.
[2] – إيضاح الدليل ص١١٧–١١٨.
[3] – مختصر كتاب تصحيح المفاهيم العقدية ص ٩٤، وانظر: السيف الصقيل ص٦٠.
[4] – البيهقي، الأسماء والصفات ص٤٤٨.
[5] – سورة الفجر / ٢٢.
[6] – سورة الفجر / ٢٢.

الأمُورُ)([1]): هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالعذاب في ظلل من الغمام، وعن مجاهد في الآية قال: يأتينهم بوعده ووعيده ويكشف لهم يوم القيامة عن أمور كانت مستورة عنهم"([2]).

قال الرازي: "المراد هل ينظرون إلا أن تأتيهم آيات الله، فجعل مجيء آيات الله مجيئا له على التفخيم لشان الآيات، أو يكون المراد هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله، أو يكون المعنى: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب والحساب، أو يكون التقدير: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة، والمراد: أن الله يأتيهم بالغمام مع الملائكة"([3]).

مما سبق تبين لنا أن جمهور السلف فوضوا المعنى لله سبحانه وتعالى، وجمهور المتكلمين أولوا معنى الإتيان والمجيء حيث يقول الإمام الرازي: "والذي يؤكد صحة التأويل وجهان: الأول: إن قوله تعالى: (**يَأْتِيَهُمُ اللّـهُ**)، وقوله: (**وَجَاء رَبُّكَ**) إخبار عن حال القيامة، ثم أن الله ذكر هذه الوقعة بعينها في سورة النحل، فقال: (**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّـهُ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**)([4])، فصار هذا مفسرا لذلك المتشابه، والثاني: انه تعالى قال بعد هذه الآية (**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ**)([5])، ولا شك أن الألف واللام للمعبود

---

[1] – سورة البقرة /٢١٠.
[2] – مشكل الحديث ص ٢٠٧–٢١٠.
[3] – انظر: فخر الدين الرازي، أساس التقديس ص ١١٩–١٢٢، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
[4] – سورة النحل /٣٣.
[5] – سورة البقرة /٢٠٩.

السابق، وهذا يستدعي أن يكون قد جرى ذكره من قبل ذلك، حتى تكون الألف واللام إشارة إليه، وما ذاك إلا الذي أضمرناه من أن قوله (**أَتِيَهُمُ اللّـهُ**) أي يأتيهم أمر الله"([1])، وهذا ما ذهب إليه الإمام البقاعي كما أوضحنا سابقا والأولى في مثل هذا المقام أن نؤمن بما جـاء مع التنزيه لله سبحانه وتعالى من كل شائبة نقص ومشابهة الحوادث.

المطلب السابع

الساق

ورد لفظ الساق في كتاب الله الحكيم مرة واحدة، في قوله تعـالى: (**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**)([2]).

والساق في اللغة: " ساق: سوق الإبل جلبها وطردها، يقال سقته فانساق، والسَّيِّقَةُ مـا يساق من الدواب، وسقت المهر إلى المرأة وذلك أن مهورهم كانت الإبل، وقوله تعالى: (**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**)([3])، أنه إشارة إلى شدة وهو أن يموت الولـد فـي بطـن الناقـة فيـدخل المذمر([4]) يده في رحمها فيأخذ بساقه فيخرجه ميتا، قال: فهذا هو الكشف عن الساق فجُعِـل لكل أمر فظيع([5])

---

[1] – أساس التقديس ص ١٢٠.

[2] – سورة القلم /٤٢.

[3] – سورة القلم /٤٢.

[4] – المذمر: هو الذي يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكر جنينها أم أنثى، سمي بذلك لأنه يضع يده في ذلك الموضع فيعرفه. انظر: لسان العرب ٣١٢/٤.

[5] – المفردات ص ٢٢٤.

وقد تكلم الإمام البقاعي عن هذه الآية ذاهبا مذهب التأويل في بيان معنى الساق، قال: "(**يَوْمَ**) يجوز أن يكون بيانا ليوم القيامة....، (**يُكْشَفُ**) أي يحصل الكشف فيه، وبني للمفعول لان المخيف وقوع الكشف الذي هو كناية عن تفاقم الأمور وخروجها عن حد الطوق، لا كونه من معين، مع أن المعلوم انه لا فاعل هناك غيره سبحانه (**عَن سَاقٍ**) أي يشتد فيه الأمر غاية الاشتداد لان من اشتد عليه الأمر وجدَّ في فصله شمَّر عن ساقه لأجله وشمرت حرمه عن سوقهن غير محتشمات هربا فهو كناية عن هذا ولذلك نكره تهويلا له وتعظيما، نقل هذا التأويل عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير(١) رضي الله عنه وغيرهما، وعن انكشاف جميع الحقائق وظهور الجلائل فيه والدقائق من الأهوال وغيرها كما كشفت هذه الآيات جميع الشبه وتركت السامع لها في مثل ضوء النهار وفي الجزء الخامس والثلاثين من مسند أبي يعلى الموصلي(٢)، عن أبي بردة(٣)، عن أبيه رضي الله عنهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذا: (عن نور عظيم يخرون له سجدا)(٤)، وهو لا ينافي ما ذكر من التأويلين: الشدة والكشف: ولما كان هذا الكشف الذي كشف لهم المعاني في هذا القرآن إنما هو

---

[1] – سعيد بن جبير: الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أبو محمد ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام، ولد في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب، روى عن ابن عباس، وعبد الله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة وأبي مسعود البدري –وهو مرسل– وعن ابن عمر وابن الزبير، والضحاك بن عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه، كان قتله في شعبأن سنة ٩٥هـ وعمره ٥٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٢١/٤–٣٤٣.

[2] – أبو يعلى الموصلي: هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي الحافظ محدث الجزيرة، ولد سنة ٢١٠هـ وتوفي سنة ٣٠٧هـ، له: أجزاء الحديث، المسند الكبير، معجم الصحابة. هدية العارفين ٥٧/٥.

[3] – أبو بردة: هو عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، ، كان أبوه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم عليه من اليمن في الأشعريين فاسلموا، وأبو بردة كان قاضيا على الكوفة، وليها بعد القاضي شريح، وله مكارم ومأثر مشهورة، توفي سنة ١٠٣هـ. وفيات الأعيان ١٠/٣. الأعلام ٢٥٣/٣.

[4] – رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص٣٤٧–٣٤٨، قال: قال الشيخ: وقد اخبرنا أبو الحسن بن عبدان أنا أحمد بن عبيد، نا محمد بن غالب، نا محمد بن الحسين، نا الوليد بن مسلم، نا روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم... الحديث، وقال: تفرد به روح بن جناح وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها، وموالى عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة.

لأجل العبادة التي هي الخضوع الذي يعبر عنه بالسجود وهو آيتها وأمارة ما اشـتمل عليه الباطن منها وعلاقتها فيأتونها وهم قادرون عليها ذكرهم يوما يريدونها فيه فلا يتأتى لهم تنديما لهم وزيادة تحسير وإظهار تظليل وتخسير لا ظهورهم وأعضاءهم تكون طبقا واحدا لا تنثني، فكلما أرادوا أن يسجدوا انقلبوا على قفاهم"([1]).

والقول أن الكشف عن الساق هو كناية عن الشدة قول مرتضى في تأويل قوله تعالى: **(يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ)**([2])، وقـد قـال العلمـاء بـذلك وبغيره([3])، فمن الأقوال: " انه كناية عن هول الأمر وشدته وعظم الخطب وفضاعته؛ لان من عادة الناس التشمير عن السوق عند الأمور الصعبة المحتاجة للمعاركة"([4]).

" قال ابن عباس وخلق من الصحابة والتابعين وغيرهم أن المراد بالساق هنا الـشدة (شدة أهوال يوم القيامة)، وقال بعض أئمة التفسير: عن ساق عن أمر شديد، وقال بعـضهم: يكشف عن ساق لبعض مخلوقاته"([5]).

" وورد عن أبي موسى الأشعري([6]) عن نور عظيم"([7]).

---

[1] – نظم الدرر ٨/١١١-١١٢.
[2] – سورة القلم /٤٢.
[3] – وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وقتادة وابن قتيبة والفـراء وأبـو عبيـد وثعلب واللغويون فأنشدوا : وقامت الحرب بنا على ساق ، دفع شبه التشبيه ص ١١٨-١١٩.
[4] – الذات الإلهية والمجازات القرآني والنبوية ص١٧٥. البيهقي، الأسماء والصفات ص٣٤٦-٣٤٧. والسيف الصقيل ص٥٩.
[5] – إيضاح الدليل ص١٣٤. مشكل الحديث ص ٤٤٢. البيهقي، الأسماء والصفات ص ٣٤٥.
[6] – أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب الإمام الكبير، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو موسى الأشعري التميمي المقريء، وهو معدود فيمن قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، أقرأ أهل البصرة وفقّهَهم في الدين، وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد وعدن، وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة، وقدم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وحمل عنه علما كثيرا، واختلف في وفاته فقيل سنة ٤٢هـ، وقيل سنة ٤٣هـ، وقيل سنة ٤٤هـ، وقيل: غير ذلك، والصحيح أنه توفي سنة ٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء٢/ ٣٨٠-٤٠٢.
[7] – مشكل الحديث ص٤٤٢. البيهقي، الأسماء والصفات ص٣٤٨.

وهذه الأقوال الثلاثة (الشدة والكشف والنور) قالها البقاعي وليس بينها خلاف وتبـاين وان كان تأويل الساق بأنه كناية عن الشدة هو الأرجح كون الموقف يوم القيامة موقف شـدة ورهبة وخوف فيتم الكشف عن شدة من الأمر.

المطلب الثامن

الجنب

ورد لفظ الجنب في كتاب الله في آية واحدة وهي قولـه تعـالى: (**أن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**)([1]).

والجنب في اللغة: "أصل الجنب الجارحة وجمعه جنوب، قال الله عز وجل: (**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**)([2])، ثم يستعار في الناحية التي تليها كعادتهم فـي اسـتعارة سـائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشمال......، وقيل: جنب الحائط وجانبه، قال تعالى: (**وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ**)([3]) أي القريب، وقال تعالى: (**يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ**)([4]) أي فـي أمره وحده الذي حده لنا([5])

وقد تناول الإمام البقاعي هذه اللفظة الموهمة بالبيان فقال: " ولما كان حق كـل أحـد قريبا منه حسا أو معنى حتى كأنه إلى جنبه وكان بالجنب قوام الشيء ولكنه قد يفـرط فيـه لكونه منحرفا عن الوجاه والعيان، فيدل التفريط فيه على نسبة المفرط لصاحبه إلى الغفلة عنه،

---

[1] - سورة الزمر / ٥٦.
[2] - سورة السجدة /١٦.
[3] - سورة النساء /٣٦.
[4] - سورة الزمر / ٥٦.
[5] - المفردات ص ١٠٦.

وذلك أمر لا يغفر، قال: (**فِي جَنبِ**) وصرف القول إلى الاسم الأعظم لزيادة التهويل بقوله:(**اللَّهِ**) أي حق الملك الأعظم الذي هو غير مغفول عنه ولا متهاون به"([1]).

من هذا الذي أشار إليه البقاعي من تفسيره لمعنى الجنب نخلص إلى القول أن الجنب يدل على طاعة الله سبحانه وتعالى واتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا هو حق الله تعالى على عباده وخاصة إذا نظرنا إلى الآية السابقة لها والتي تقول: (**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**)([2])، وهذا هو خلاصة كلام الإمام البقاعي في معنى جنب الذي هو حق الملك الأعظم وهو الطاعة، وهذا شائع في كلام العرب واستعمالاتهم.

قال مجاهد: " يعني ما ضيعت في أمر الله، ورمى فلان جانب فلان لا يطيعه ولا يتعهده، والتفريط في الطاعة لا في الجنب المعهود"([3])، وجاء عنه أيضا بأن جنب الله: " هو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلماء الأمة المتقين ومحبتهم ومتابعتهم"([4]).

وقال ابن عباس: " ثواب الله.

وقال مقاتل: ذكر الله، وقال الحسن: طاعة الله.

قال سعيد بن جبير: حق الله"([5]).

---

[1] - نظم الدرر ٤٦٤/٦.
[2] - سورة الزمر /٥٥.
[3] - إيضاح الدليل ص١٣٣. وللاستزادة انظر: البيهقي، الأسماء والصفات ص ٣٦١.
[4] - إزالة الشبهات ص٨٥-٨٦.
[5] - التفسير الكبير ٤٦٦/٩، تفسير البيضاوي ص٦١٥، مدارك التنزيل ٦٣/٢، تفسير الكشاف ١٦٧/٥، تفسير أبو السعود ٢٦٠/٧، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تفسير= =الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، بهامشه تفسير البغوي (معالم التنزيل)٨٢/٦، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥. روح البيان ١٧/٢٣، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل٨٥/٤، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك – مروان سوار، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البنداري، زاد المسير في علم التفسير ١٩٢/٧، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١. تفسير الطبري ١١٩/١١، الجامع لأحكام القرآن ٧٢١/٨.

والجنب سمي جنبا لأنه من جوانب ذلك الشيء، والشيء الذي يكون من لوازم الشيء وتوابعه يكون كأنه جند من جنوده وجانب من جوانبه، فلما حصلت هذه المشابهة بين الجانب الذي هو العضو وبين ما يكون لازما للشيء وتابعا له لا جرم حسن أخلاق الجنب على الحق والأمر والطاعة"([1]).

المطلب التاسع

المعية والعندية والرجوع والقرب

ورد في كتاب الله الكريم آيات تذكر فيها معية الله مع خلقه، وإضافة أمور أنها عنــد الله، وان الأعيان والمعاني راجعة إليه، ثم جاءت آيات تشعر بالقرب من الله، وفي هذه الآيات يحمل كل لفظ فيها على معنى يوضحه موقع تلك اللفظة من السياق، وهذا ما وضحه الإمــام البقاعي.

قال الإمام البقاعي في تفسيره لقوله تعالى (**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)([2]): "(**وَهُوَ مَعَكُمْ**) أي أيها الثقلان المحتاجان إلى التهذيب بالعلم والقدرة المسببين عن القرب، (**أَيْنَ مَا كُنتُمْ**) فهو عالم بجميــع أموركم وقادر عليكم تعاليا عن اتصال بالعلم ومماسة، أو انفصال عنه بغيبة أو مسافة، قال أبو العباس بن

---

[1] – التفسير الكبير ٤٦٦/٩.
[2] – سورة الحديد /٤.

تيمية([1]) في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان): لفظ (**مَعَ**) لا يقتضي في لغة العرب أن يكون احد الشيئين مختلطا بالآخر لقوله: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**)([2])، وقوله: (**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ**)([3])، ولفظة (**مَعَ**) جاءت في القرآن عامة وخاصة، فالعامة (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)([4])، فافتتح الكلام بالعلم واختتمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك([5]) وسفيان الثوري واحمد بن حنبل: هو معهم بعلمه، وأما المعية الخاصة فقوله تعالى (**إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**)([6])، وقوله تعالى لموسى وهارون: (**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**)([7])، وقال: (**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ**

---

1 – ابن تيمية: هو أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني، ثم الدمشقي الحنبلي الفقيه المحدث ولد سنة (٦٦١هـ) وتوفي سنة (٧٢٨هـ)، من تصانيفه: اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أهل الجحيم، إثبات المعاد والرد على ابن سينا، إثبات الصفات والعلو والاستواء، بيان الفرقان بين أولياء الرحمن وحزب الشيطان، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، وغيرها كثير.هدية العارفين ١٠٥/٥-١٠٦.

2 – سورة التوبة /١١٩.

3 – سورة الفتح /٢٩.

4 – سورة المجادلة/٧.

5 – الضحاك: هو الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي التابعي المفسر المتوفى سنة (١٠٢هـ) له تفسير القرآن. هدية العارفين ٤٢٨/٥.

6 – سورة النحل/١٢٨.

7 – سورة طه /٤٦.

تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)([1])، يعني للنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق([2]) رضي الله عنه، فهو مع موسى وهارون عليهما السلام دون فرعون، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين، فلو كان معنى المعية انه بذاته في كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام، بل المعنى انه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك"([3]).

والخلاصة: أن معية الله هي معية العلم والنصرة والتأييد، وهذا ما نرتضيه قولا وهو ما ذهب إليه الإمام البقاعي لان الله متعال عن الجهة والمكان والتحيز والنقلة.

أما العندية فهي مؤولة أيضا، فالعندية عندية تشريف، وإحاطة علم وحكمة، ومضاء كلماته، الذي أحاط بكل شيء، وبجميع الخلال وله أوصاف الجمال والجلال، قال الإمام البقاعي في تفسيره لقوله تعالى (**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**)([4])، قال: "(**عِندَ اللّهِ**) أي في حكم وعلم الذي خلق الزمان وحده وهو الإله وحده فلا أمر لأحد معه"([5]).

---

[1] – سورة التوبة/٤٠.

[2] – أبو بكر الصديق: هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة عثمان، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي الهجرة والخليفة بعده، وقد اختلف في اسمه فقيل: كان عبد الكعبة، وقيل: عتيق، وهو من رؤساء قريش في الجاهلية فلما جاء الإسلام سبق إليه، توفي يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وصلى عليه عمر بن الخطاب. انظر: أسد الغابة ٣/٢٠-٣٨.

[3] – نظم الدرر ٧/٤٣٧. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١/٣٦٦، ٢/٣١٤، ٥/٢١، ٣٥٢، ٣٦٤-٣٦٥، ٥٨١، ٧/١٧٨، ٤٨٩-٤٩٠.

[4] – سورة التوبة /٣٦.

[5] – نظم الدرر ٣/٣٠٧.

وقال: " أي الملك الأعظم الذي لا يمكن الدنو من شيء من حضرته إلا بإذنه"([1]).

وفي تفسير قوله تعالى (**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً**)([2])، قال: " أي الذي أحاط علما بجميع الخلال، وله جميع أوصاف الجمال والجلال، فهو يعلم ما عند كل احد ولا يعلم احد شيئا مما عنده إلا بإذنه"([3]).

فكل شيء من عند الله أي من علم الله أو بعلم الله، أو علم الله حاضر في ذاك المكان، وكذلك إحاطته وتدبيره، فهي ليست عندية الجهة والحيز والمكان بل عندية الشرف والكرامة والإعانة.

أما الرجوع إلى الله، والوقوف على الله، ولقاء الله، فكلها ألفاظ لها دلالتها بحسب موردها في النص فمنها ما هو رجوع إلى الله في اليوم الآخر أي بعد البعث بما يوقفهم بقدرته بأيدي جنوده أو بغيرها.

قال الإمام البقاعي في تفسيره لقوله تعالى (**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**)([4]): "(**إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ**) مجازاً عن الحبس في مقام من مقامات الجلال بما اقتضاه إضافة الرب إليهم أي الذي طال إحسانه إليهم وحلمه عنهم، فأظهر لهم ما أظهره في ذلك المقام من تبكيتهم وتوبيخهم وتقريعهم، وأطلعهم

---

[1] – نظم الدرر ٤٢٧/٣.
[2] – سورة الأحزاب /٦٣.
[3] – نظم الدرر ١٣٦/٦. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٥٤٨/١، ٢٠٠/٢، ٢٨٤، ٤٨١، ١٩١/٣، ٤٢٧، ٣٦/٥، ٢٦٩، ٥٥٢، ٣٢٥/٦.
[4] – سورة الأنعام /٣٠.

بما يقتضيه أداة الاستعلاء – على ما له سبحانه من صفات العظمة – من الكبريـــاء والانتقام من التربية إذ لم يشكروا إحسانه في تربيتهم"([1]).

وفي تفسير قوله تعـــالى **(مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّـهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّـهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**([2])، قال الإمام البقاعي: " لقاء الله أي الجامع لصفات الكمال، فلا يجوز عليـــه تـــرك البعث فانه نقص ومنابذ للحكمة، وشبه البعث باللقاء لانكشاف كثير من الحجب به وحـــضور الجزاء"([3]).

وفي تفسيره لقوله تعالى **(الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)**([4])، قال الإمام البقاعي: "**(وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ)** أي وحده **(رَاجِعُونَ)** والرجوع معاد الذاهب على مدارج مذهبه وترقيه على معارج مهبطه، قال الحرالي: وعبر بذلك وان كانوا لم يزالوا في قبضته، لان اسمه الظاهر سبحانه يكون في تلك الدار لانقطاع الأسباب في غاية الظهور لا يكون لأحد معه نوع ظهور أصلا، لا كهذه الدار التي الغالب فيها معنى اسمه البـــاطن إلا عنـــد أولـــي الأبصار"([5]).

وقال: "**(رَاجِعُونَ)** معنى أن جميع أمورنا لا يكون شيء منها إلا به وحسابا لبعـــث وظهور ذلك بعده ظهورا تاما"([6]).

---

[1] – نظم الدرر ٦٢٤/٢.
[2] – سورة العنكبوت /٥.
[3] – نظم الدرر ٥٣٧/٥.
[4] – سورة البقرة /٤٦.
[5] – نظم الدرر ١٢٧/١. وللاستزادة انظر: نظم الـــدرر ٤٧٩/١، ١٣٤/٢-١٣٥، ٦٢٤، ٥٩٣/٣، ٥٣٧/٥، ١٨٢/٦-١٨٣، ٢٠٤، ٦٠٤، ١٢/٧.
[6] – نظم الدرر ٢٨١/١.

أما القرب فورد في أكثر من آية منها قوله تعالى: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**)([1])، قال الإمام البقاعي في تفسيرها: "(**قَرِيبٌ**) فعيل من القرب وهو مطالعة الشيء حسا أو معنى أي من طلبني بعقله وجدني وعرفني وإنما أرسلت الرسل زيادة في التعرف ورفعا للحرج بسر التلطف....

قال الحرالي: "بشر أهل حضرة البعد لما رقى أهل القرب إلى الوصول بالقرب فكان المبشر وأصلا وكان المتقاصر عن القرب مبشرا به ومعلوم أن قرب الله وبعد المخلوق منه ليس بعد مسافة ولا قرب مسافة، فالذي يمكن إلاحته من معنى القرب أن من سمع فيما يخاطب به خطاب ربه فهو قريب ممن كان ذلك الخطاب منه، ومن كان إنما يسمع الخطاب ممن واجهه بالخطاب في حسه ومحسوسه فسمعه ممن دون ربه كان بعيدا بحسب تلك الواسطة من بعد دون بعد إلى ابعد البعد"([2]).

والذي قاله الإمام البقاعي هو الحق فإنه إذا اثبت تنزيه المولى عن الحيز والجهة والمكان والقرب الحسي والبعد العرفي وجب تأويل ذلك بما يليق بجلاله، فالتأويل قرب علمه ورحمته ولطفه، ويؤيد ذلك قوله تعالى: (**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**)([3])، "ويؤول قرب المنزلة عنده أي له عند الله منزلة رفيعة فالقرب ليس قرب مسافة ولا مكان"([4]).

---

[1] – سورة البقرة /١٨٦.

[2] – نظم الدرر ٣٤٨/١. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٥٤٨/٣، ٤٨٨/٨.

[3] – سورة الأعراف /٥٦.

[4] – إيضاح الدليل ص١٣٦.

المبحث الثاني

موقفه من الألفاظ التي توهم مشابهة الخالق لخلقه معنى

ومن الألفاظ المضافة إلى الله تعالى والتي أساء بعض الناس فهمها فأجروها على ظاهرها فألحقت بالله سبحانه وتعالى ما هو منزه عنه من النقص ومشابهة المخلوقات – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا– ومن هذه الألفاظ: (النسيان، المخادعة، السخرية ، الاستهزاء، الاستحياء، الكيد، المكر، الظلم، إقراض الله، الإباء، كتب، سنفرغ) حيث أن كل صفة تثبت للعبد مما يختص بالأجسام إذا وصف الله سبحانه وتعالى بها فتكون نهاية الأعراض لا بدايتها، وعلى هذا تحمل كل الألفاظ هذه.

فهذه الألفاظ والتي هي صفات بشرية نجزم بأن الله سبحانه وتعالى منزه عنها ولا بد من تأويلها، إذ المولى سبحانه وتعالى لا تعتريه أوصاف البشر التي هي من لوازم المخلوق، والله ليس كمثله شيء.

وسأقتصر في هذا المبحث على قول الإمام البقاعي عن هذه الألفاظ وباختصار:

١– أما النسيان فقد ورد في أكثر من آية منها ما ينفي عنه النسيان، ومنها ما يثبته، ومما أثبته قوله تعالى: (**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**)([1])، قال الإمام البقاعي في تفسيرها: "(**فَنَسِيَهُمْ**) أي فعل بهم فعل الناسي لما استهان به بأن تركهم من رحمته فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته"([2])، وذلك أن النسيان يستحيل في حق الخالق جل وعلا إذ أن من معاني

---

[1] – سورة التوبة /٦٧.

[2] – نظم الدرر ٣٤٤/٣. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٥٤٩/٤، ٢٣/٥، ٥٥، ١١١/٧، ٥٣٥.

النسيان في اللغة الترك، فيكون تأويل النسيان هو تركهم في النار، أو أن يفعل بهم فعل الناسي الذي ينسى عبده من النعم.

٢- المخادعة: قال تعالى: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)**([1])، قال الإمام البقاعي: "**(هُوَ)** الذي أمر المؤمنين بما أمرهم فكأنهم يفعلون ذلك معه وهو **(خَادِعُهُمْ)** باستدراجهم من حيث لا يعلمون، لأنه قادر على أخذهم من مأمنهم وهم ليسوا قادرين على خدعة أحد بوجه"([2])، فلفظ **(خَادِعُهُمْ)** المضاف لله تعالى في كتابه العزيز لا يعني أن الله يتصف بصفات البشر من حيث المخادعة لأن من يعلم السر وأخفى لا يكون هذا شانه فيكون من باب استدراجهم في طغيانهم وضلالهم وخذلانهم عن الحق ووصولهم إليه في الدنيا والآخرة.

٣- السخرية: قال تعالى: **(الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**([3])، قال الإمام البقاعي في تفسيرها: "**(سَخِرَ اللّهُ)** أي وهو الذي له الأمر كله ولا أمر لغيره **(مِنْهُمْ)** أي جازاهم على فعلهم بأهل حزبه"([4])، فالسخرية من باب الجزاء على الفعل بمثل لفظه.

---

[1] - سورة النساء /١٤٢.
[2] - نظم الدرر ٣٣٨/٢-٣٣٩.
[3] - سورة التوبة/٧٩.
[4] - نظم الدرر ٣٦٥/٣.

٤- الاستهزاء: قال تعالى: (**اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**)([1])، قال الإمام البقاعي في بيانه لمعنى الاستهزاء: أي يجازيهم على فعلهم بالاستدراج بأن يظهر لهم من أمره المرذي([2]) لهم ما يدركون وجهه فهو يجري عليهم في الدنيا أحكام أهل الإيمان ويذيقهم في الدارين أعلى هوان مجددا لهم ذلك بحسب استهزائهم وذلك انكأ من شيء دائم توطن النفس عليه"([3])، فالاستهزاء إذا أن يجازيهم الله جزاء من يستهزئ بغيره.

٥- الاستحياء: قال تعالى: "(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً**)([4])، قال الإمام البقاعي: "أي لا يفعل فعل المستحيي فيؤديه إلى ترك الآمر به"([5])، ويحمل الاستحياء هنا على نهاية الأعراض وهو الترك لا على بدايته وهو الانقباض فالاستحياء بمعنى أنه لا يترك أو لا يخشى أو لا يمتنع.

---

[1] - سورة البقرة /١٥.

[2] - المرذي: الرذي الذي أثقله المرض، والرذي من الإبل المهزول الهالك الذي لا يستطيع براحا ولا ينبعث، والمرذى المنبوذ. انظر: لسان العرب ٣٢٠/١٤. المعجم الوسيط ٣٤١/١.

[3] - نظم الدرر ٤٦/١.

[4] - سورة الأحزاب /١٠.

[5] - نظم الدرر ١٢٦/٦. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٧٥/١.

٦- الكيد: قال تعالى: **(وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)**([1])، قال الإمام البقاعي: "(**إِنَّ كَيْدِي)** أي ستري لأسباب الهلاك عمن أريد إهلاكه وإبدائي ذلك له في ملابس الإحسان وخلع البر والامتنان"([2]).

٧- المكر: قال تعالى: **(وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ)**([3])، قال الإمام البقاعي: "**(الْمَكْرُ جَمِيعاً)** المكر: الفتل عن البغية بطريق الحيلة، ويلزمه الستر ولا شيء استر عن العباد من أفعاله تعالى فلا طريق لهم إلى علمها إلا من جهته سبحانه، وسمي فعله مكرا مجازا لأنه ناشئ عن مكرهم جزاء لهم"([4]).

وقال: "**(وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**([5]) أي فعله الذي يشبه المكر بأخذ الإنسان من حيث لا يشعر بالاستدراج بما يريد من النعم والنقم"([6])، والمكر من باب المقابلة بين الألفاظ على عادة العرب فيكون بمعنى إنزال العقوبة بهم على ما بدا من مكرهم، وكذا استدراجهم بما انعم عليهم من النعم فكانت العاقبة الخسران لهم.

٨- الظلم: قال تعالى: **(فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ**

---

[1] - سورة القلم /٤٥.
[2] - نظم الدرر ١١٤/٨. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ١٦٢/٣.
[3] - سورة الرعد /٤٢.
[4] - نظم الدرر ١٦٣/٤.
[5] - سورة آل عمران /٥٤.
[6] - نظم الدرر ٧٥/٣. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٤٣٠/٣-٤٣١، ٤٣٣/٥.

يَظْلِمُونَ)([1])، قال الإمام البقاعي: "**(لِيَظْلِمَهُمْ)** أي مريداً ليعاملهم معاملة الظالم الــذي يعاقب من لا جرم له، أو من أجرم ولم يتقدم إليه بالنهي عن إجرامه ليكف فيسلم، أو يتمادى فيهلك لأنه لا نفع يصل إليه سبحانه من إهلاكهم، ولا ضرر يلحقه عز شانه من إبقائهم"([2]).

٩- الإقراض: قال تعالى: **(مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَـهُ وَلَـهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)**([3])، قال الإمام البقاعي: "**(مَن)** وأكد بالإشارة بقوله **(ذَا)** لأجل ما للنفوس من الــشح (**الَّذِي يُقْرِضُ اللَّـهَ)** أي يعطي الذي له جميع صفات الجلال والإكرام بإعطاء المستحق لأجلــه عطاء من ماله هو على صورة القرض لرجائه الثواب، **(قَرْضاً حَسَناً)** أي طيبا خالــصا فيــه متحريا به أفضل الوجوه طيبة به النفس من غير منٍّ ولا كدر بتسويف ونحوه"([4]).

١٠- سنفرغ: قال تعالى: **(سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ)**([5])، قال الإمام البقاعي: "**(سَنَفْرُغُ)** أي بوعد قريب لا خلف فيه من جميع الشؤون الذي ذكرت (**لَكُمْ**) أي نعمل عمل من يفــرغ للشيء فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا الملائكة وغيرهم مما أمرناهم به مما سبقت بــه كلمتنا ومضت به حكمتنا من الآجال والأرزاق وغير ذلك فينتهي كله ولا يكون

---

[1] – سورة العنكبوت / ٤٠.
[2] – نظم الدرر ٥٦٠/٥. وللاستزادة انظــر: نظــم الــدرر ٢٥٨/٢، ٢٢٩/٣، ٤٧٤/٤، ٦٠٥/٥، ٥١٠/٦، ٥٨٣-٥٨٤، ٢٦١/٧.
[3] – سورة الحديد /١١.
[4] – نظم الدرر ٤٤٣/٧. وللاستزادة انظر: نظم الدرر ٤٦٨/١، ٤١٢/٢، ٤٥٠/٧، ٢١/٨، ٢١٨، ٥٩٤.
[5] – سورة الرحمن /٣١.

لهم حينئذ عمل إلا جمعكم ليقضي بينكم"([1])، فالله سبحانه وتعالى لا يشغله شان عن شان وشيء عن شيء فيكون المعنى الوعيد من الله تعالى بأنه سيقصد لعقوبتهم ويحكم جزاءهم.

١١- الكتابة: قال تعالى: (**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً**)([2])، قال الإمام البقاعي: "(**وَاللّهُ**) أي والحال أن الملك المستجمع لصفات الكمال (**يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ**) أي يجددون تبييته كلما فعلوه، وهو غني عنه، ولكن ذلك ليقربهم إياه يوم يقوم الأشهاد، ويقيم به الحجة عليهم على ما جرت به عاداتهم أو يوحي به إليك فيفضحهم بكتابته وتلاوته مدى الدهر، فلا يظنوا أن تبييتهم يغنيهم شيئا"([3]).

١٢- الإباء: قال تعالى: (**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**)([4])، قال الإمام البقاعي: "(**وَيَأْبَى**) أي والحال انه يفعل فعل الآبي وهو انه لا يرضى (**اللّهُ**) أي الذي له جميع العظمة والعز ونفوذ الكلمة (**إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ**) أي لا يقتصر على مجرد إشراقه، بل وعد – وقوله الحق- بأنه لا بد من إكماله وإطفائه لكل ما عداه وإحراقه، ولما في (**وَيَأْبَى**) من معنى الجحد دخل عليه الاستثناء، أي أنه يأبى كل حال إلا حالة إتمامه نوره على التجدد والاستمرار"([5]).

---

[1] – نظم الدرر ٣٨٧/٧.
[2] – سورة النساء /٨١.
[3] – نظم الدرر ٢٨٦/٢.
[4] – سورة التوبة /٣٢.
[5] – نظم الدرر ٣٠٤/٣.

الباب الرابع

كلام الإمام البقاعي في مسائل رؤية الله تعالى

الفصل الأول: تعريف الرؤية لغة واصطلاحا

الفصل الثاني: رؤية الله تعالى في الدنيا

الفصل الثالث: الأدلة على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة

الباب الرابع

كلام الإمام البقاعي في مسائل رؤية الله تعالى

إن موضوع رؤية الله تعالى من المواضيع التي وقع الخلاف فيها بين علماء المسلمين، وذلك راجع إلى عدم وجود قاطع يدل عليه حيث ذهب البعض إلى تأويل الأدلة التي استدل بها من اثبت الرؤية، ولذلك لم يكن الخلاف فيها مستوجبا الكفر والردة، وإن كانت مخالفة جمهور المسلمين جنوحا عن الحق، وموضوع الرؤية هو من باب الجائز في حق الله تعالى، وللحديث عنه فقد جاء هذا الباب عبر الفصول التالية:

الفصل الأول

تعريف الرؤية لغة واصطلاحا

أولا: الرؤية لغة

الرؤية : "النظر بالعين و القلب"([1])" فالرؤيا بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين"([2]) "و(رأى) يرى (رأيا) و(رؤية) و (راءة) مثل راعه"([3]) ورأيته رؤية، ورأيا، وراءة ، ورأية ، ورئيانا ، وارتأيته ، واسترأيته"([4]) .

"ورأى: عينه همزة ولامه يا لقولهم: رؤية...... وتحذف الهمزة من مستقبَله فيقال: ترى ويرى .... والرؤيا إدراك المرئي، وذلك اضرب بحسب قوى النفس.

[1] – انظر: لسان العرب ١٤/٢٩١، مادة رأى. ترتيب القاموس المحيط ٢/٢٨٠

[2] – انظر: لسان العرب ١٤/٢٩١، مادة رأى. مختار الصحاح ص١٩٩.

[3] – مختار الصحاح ص١٩٩.

[4] – ترتيب القاموس المحيط ٢/٢٨٠.

الأول: بالحاسة وما يجري مجراها (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)([1])، (فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ)([2])، فإنه مما أُجري مجرى الرؤية الحاسة لا تصح على الله تعالى عن ذلك.

الثاني : بالوهم والتخييل نحو أرى أن زيداً منطلق، ونحو قوله: (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ)([3]).

والثالث: بالتفكر نحو: (إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ)([4]).

والرابع: بالعقل وعلى ذلك قوله: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)([5])"([6]).

"والنظر ينقسم معناه في اللغة، وتعتوره وصائل مختلفة على حسب اختلاف معانيه:

الأول: فإن أريد به التقرب والانتظار، استعمل على غير صلة؛ قال الله تعالى في الإنباء عن أحوال المنافقين ومخاطبتهم المؤمنين ، وقد حيل بينهم و بينهم (انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)([7]) هناك انتظرونا.

الثاني : وإن أريد بالنظر الفكر, وصل بفي, فنقول : نظرت في الأمر، إذا تدبرته

الثالث: وإذا أريد به الترحم، وصل باللام، فنقول: نظرت لفلان.

---

[1] – سورة التكاثر /٦.
[2] – سورة التوبة /١٠٥.
[3] – سورة الأنفال /٥٠.
[4] – سورة الأنفال /٤٨.
[5] – سورة النجم /١١.
[6] – المفردات ص١٨٩.
[7] – سورة الحديد /١٣.

الرابع: وإذا أريد به الإبصار، إي الرؤية وصل بإلى"([1]).

ثانيا: الرؤية اصطلاحا

الرؤية: هي "المشاهدة بالبصر حيث كان، أي في الدنيا والآخرة"([2]).

[1] – إمام الحرمين الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص١٨١-١٨٢، حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م. وللاستزادة انظر: عبد الرحمن بن احمد الإيجي، المواقف في علم الكلام ص٣٠٥، عالم الكتب، بيروت.

[2] – التعريفات ص١١٤.

الفصل الثاني

رؤية الله تعالى في الدنيا

ذهب الإمام البقاعي إلى القول بجواز رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا، ولم يثبتها ولم ينفها بحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويتبين لنا موقف الإمام البقاعي في هذه المسالة من خلال تفسيره لآيتين من كتاب الله تعالى:

الآية الأولى: قال تعالى: **(وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)**([1])، قال الإمام البقاعي في تفسيرها: "ولما كلمه بصفة الربوبية الناظرة إلى العطف واللطف، وكانت الرؤية جائزة، اشتاق إلى الرؤية شوقا لم يتمالك معه لما استحلاه من لذاذة الخطاب فسألها لعلمه أنها جائزة **(قَالَ)** مسقطا الأداة كعادة أهل القرب **(رَبِّ أَرِنِي)** أي ذاتك الأقدس بأن ترفع عني الحجاب فتجعلني متمكنا من النظر، وهو معنى قول الحبر ابن عباس: اعطني، وحقق أنها رؤية العين بقوله في جواب الأمر **(أَنظُرْ)** أي أصوب تحديق العين، وأشار إلى عظمته سبحانه وتعالى وعلو شانه علو العظمة لا المسافة – بالتعدية بحرف النهاية بعد أن أشار بحذف أداة النداء إلى غاية القرب بالإحسان– فقال: **(إِلَيْكَ)** أي فأراك.

---

[1] – سورة الأعراف /١٤٣.

ولما كان سبحانه قد قضى أنه عليه السلام لا يراه في الدنيا **(قَالَ)** نافيا المقصود، وهو الرؤية لا مقدمتها، وهو النظر الذي هو التحديق بالعين **(لَن تَرَانِي)** ودل سبحانه بهذه العبارة على جواز رؤيته حيث لم يقل: لن أُرى، أو لن يراني احد؛ ثم زاد ذلك بيانا بتعليقه بممكن فقال: **(وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ)** أشار إلى جبل بعهده، وهو أعظم جبل هناك، وزاد في الإشارة إلى إمكان الرؤية بالتعبير بأداة الشك وإتباعها بأمر ممكن، فقال: **(فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ)** أي وجد قراره وجودا تاما، وأشار إلى بعد الرؤية أيضا وجلاله المطلوب منها بقوله: **(فَسَوْفَ تَرَانِي)** أي بوعد لا خلف فيه"([1]).

الآية الثانية: قال تعالى: **(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)** ([2])، قال الإمام البقاعي في تفسيرها: "ولما اثبت هذا الكلام ما اثبت من القرب من النبي صلى الله عليه وسلم ممن أوحي إليه على كلا التقديرين، قرره على وجه أفاد الرؤية فقال: **(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ)** أي القلب الذي هو في غاية الذكاء والاتقاد **(مَا رَأَى)** البصر أي حين رؤية البصر كان القلب، لا أنها رؤية بعد فقط تمكن فيها – للخلو عن حضور القلب– النسبة إلى الغلط، قال القشيري ما معناه: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره، بل رآه على الوصف الذي علمه قبل أن يراه فكان علمه حق اليقين، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سالت الرسول

---

[1] – نظم الدرر ٣/١٠٨-١٠٩.
[2] – سورة النجم /١١.

صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك؟ قال: نور إلىَّ أراه"([1])، وفي صحيح مسلم أيضا عن مسروق أنه قال لعائشة رضي الله عنها لما أنكرت الرؤية: (الم يقل الله تعالى: **(وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ)**([2]) و**(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى)**([3])، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما هو جبريل عليه السلام لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رايته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض)([4]).

قال البغوي: ذهب جماعة إلى أنه رآه، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده، ثم روى في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "أنه رآه بفؤاده مرتين"([5]). وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول انس رضي الله عنه، وقال ابن برجان ما معناه: أن النوم والصعق من آيات الله على لقاء الله وهي مقدمات لذلك، ولكل حقيقة حق يتقدمها كأشراط الساعة، والإسراء، وإن لم يكن موتا ولا صعقا ولا نوما على اظهر الوجوه فقد خرج عن مشاهدات الدنيا إلى مشاهدات الأفق الأعلى فلا تنكر الرؤية هنالك، فالإسراء حالة غير حالة الدنيا، بل هي من أحوال الآخرة وعالم الغيب.......، (وَلَقَدْ رَآهُ) أي الله تعالى أو جبريل عليه السلام، على صورته الحقيقية، روى مسلم في الإيمان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

---

[1] – لم اهتد إليه في صحيح مسلم بهذا اللفظ، وما في مسلم عن أبي ذر؛ قال: سالت رسول الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: "نور أنَّى أراه". صحيح مسلم ١٦١/١.
[2] – سورة التكوير /٢٣.
[3] – سورة النجم /١٣.
[4] – صحيح مسلم ١٥٩/١. الترمذي ٢٦٢/٥.
[5] – صحيح مسلم ١٥٨/١.

قال: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)[1]، و(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى)[2] قال: رآه بفـؤاده مـرتين)"[3] وجعل ابن برجان الإسراء مرتين: الأولى بالفؤاد مقدمة وهذه بالعين"[4].

هذه خلاصة أقوال الإمام البقاعي في رؤية الله تعالى في الدنيا فهو يجيزهـا عقـلا ولكنها لم تثبت لأحد من البشر حتى لسيدنا موسى عليه السلام، ونرى انه لم يجزم بوقوعهـا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أورد أدلة وأقوال تدل على رؤية الله وأخرى تدل علـى رؤية جبريل عليه السلام من قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحاصل الأمر انه يجيـز الرؤية ولم يثبتها أو ينفيها لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما الأمة فقد "اتفقت على أن الله لا يراه احد في الدنيا بعينه"[5]، وقد أنكـر العلمـاء بشدة على أشخاص ادعوا رؤية الله تعالى في اليقظة ورموهم بالكفر[6]، فعلى هذا لم تثبـت الرؤية في الدنيا لأحد.

وأما ثبوت رؤية سيدنا محمد ﷺ لربه في الدنيا، فقد انقسم العلماء في القول بها إلـى أقوال:

ذهب فريق إلى عدم ثبوت الرؤية، وقالوا أن المرئي في رحلة الإسراء والمعراج هو جبريل عليه السلام، وتزعم هذا الفريق السيدة عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابـن مسعود وأبي هريرة – واختلف عنه– وقال بهذا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين[7]،

---

1 – سورة النجم /١١.
2 – سورة النجم /١٣.
3 – سبق تخريجه ص١٧٣ .
4 – نظم الدرر ٣١٨/٧-٣١٩.
5 – شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٣.
6 – المختصر المفيد ص ١١٧.
7 – انظر: القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٢٨/١، تقديم وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وخالد بن محمد بن عثمان، ط١، مكتبة الصفا، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. البزدوي، أصول الدين ص٨٣. شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٣. كبرى اليقينيات الكونية ص١٤٢.

حيث قالوا: لم يرد السمع إلا بما يدل على الرؤية في الآخرة فقط، بل الذي جاء به السمع هو امتناع رؤية احد من الناس ربه قبل الموت.

وأما الفريق الآخر فقد تزعمه ابن عباس وهو رواية عن معاوية([1])، وقــول بعــض الصحابة([2])، حيث قالوا انه قد دل السمع على جواز رؤية الله في الدنيا فرأى ربه بعين رأسه وهما في مكانهما الخَلقي، ولم يحولهما إلى قلبه، فقد كان يرى ربه في كل مرة مــن مــرات المراجعة لتخفيف الصلاة.

"وروي عن عطاء أنه رآه بقلبه، وعن أبي العالية أنه رآه بفؤاده مرتين"([3]).

وما نراه – والله اعلم– أن القول بعدم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه في الدنيا هو الصواب وخاصة إذا علمنا بتصريح السيدة عائشة رضي الله عنها بعدم الرؤية عند إجابة النبي صلى الله عليه وسلم على سؤالها وهي زوجه واقرب الناس إليه، مع عدم وجود قــاطع يدل على إثبات الرؤية.

---

[1] – انظر: كبرى اليقينيات الكونية ص١٤٣.

[2] – منهم عكرمة، وأبو ذر، وأبو هريرة، وانس، وكعب، ومن التابعين: الإمام احمد، والحسن، والزهري، وحكاه الماوردي. انظر: الشفا ١٢٨/١–١٢٩. البزدوي، أصول الدين ص٨٣.

[3] – الشفا ١٢٨/١. وعطاء وأبو العالية رووه عن ابن عباس. انظر: صحيح مسلم ١٥٨/١.

الفصل الثالث

رؤية الله تعالى في الآخرة

رؤية الله تعالى حق في دار القرار والكل لها في انتظار وهي النعمة التي شمر لهـا المشمرون واجتهد لأجلها المجتهدون، إذ هي من عقائد أهل السنة والجماعة حيث أجازوا أن يرى المؤمنون ربهم في الآخرة، وخالفت في ذلك بعض الفرق([1]) حيث قالت بعـدم جـواز الرؤية.

ولتوضيح كلام الإمام البقاعي حول جواز الرؤية لله تعالى في الآخـرة, لا بـد مـن الوقوف على تفسيره لبعض الآيات التي استدل بها .

ففي تفسيره لقوله تعالى **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{٢٣})**([2])، قـال الإمام البقاعي: "**(وُجُوهٌ)** أي من المحشورين وهم جميع الخلائق، **(يَوْمَئِذٍ)** أي إذ تقوم القيامة **(نَّاضِرَةٌ)** من النضرة بالضاد ,وهي النعمة والرفاهية أي هي بهية مشرقة ظاهر عليهـا اثـر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة أصحابها **(إِلَى رَبِّهَا)** أي المحسن لها خاصة باعتبار أن عُـدَّ النظر إلى غيره كلا نظر **(نَاظِرَةٌ)** أي دائما هم محدقون أبصارهم نحو جوده بالتجلي لا غفلة لهم عن ذلك فإذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدية بـ**(إِلَى)** وذلك النظر جهرة من غير اكتتام ولا تضامّ ولا زحام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر

---

[1] – هؤلاء هم المعتزلة والخوارج والزيدية والجهمية وأكثر االمرجئة والإمامية والاباضية . انظر: البزدوي، أصول الدين ص٨٤. شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٤. المختصر المفيد ص١١٣.

[2] – سورة القيامة /٢٢-٢٣.

المفسرين[١] وجميع أهل السنة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحاح من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة، وتكون كما مثلت في الأحاديث: "كما يرى القمر ليلة البدر"[٢]، كل من يريد رؤيته من بيته مخليا به –هذا وجه الشبه، لا انه في جهة ولا حالة لها شبيه – تعالى الله عن التشبيه، وهكذا رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من الأشخاص المستكثرة في البلاد المتباينة في الوقت الواحد، وقدم الجار الدال على الاختصاص إشارة إلى أن هذا النظر مباين للنظر إلى غيره فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة إليه، والى أن تلك الوجوه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث لا تفتر عن ذلك، ولا يعد نظرها إلى ما سواه شيئا، وهي آمنة من أن يفعل بها فاقرة، وعبر بالوجوه عن أصحابها لأنها أدل ما يكون على السرور، وليكون أصرح في أن المراد بالنظر حقيقته، وزاده صراحة بالتعدية بـ**(إلى)** فان الانتظار لا يعدى بها، قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب المحبة من الإحياء بعد أن جوَّز أن يخلق الله النظر في الجهة وغيرها: "والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة، انتهى، وأهل الجنة متفاوتون في النظر: روي أن منهم من ينظر إلى الله بكرة وعشية، وفي خبر آخر "وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"[٣]، ومتفاوتون في مقدار الكشف في الجمال والأنس والبهجة التي يكون عنها اللذة بحسب أعمالهم"[٤].

---

[1] – مثل: ابن عطية ٤٠٥/٥، الرازي ٢٢٨/٥، القرطبي ١٠٧/١٩، ابن كثير ٤٥٤/٤، الآلوسي ١٨٢/١٠، ابن عاشور ٣٢٧/٢٩.

[2] – صحيح البخاري ١٤٥/١. صحيح مسلم ٤٣٩/١. أبو داوود ٩٨/٥. الترمذي ٦٨٧/٤.

[3] – صحيح البخاري ١٨١/٦. صحيح مسلم ١٦٣/١. ابن ماجه ٦٦/١-٦٧. مسند احمد ٤١١/٤.

[4] – نظم الدرر ٢٥٢/٨.

وفي تفسير قوله تعالى (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**)([1])، قال الإمام البقاعي: "(**إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ**) أي عن ذكر المحسن إليهم وخشيته ورجائه (**يَوْمَئِذٍ**) أي إذ قالوا هذا القول الفارغ، وكذلك في مقام واحد يتجلى على الفائزين برؤيته ويحجبها عن الكافرين وليس حجبها عن الكافرين دليلا على عدم وقوعها للمؤمنين.

ولما كان المانع إنما هو الحجاب، بني للمفعول قوله: (**لَّمَحْجُوبُونَ**) فلذلك استولت عليهم الشياطين والأهوية، فصاروا يقولون ما لو عقلت البهائم لاستحيت أن تقوله، والأحسن أن تكون الآية بيانا وتعليلا لويلهم الذي سبق الإخبار به، ويكون التقدير: إذا كان يوم الدين، ويكون المراد بالحجاب عن الرؤية، ويكون في ذلك بشارة للمؤمنين بها.

قال البغوي: قال أكثر المفسرين: عن رؤيته، وقال: إن الإمامين الشافعي وشيخه مالك استدلا بهذه الآية على الرؤية، واسند الحافظ أبو نعيم([2]) في الحلية في ترجمة الشافعي انه قال: في هذه الآية دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته، وقال ابن الفضل([3]): كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته، وقال الحسن: لو علم الزاهدون والعابدون

---

[1] – سورة المطففين /١٥.

[2] – أبو نعيم: الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ كانت ولادته سنة ٣٣٦هـ، وتوفي سنة ٤٣٠ هـ، له من المصنفات: أربعين في الحديث، أطراف الصحيحين أعني البخاري ومسلم، تاريخ أصبهان، حرمة المساجد، حلية الأولياء وبهجة الأصفياء، دلائل النبوة، الطب النبوي، فضل العالم العفيف، كتاب الرياضة والأدب، كتاب المهدي، المستخرج على البخاري، معجم الشيوخ، معروفة الصحابة. هدية العارفين ٥/٧٤-٧٥.

[3] – الأصبهاني: الحافظ ناصر الدين إسماعيل بن محمد ابن الفضل بن علي بن أحمد القرشي الطلحي البستي الأصفهاني الملقب بقوام السنة ولد سنة ٤٥٩ وتوفي سنة ٥٣٥هـ، له من التصانيف: الأمالي في الحديث, الإيضاح في تفسير القرآن, الترغيب ولترهيب, الجامع الكبير في معالم التفسير, الحجة في بيان الحجة, دلائل النبوة, شرح الجامع الصحيح للبخاري, شرح الجامع الصحيح لمسلم, سيرة السلف، كتاب السنة, كتاب المغازي، معتمد في التفسير، موضح في التفسير. هدية العارفين ٥/٢١١.

أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا، وقال القشيري: ودليل الخطاب يوجب أن يكون المؤمنون يرونه كما يعرفونه اليوم، انتهى"([1]).

هذه خلاصة أقوال الإمام البقاعي في جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وانه ذهب مذهب أهل السنة والجماعة في إثباتها وأنها محققة للمؤمنين ثابتة.

وهذه بعض أقوال العلماء والتي تثبت الرؤية لله تعالى في الآخرة:

قال الإمام مالك رضي الله عنه: "لما حجب أعداؤه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيَّر الكافرون بالحجاب، قال تعالى: **(كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)**([2])"([3]).

وقال الإمام الشافعي:"لما حجب قوم بالسخط، دل على أن قوما يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا"([4]).

وقال الإمام أحمد: "من لم يقل بالرؤية فهو جهمي، وقال وقد بلغه عن رجل أنه قال: أن الله لا يرى في الآخرة، فغضب غضبا شديدا، وقال: من قال أن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر أو فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه كائنا من كان من الناس، أليس يقول الله عز وجل:

---

[1] – نظم الدرر ٨/٣٦٠-٣٦١.
[2] – سورة المطففين /١٥.
[3] – انظر: تحفة المريد ص١٢٨-١٢٩.
[4] –انظر : تحفة المريد ص١٢٩. معارج القبول ١/٣٠٣-٣٠٤.

(**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{٢٣}**)([1])، وقـــال: (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**)([2])"([3]).

وقال علي بن المديني([4]): "سالت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تبـــارك وتعـــالى فقال: ما حجب الله تعالى عنه أحدا إلا عذبه ثم قـــرأ (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ{١٥} ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ{١٦} ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ{١٧}**)([5])"([6]).

وقد دلت الآيات وتواترت الأحاديث التي رواها أئمة السنة والحـــديث عـــن أكـــابر الصحابة([7])، وقال بها أكابر التابعين على الرؤية، حيث أثبتت رؤية المؤمنين لربهم تبـــارك وتعالى في دار القرار، قال الإمام الحافظ البيهقي في كتاب الرؤية: "وهذا تفسير قد اســـتفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ومثله لا يقال إلا بتوقيف"([8]).

---

[1] – سورة القيامة /٢٢-٢٣.

[2] – سورة المطففين /١٥.

[3] –انظر: مختصر لوامع الأنوار ص٤٤٧. معارج القبول١/٣٠٤.

[4] – علي بن المديني: على بن عبد الله بن جعفر المدينى، من المحدثين، وكـــان عالمـــا بالحـــديث، وتـــوفى بسرمرى يوم الاثنين لثلاث بقين من ذى القعدة سنة ٢٥٨هـــ، وله اثنان وسبعون سنة، وله من الكتب: كتاب المسند بعلله، كتاب المدلسين, كتاب الضعفاء, كتاب العلل, كتاب الأسماء والكنـــى, كتـــاب الأشـــربة, كتـــاب التنزيل. الفهرست ١/٢٨٦.

[5] – سورة المطففين /١٥.

[6] – انظر: مختصر لوامع الأنوار ص٤٤٦.

[7] – منهم: أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله، وصهيب الرومي، وابـــن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وانس بن مالك، وبريد بن الحصيب، وابو رزين، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعبد الله بن عمر، وعمار بـــن رؤيبـــة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبو الدرداء، وفضالة بن عبيد، وغيرهم. انظر: معـــارج القبـــول ١/٢٦٧. ومـــن التابعين: كعب، وعمر بن عبد العزيز، والاعمش، وسعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، وشريك، وعبـــد الله بن المبارك، وبه قال مالك ، والأوزاعي، ووكيع، وقتيبة بن سعيد، وأبو عبيد القاسم بن ســـلام، والـــشافعي، واحمد. انظر: معارج القبول ١/٢٩٩-٣٠٥.

[8] – انظر: مختصر لوامع الأنوار ص٤٤٤-٤٤٧.

المبحث الأول

الأدلة على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة

لقد ثبتت رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة بالكتاب والسنة وإجماع الأمـــة، ولـــم يخالف في ذلك إلا من حاد عن الصواب، فبعد الإجماع في عهد الصحابة نبغ من قال بخلاف قولهم كالمعتزلة، وقد حمل أهل السنة والجماعة النظر الوارد في النصوص على أنه النظـــر إلى الله تعالى، ورؤية المؤمنين له دون تكييـــف ولا تحديـــد ولا محـــاذاة والله **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**[1]، والله سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود يصح أن يرى، فالباري عز وجل يصح أن يرى؛ لأنه موجود باق معلوم.

المطلب الأول

الأدلة من الكتاب العزيز

١- قال تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{٢٣}**)، وهذه من اظهر الأدلة على الرؤية، ففي هذه الآية أضيفت الرؤية إلى الوجه الذي هو محل الرؤية ثم عدي بـــ(**إِلَى**)، والنظر إذا عدي بـــ(**إِلَى**) أفاد الرؤية، هذا مع عدم وجود قرينة تدل على خلاف الحقيقة التي هي الرؤية.

---

[1] – سورة الشورى /١١.

٢- قال تعالى: (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**)([1])، "فلما عاقب الكفار بحجبهم عن رؤيته دل على انه يثبت للمؤمنين برفع الحجاب لهم عن أعينهم حتى يروه، قال الشافعي في هذه الآية: لما حجب هؤلاء في السخط كان هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا"([2]).

٣- قال تعالى: (**لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**)([3])، عن علي بن أبي طالب وأنس بن مالك، قالوا: المزيد النظر إلى وجه الله تعالى([4]).

٤- قال تعالى: (**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**)، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى([5]).

المطلب الثاني

الأدلة من السنة النبوية الشريفة

لقد تواترت الأحاديث - بمعنى ما تضمنته الآيات الدالة على الرؤية - التي رواها أئمة السنة والحديث عن فضلاء الصحابة وأجلائهم([6]).

---

[1] - سورة المطففين /١٥.

[2] - معارج القبول ٣٠٣/١-٣٠٤. تحفة المريد ص١٢٩. شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٦.

[3] - سورة ق /٣٥.

[4] - شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٥. تحفة المريد ص١٢٨. وللاستزادة انظر: تفسير الطبري ٤٢٩/١١. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦٠٥/٧، دار الفكر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[5] - وممن روى تفسير "الزيادة" بالنظر الى وجه الله عز وجل من الصحابة: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس ، وأبو موسى الأشعري، وعبادة بن الصامت، وغيرهم، ومن التابعين: سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعيد، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، ومقاتل. انظر: معارج القبول ٢٩٧/١-٢٩٨.

[6] - وهؤلاء منهم: أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله، وصهيب الرومي، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وانس بن مالك، وبريد بن الحصيب، وأبو رزين، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعبد الله بن عمر، وعمار بن رؤيبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبو الدرداء، وفضالة بن عبيد، وغيرهم. انظر:معارج القبول ٢٦٧/١. ومن التابعين: كعب، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وسعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، وشريك، وعبد

١- عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهمـــا أن النـــاس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة، قال: هل تمارون في القمر ليلة البـــدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونهـــا سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك........" الحديث(١).

٢- عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت جرير بن عبد الله وهو يقول: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: أما إنكم ستعرضون على ربكم عز وجل فترونه كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، يعني الفجر والعصر، ثـم قـرأ جرير ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**﴾(٢)"(٣).

٣- عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: أن رسول الله عليه وسلم قـال: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"(٤).

الله بن المبارك، وبه قال مالك ، والأوزاعي، ووكيع، وقتيبة بن سعيد، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والشافعي، واحمد. انظر: معارج القبول ٢٩٩/١-٣٠٥.

[1] - صحيح البخاري ٢٠٤/١-٢٠٥. وفي مسلم قريب منه ١٦٣/١-١٦٧. الترمذي ٦٨٥/٤ حـديث رقـم ٢٥٤٩. مسند احمد ١٦/٣-١٧.

[2] - سورة طه /١٣٠.

[3] - صحيح مسلم ١٤٥/١. ابو داوود ٩٨/٥. الترمذي ٦٨٧/٤. ابن ماجه ٦٣/١. مسند احمد ٣٦٠/٤.

[4] - صحيح البخاري ١٨١/٦. صحيح مسلم ١٦٣/١. ابن ماجه ٦٦/١-٦٧. مسند احمد ٤١١/٤.

٤- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: الم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل"(١).

فهذه مجموعة أحاديث صحيحة صريحة في إثبات الرؤية لله تعالى.

المطلب الثالث

من أدلة المعتزلة

١. قال تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢)، قالوا: "وجه الدلالة في الآية، هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحا راجعا إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحا راجعا إلى ذاته كان إثباته نقصا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال"(٣).

٢. قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَانِي﴾(٤)، ولن للتأبيد، فقد نفى أن يكون مرئيا البتة، وهذا يدل على استحالة الرؤية عليه(٥).

[1] – صحيح مسلم ١٦٣/١. الترمذي ٦٨٧/٤.
[2] – سورة الأنعام /١٠٣.
[3] – شرح الأصول الخمسة ص٢٣٣. وللاستزادة انظر: المواقف ص ٣٠٨.
[4] – سورة الأعراف /١٤٣.
[5] – شرح الأصول الخمسة ص٢٦٤، وللاستزادة انظر: المواقف ص٣١٠.

٣. قال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{٢٣}**﴾، قالوا: "هو الانتظار، و﴿إِلَى﴾ واحد آلاء، أي وجوه إلى نعم ربها منتظرة، وان النظر الموصول بـ﴿إِلَى﴾ قد جاء في الانتظار، والنظر مع إلى لتقليب الحدقة، يقال نظرت إلى الهلال فما رايته وما زلت انظر إلى الهلال حتى رايته، وانظر كيف ينظر فلان إلي، والرؤية لا ينظر إليها، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾(١)، ولأنه يوصف بالشدة والرضا والتجبر والذل والخشوع وشيء منها لا يصلح للرؤية، بل هي أحوال يكون عليها عين الناظر عند تقليب الحدقة هذا، وتقليب الحدقة ليس هو الرؤية ولا ملزومها، ثم انه للرؤية مجاز ولا يتعين، لجواز أن يراد ناظره إلى نعم الله"(٢).

٤. قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(٣)، "ذكر ذلك تحقيرا لشأنهم، فلزم كون المسلمين مبرئين عنه"(٤).

---

[1] – سورة الأعراف /١٩٨.

[2] – انظر: شرح الأصول الخمسة ص٢٤٢ وما بعدها. المواقف ص٣٠٦.

[3] – سورة المطففين /١٥.

[4] – المواقف ص ٣٠٧.

المطلب الرابع

الرد على المعتزلة

١- رد أهل السنة على دليل المعتزلة الأول "بأن الإدراك هو الرؤية على نعت الإحاطة بجوانب المرئي إذ حقيقته النيل والوصول و﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(١) أي ملحقون. ثم نقل إلى المحيطة، والرؤية المكيفة اخص من المطلقة فلا يلزم من نفيها نفيها، قوله: لا يصح نفي أحدهما مع إثبات الآخر، قلنا: ممنوع بل يصح أن يقال رأيته وما أدركه بصري، أي لم يحط به........، ثم إن الآية تدل على أن الأبصار لا تراه، ولا يلزم منه أن المبصرين لا يرونه؛ لجواز أن يكون ذلك نفيا للرؤية بالجارحة مواجهة وانطباعا.......

(أما التمدح بأنه لا يرى... فيه الحجة على صحة الرؤية) لأنه لو امتنعت رؤيته لما حصل المدح، إذ لا مدح للمعدوم بأنه لا يرى حيث لم يمكن له ذلك، وإنما المدح فيه للممتنع المتعزز بحجاب الكبرياء كما في الشاهد"(٢).

٢- وردوا على دليل المعتزلة الثاني "بأن كون لن للتأبيد ممنوع بل هي للنفي في المستقبل فقط، كقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾(٣) ويتمنوه في الآخرة"(٤).

[1] - سورة الشعراء /٦١.
[2] - انظر: المواقف ص٣٠٨-٣٠٩. وللاستزادة انظر: الإرشاد ص١٨٢-١٨٣.
[3] - سورة البقرة /٩٥.
[4] - المواقف ص٣١٠.

٣- "أن انتظار النعمة غم، ومن ثم قيل الانتظار الموت الأحمر، فلا يصح الإخبـــار به بشارة"(١)، وكذلك "إذا كان فيما ينتظره على يقين من الوصول إليه، فإنه يكون في أعظم اللذات"(٢).

٤- "أن النظر في اللغة جاء بمعنى الانتظار ويستعمل بغير صـــلة، قـــال تعـــالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾(٣)، وبمعنى التفكر ويستعمل بفي يقال: نظرت في الأمر الفلاني، وبمعنى الرأفة يستعمل باللام، وبمعنى الرؤية يستعمل بإلى......، والنظر في الآية موصول بإلى فوجب حمله على الرؤية"(٤).

٥- "أن النظر مع إلى للرؤية بالنقل، وقوله: نظرت إلى الهلال فما رايته لم يـــصح من العرب، بل يقال: نظرت إلى مطلع الهلال فلم أر الهلال، وربما يحذف المـــضاف ويقام المضاف إليه مقامه، وهو الجواب عن قولهم لم أزل انظر إلى الهـــلال حتـــى رايته، والبواقي كلها مجازات.... ثم تقليب الحدقة طلبا للرؤية بدون الرؤية لا يكـــون نعمة ومع الرؤية بكيفية التجوز، فلا يضم إليه إضمار تقليلا لما هم خلاف الأصـــل، فان تقليب الحدقة يكون سببا للرؤية"(٥).

والذي نرتضيه قولا ونأخذ به اعتقادا القول برؤية الله يوم القيامة إذ هي أعظم المتع، وذلك للأدلة الصحيحة الصريحة في ذلك، ولا ينكرها إلا من أنكر الشمس في رابعة النهار،

---

[1] – المواقف ص٣٠٧.
[2] – التفسير الكبير ٢٢٩/١٥.
[3] – سورة الحديد /١٣.
[4] – انظر: المواقف ص٣٠٥.
[5] – انظر: المواقف ص٣٠٦.

وقد أجمعت الأمة في العصر الأول على ذلك، وقد ذهب الإمام البقاعي إلى ما ذهب إليه جمهور المسلمين من ثبوت الرؤية لله تعالى يوم القيامة.

الاستنتاجات والتوصيات

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فبعد أن سرنا مع ما نظمته يراع الإمام البقاعي في تفسيره نظم الدرر فقد خلصنا إلى النتائج التالية:

١. إن الإمام البقاعي من العلماء العالمين العاملين الواعين لكتاب الله المجاهدين باللسان والسنان عن شرع الله.

٢. استدلال الإمام البقاعي على وجود الله من خلال أدلة الآفاق وأدلة الأنفس.

٣. ذهب الإمام البقاعي إلى أن الفطرة هي الخلقة الأولى التي خلق عليها البشر والطبع الأول لتمكينهم من قبول الحق.

٤. إن الميثاق المأخوذ على ذرية آدم هو من باب التمثيل بجعل تمكينهم من الاستدلال كالإشهاد.

٥. إن أسماء الله تعالى كلها حسنى ولا يجوز تحريف معناها وتغيير مجراها.

٦. قلة الدراسات التي تناولت جهود الإمام البقاعي في توضيح العقيدة بشكل عام والإلهيات بشكل خاص.

٧. رد الإمام البقاعي على المنحرفين من المشبهة والمجسمة في هذا الباب.

٨. بيان مكانة الإمام البقاعي في العقيدة وإظهار مكانته العلمية.

٩. الإمام البقاعي كغيره من المفسرين التزم جانب تنزيه الله سبحانه وتعالى عن مشابهة الحوادث.

١٠. جواز رؤية الله في الدنيا إلا أنها لم تقع لأحد، أما في الآخرة فهي ثابتة للمؤمنين.

١١. العقيدة التي ينتمي إليها الإمام البقاعي هي عقيدة أهل السنة والجماعة وذلك بالتزامه بالمذهب الأشعري، وفي الفقه كان شافعيا.

١٢. أهمية كتب التفسير في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث كانت نسبتها بين كتب التفسير عالية جدا.

أما التوصيات فهي:

١. ضرورة بيان مناهج المفسرين في مباحث العقيدة خلال الدراسة لأنها تثري هذا الموضوع.

٢. ضرورة الرجوع إلى كتب التفسير في توضيح العقيدة السليمة.

٣. إظهار الجانب العقدي لدى المفسرين.

٤. بيان كتب التفسير التي يعتمد عليها في جانب العقيدة.

٥. التنسيب لطلاب الدراسات العليا لبحث جهود المفسرين في العقيدة من خلال تفاسيرهم.

فهرس الأعلام المترجم لهم

.٣٠	أبو منصور	١٤٠
.٣١	أبو نعيم	٢١١
.٣٢	أبو هريرة	٥١
.٣٣	أبو الهيثم	١٤٤
.٣٤	أبو موسى الأشعري	١٨٥
.٣٥	أبو يعلى الموصلي	١٨٤
.٣٦	أحمد بن حنبل	١٣٢
.٣٧	أحمد بن منيع	٥٢
.٣٨	الأصبهاني (قوام السنة)	٢١١
.٣٩	الأصفهاني	٥٠
.٤٠	إمام الحرمين	٧٥
.٤١	الأوزاعي	٥٥
.٤٢	الباقلاني	٧٤
.٤٣	البخاري	٥٢
.٤٤	البرهان الطرابلسي(سبط ابن العجمي)	١٧
.٤٥	البغوي	٥٣
.٤٦	البيضاوي	٦٢
.٤٧	البيهقي	٤١
.٤٨	التفتازاني	٧٤
.٤٩	الجعد بن درهم	١٣٠
.٥٠	جعفر الصادق	١٥٣
.٥١	الجهم بن صفوان	٨٢
.٥٢	حاجي خليفة	١٠
.٥٣	الحسن البصري	١٤٠
.٥٤	الحرالّي	٣٩
.٥٥	الحليمي	٤١
.٥٦	حماد بن سلمة	٥٥
.٥٧	الخطابي	١٤٦
.٥٨	داوود الخوارزمي	١٢٥
.٥٩	الرازي	٣٧
.٦٠	ربيعة الرأي	١٤٦
.٦١	الرملي	١٤
.٦٢	الزجاج	٥٢

٦٣.	الزركشي(محمد بن بهادر)	٢٩
٦٤.	الزمخشري	٦٢
٦٥.	زين الدين ماهر بن عبد الله	١٦
٦٦.	السبكي	٩
٦٧.	السخاوي	٧
٦٨.	سعيد بن جبير	١٨٤
٦٩.	سفيان الثوري	١٤٧
٧٠.	السيوطي	١٠
٧١.	الشافعي	٢٧
٧٢.	الشريف الرضي	١٤٢
٧٣.	الشعراني	٧٣
٧٤.	شهاب الدين الغرناطي	٢٩
٧٥.	الشوكاني	٣١
٧٦.	الشيرازي	١٢٢
٧٧.	صلاح الدين	١٤
٧٨.	الضحاك	١٩٠
٧٩.	الطاهر ابن عاشور	١٣٩
٨٠.	الطبري	٨٠
٨١.	عكرمة	٥٧
٨٢.	على بن المديني	٢١٤
٨٣.	العماد بن شرف(ابن جماعة الكناني)	١٦
٨٤.	عمر بن الفارض	١١
٨٥.	عياض بن حمار	٥٣
٨٦.	الغزالي	٥٢
٨٧.	الفخر الأسيوطي	٧
٨٨.	قتادة	٥٧
٨٩.	القرطبي	٦٧
٩٠.	القشيري	١١٢
٩١.	اللقاني	٧٤
٩٢.	الليث	١٤٧
٩٣.	مالك	٨٠
٩٤.	مجاهد	٥٧
٩٥.	محمد بن كرام	١٢٦

٩٦.	المشدالي	١٨
٩٧.	مقاتل	١٢٦
٩٨.	النسفي	٥٨
٩٩.	هشام بن الحكم	١٢٦
١٠٠.	الواحدي	١٥٩
١٠١.	يحيى بن زياد	١٤٥

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣. ابن الأثير، علي بن محمد الجزري ت (٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار المعرفة، بيروت.

٤. ابن جماعة، بدر الدين بن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التأويل، حققه وعلق عليه: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق: حسن السقاف، دار الإمام النووي، ط٤، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٦. ابن حزم الأندلسي، الأصول والفروع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧. ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الفكر.

٨. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، المسند وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٩. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٠. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١١. ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في شرح الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٢. ابن العماد، عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

١٤. ابن فورك، أبو بكر بن فورك، مشكل الحديث وبيانه، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٥. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، قدم له: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٦. ابن اللبان، محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الشافعي، إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات، دراسة وتحقيق: القدس للدراسات والبحوث، أيمن عبد الجابر البحيري، عمرو مصطفى الورداني، دار البيان العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٧. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٨. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١.

١٩. ابن الوزير، محمد بن المرتضى اليماني (٧٧٥هـ - ٨٤٠هـ)، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٠. أبو جيب، سعيد، القاموس الفقهي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢١. أحمد، عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د- عبد الكريم عثمان، ط١، مكتبة وهبة، مصر، ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م.

٢٢. الأشعري، علي بن إسماعيل، الإبانة في اصول الديانة، الطبعة الاولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٣. الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.

٢٤. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار المصحف، القاهرة.

٢٥. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الغرناطي، البحـــر المحـــيط، دار الفكـــر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هــ/١٩٨٣م.

٢٦. أبو سنينة، طالب محمود، أسماء الله الحسنى وأثرها فـــي ســـلوك الإنـــسان، دار المحبة، دمشق، ط١، ١٤٢٦هــ/٢٠٠٥م.

٢٧. الباجوري، إبراهيم شرح جوهرة التوحيد ص ١٤٩، نسقه وخرج أحاديثه: محمد أديب الكيلان– وعبد الكريم تتان.

٢٨. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار إحيـــاء التـــراث العربـــي، بيروت.

٢٩. بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، الجزء الأول (المعتزلة والاشـــاعرة)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٣٠. البزدوي، أبو اليسر محمد البزدوي، أصول الدين، تحقيق: د– هانز بيتر لـــنس، ضبطه وعلق عليه: د– أحمـــد حجـــازي الـــسقه، المكتبـــة الازهريـــة للتـــراث، القـــاهرة، ١٤٩٤هــ/٢٠٠٣م.

٣١. البغوي، الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العـــك – مـــروان ســـوار، دار المعرفـــة بيـــروت، ط١، ١٤٠٦هــ/١٩٨٦م.

٣٢. البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الفكر، ١٤٠٢هــ/١٩٨٢م.

٣٣. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، الفتح القدسي في آية الكرسي، تحقيق: ا.د. سعود بن عبد الله الفنيسان، مكتبة الرشد، الرياض.

٣٤. البقاعي، إبراهيم بن عمر ت (٨٨٥هــ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هــ-٢٠٠٣م.

٣٥. البنداري، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البنداري، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١.

٣٦. البيجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي، تحفة المريد، ضبطه وصـــححه عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هــ/٢٠٠٤م.

٣٧. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل(تفسير البيضاوي)، دار الجيل.

٣٨. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، الأسماء والصفات، عني بتصحيح أسماء رجاله ووضع تعليقات عليه: محمد زاهد الكوثري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩. بيومي، محمد، شرح أسماء الله الحسنى ، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٤٠. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الإسلامية.

٤١. التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله، شرح المقاصد، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٤٢. التلمساني، محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني الحسني، العقيدة الوسطى وشرحها، تحقيق يوسف احمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣. التونجي، عبد السلام التونجي، الله تبارك وتعالى أسماؤه وصفاته المفردة، ط١، كلية الدعوة الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

٤٤. الثعالبي، تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.

٤٥. الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.

٤٦. جماعة من العلماء، شرح العقيدة الطحاوية، خرج احاديثها محمد ناصر الدين الالباني، التوضيح بقلم: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، ط٦, ١٤٠٠هـ.

٤٧. الجويني، إمام الحرمين، الشامل في أصول الدين، تحقيق: د. علي سامي النشار، وآخرون، دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م.

٤٨. الجيلاني، عبد القادر الجيلاني، منظومة أسماء الله الحسنى، تحقيق محمد عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤٩. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥٠. حكمي، حافظ أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصـــول، مـــن مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

٥١. الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

٥٢. الحميري، عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع، مختصر كتاب تصحيح المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية، ط١.

٥٣. حوى، سعيد، الله جل جلاله، دار الباز، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٤. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، بهامشه تفسير البغوي (معالم التنزيل)، مطبعة مصطفى البـــابي الحلبـــي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥.

٥٥. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الشافعي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٦. خليفة، عبد الرحمن، المشبهة والمجسمة ويليه شرح معنـــى الاســـتواء المطـــابق للبلاغة والتوحيد بقلم حامد عبد الرحمن، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥٧. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت(٧٤٨هـ)، سير أعلام النـــبلاء، مؤســـسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٨. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد اليحاوي، دار المعرفة، بيروت،ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣.

٥٩. الرازي، فخر الدين، أساس التقديس، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار الجيـــل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٦٠. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، دار احياء التراث العربـــي، بيـــروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٦١. الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ، دققه: عصام فارس الحرستاني، دار عمار، عمان، ط٥، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٦٢. الرازي، محمد بن عمر الخطيب، شرح أسماء الله الحسنى، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦٣. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٥٠٢)، المفردات في غريب القــرآن، تحقيق وضبط: محمد محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط ٣.

٦٤. رستم، سعد، الذات الإلهية والمجازات القرآنية وإزالة شبهة التشبيه والتجسيم من أساسها، الأوائل للنشر والتوزيع ، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.

٦٥. الزاوي، الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريقــة المــصباح المنيــر وأساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦٦. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: د.عبــد الحــسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العــرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.

٦٨. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيــل وعيون الاقاويل في وجوب التأويل، تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر، دار المصحف، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٦٩. الزنداني، عبد المجيد الزنداني، الإيمان، دار وحي القلم، بيروت، ط١.

٧٠. السبكي، علي بن عبد الكافي السبكي الكبير، السيف الصقيل في الرد علــى ابــن زفيل ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم بقلم محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تقديم لجنــة علماء الأزهر، مكتبة زهران، خلف الجامع الأزهر.

٧١. السجستاني، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داوود ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، نشر وتوزيع محمد علــي الــسيد، حمص، ط١، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩-١٩٧٠م.

٧٢. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منــشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٧٣. سعد، محمود توفيق محمد، الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القــرآن الكريم، ط١، ١٤٢٤هـ.

٧٤. سليمان، د. أحمد السعيد ، تاريخ الدولة الإســلامية ومعجــم الأســر الحاكمــة ص١١٧، دار المعارف بمصر.

٧٥. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٧٦. السنوسي، أبو عبد الله السنوسي، شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، علق عليه: سعيد عبد اللطيف فودة، ط١، دار الرازي.

٧٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الحاوي للفتاوي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥.

٧٨. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره: د. فيليب حتى ١٩٢٧م، المطبعة السورية الأموية في نيويورك لصاحبها سلوم مكرزل.

٨٠. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (٤٧٩ -٥٤٨)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.

٨١. الشرباصي، أحمد، موسوعة له الأسماء الحسنى، تقديم: د. عبد الستار حسين رموط، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٨٢. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤٠٧هـ.

٨٣. الشوكاني، محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٢هـ/١٩٦٤م.

٨٤. الصاوي، أحمد بن محمد المالكي ، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، تحقيق وتعليق: د. عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق.

٨٥. الطبراني، المعجم الكبير.

٨٦. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٨٧. عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد، لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى على الإطلاق، بلا اسم الناشر ومكان النشر ورقم الطبعة وسنتها.

٨٨. العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ت(١١٦٢هـ) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٣٥١هـ.

٨٩. العدوي، محمد أحمد، الشرح الجديد لجوهرة التوحيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

٩٠. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المطبعة السلفية ومكتبتها.

٩١. الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٩٢. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الاسفار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٩٣. الغزالي، محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٩٤. الغزالي، محمد بن محمد، قواعد العقائد، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢،١٩٨٥م.

٩٥. الغزالي، محمد بن محمد، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ضبطه وخرج آياته: أحمد قبأني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٩٦. غزواني، عبد الله غزواني، أصول العقائد الإسلامية، مراجعة: محمد بشير الشقفة، دار العلم، دمشق، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٩٧. الفيومي، أحمد بن محمد علي المقري ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العالمية، بيروت، ط (بلا).

٩٨. الفيروزأبادي، إبراهيم بن علي الفيروزأبادي الشيرازي، الإشارة إلى مذهب أهل الحق، دراسة وتحقيق: د. محمد الزبيدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٩٩. الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،ط٢، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

١٠٠.قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الإسلامية، غاية البيان في تنزيه الله عن الجهة والمكان، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٠١.القشيري، عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق: أحمد عناية– د. محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٠٢. القضاة، نوح علي سلمان، المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد، ط١، دار الرازي، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠٣.القضاعي، سلامة القضاعي العزامي الشافعي، فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٠٤. قلعة جي، ا.د محمد رواس، وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م.

١٠٥. القنوجي، محمد صديق حسن خان، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٠٦.كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي اللغة العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٠٧. اللقاني، عبد السلام بن إبراهيم المالكي، إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، صححه وعلق عليه: محمد يوسف الشيخ، مكتبة القاهرة.

١٠٨. المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: د.إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٠٩. المرعشلي، يوسف، ولله الأسماء الحسنى، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١١٠. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١١. المعاضيدي، د.خاشع، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١, ١٩٧٥م–١٩٧٦م.

١١٢. مقدادي، علي عايد، الإمام القرطبي وجهوده في توضيح العقيدة، رسالة دكتوراة.

١١٣. المكلاتي، أبو الحجاج يوسف بن محمد، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الاصول، تقديم وتحقيق وتعليق: د– فوقية حسين محمود، الطبعة الاولى، دار الانـــصار، ١٩٧٧م.

١١٤.الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، العقيدة الاسلامية واسسها، الطبعة الرابعـــة، دار القلم، دمشق.

١١٥.النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيـــل وحقـــائق التأويـــل المشهور بتفسير النسفي، دار إحياء الكتب العربية.

١١٦. النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النـــووي، المطبعـــة المـــصرية ومكتبتها.

١١٧. النووي، يحيى بن شرف، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٨. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١١٩. الهيئة المصرية العامة للكتاب، البيان لأسماء الله الحسنى من القرآن، ٢٠٠٣م.

١٢٠.الوراق، محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست للنديم، تحقيق: رضا تجدد.

Imam AL-Bika'ee's Efforts In Illustrating The Revealed Knowledge

In His Explanation Of (Nathem AL-Dorar)

By

Ibraheem Mahmoud Haroon AL-Farajat

Supervisor

Dr.Ali Ayed Ibraheem Megdady

Abstract

I have researched in my study Imam Bika'ee's Efforts to explain divine issues through his commentary book (Nathem AL-Dorar).

In the first chapter , I have introduced and Identified Imam Bika'ee's considering his personal life , namely ,his name his born name , family, birth date story , his adolescence , a brief of his life work and the period he lived in, viewing the political and the scientific stance.

I have talked about the praise he received from the scholars. At the same time The second chapter talks about Imam Bika'ee's commentaries matters of divines through mentioning of clues of ALLAH's presence, from evidence in Space , Human soul and nature , continued talking about ALLAH's names that are Great, the belief and disbelief , ALLAH's Greatest name and the proof of his Names.

The third chapter discusses the attributes of ALLAH and the relationship to his names relating it to solitary attribute and Imam Bika'ee's speech of attribute's Semantics concluding by illustrating it verbally as he proved this attribute to ALLAH explaining that this attribute is eternal, and his being is uncreated but heard. Imam Bika'ee talked about words that elude roughly explaining the scholars views of it.

The forth chapter talks about matters of Allah's vision in this life and the after, Imam Bika'ee explained that such visions are possible in this life but never took place to any body ; on the other hand it will be possible for the believers. Comparing Mo'tazleh opinion and his point of view within my conclusions and recommendations.